اتـبــع

الـمصـلوب

تأليف
بيني موسترت

المحتويات

الفصل
الفصل الأول: عندما نصل إلى طريق مسدود
الفصل الثاني: يسوع الذي لا مثيل له
الفصل الثالث: الصليب هو المركز
الفصل الرابع: لماذا جاء ؟
الفصل الخامس: إله يعقوب
الفصل السادس: الحق على فراش الموت
الفصل السابع: قد أُكمل
الفصل الثامن: ثمن حياتك
الفصل التاسع: الصليب العصري
الفصل العاشر: اتبع المصلوب
الفصل الحادي عشر: تدريبات التلمذة (١)
الفصل الثاني عشر: تدريبات التلمذة (٢)
الفصل الثالث عشر: لأي عمق يجب أن يذهب الصليب؟
الفصل الرابع عشر: الطريق الآخر
الفصل الخامس عشر: إجابات غير كافية
الفصل السادس عشر: عندما يتخذ يسوع طريقاً آخر
الفصل السابع عشر: عندما يأتي الشتاء
الفصل الثامن عشر: وحيداً في البرية
الفصل التاسع عشر: عندما نسير في الظلام
الفصل العشرون: جثسيماني
الفصل الحادي والعشرون: العجز الكلي
الفصل الثاني والعشرون: الذين يخمعون (يعرجون)
الفصل الثالث والعشرون: ميلاد قبل الأوان
الفصل الرابع والعشرون: كثيرون سوف يرجعون إلى الوراء
الفصل الخامس والعشرون: متى أريد أن أحب ؟
الفصل السادس والعشرون: أنا لست ...
الفصل السابع والعشرون: ما هو الثمن الذي عليك أن تدفعه؟
الفصل الثامن والعشرون: يسوع غير المحبوب
الفصل التاسع والعشرون: لا تعثر

الفصل الثلاثون: الأتباع
الفصل الحادي والثلاثون: الذين يريدون أن يكونوا أولاً
الفصل الثاني والثلاثون: لا أريد أن ...
الفصل الثالث والثلاثون: التلاميذ الذين على شاكلة يهوذا
الفصل الرابع والثلاثون: خارج سور المدينة
الفصل الخامس والثلاثون: الأعمال غير المثمرة
الفصل السادس والثلاثون: وقت أن نبقى صامتين
الفصل السابع والثلاثون: كل ما أريد
الفصل الثامن والثلاثون: مَن أنا في المسيح
الفصل التاسع والثلاثون: التدريب على الصمت
الفصل الأربعون: نسور النسر
يوميات

الفصل الأول
عندما نصل إلى طريق مسدود

عندما كنا حديثي الإيمان، كانت الحياة أقل تعقيداً. وكان من الصعب علينا أن نفهم لماذا لا يستطيع المؤمنين القدامى أن يعطوا إجابات بسيطة ومباشرة للأسئلة. لكن عندما نتقدم في الطريق الروحي، وعندما نرى ونختبر الألم والمعاناة والظلم من العالم، نتواجه مع المواقف التي لا تكون فيها الإجابات سهلة.

عندما يسأل المؤمنين أسئلة تحتاج إلى إجابات ويبدأون في الشك والشعور بأنهم قد فقدوا إيمانهم. ما قد كتبته في هذا الكتاب، هو على أبعد تقدير *مذكراتي الشخصية وملحوظاتي* والتي قمت بها عن الأوقات التي لا نفهم فيها ما الذي يحدث لنا، الأوقات التي لا نفهم فيها الله والتي يعمل فيها بطرق غريبة لم نكن نتوقعها.

هذا ليس كتابي اللامع. بل هو من أجل المؤمنين الذين عرفوا الألم والرفض والاحتقار والوحدة والاضطهاد وعدم الفهم والذين تألموا على أيدي البشر الذين حولهم. فلقد كتبته لمؤمنين قد تبعوا يسوع، وفجأة أصبحوا لا يعرفون كيف يمكنهم التحرك للأمام. الطريق الذي نشير إليه هنا ليس طريقاً مشهوراً. يعلمنا الكتاب المقدس " وَلَكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ." (مت٢٤:١٣) كلمات مكلفة في زمن رخيص.

موضوعات الفصول في هذا الكتاب غير مصنفة بطريقة منظمة. فكل فصل مستقل عن الآخر ويمكن قراءته بمفرده. لكنك ستجد أن الخط الذهبي الذي يسير عبر الكتاب كله هو *يسوع والصليب*. فكل شيء يتعلق به. الشخص الذي تقابل مع يسوع قد وصل إلى نهاية مشوار وبداية آخر ويبدأ في السفر عبر طريق جديد وشيق معه.

وبالنسبة لنا، في العقد الأول من القرن الحادي والعشرون، هو وقت تغيير وفوضى، ووقت الشك العظيم حيث نجد كل المبادئ تحت الفحص الشديد، ومبادئنا توضع خلال المعصرة وتخلط مع عدم الوضوح والرتابة. وفي أوقات الإضطراب نجد كلمات (عب١٣:٨) تدوي بوضوح مثل الناقوس: "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ."

قد لا تريد أن تقرأ فصل كامل مرة واحدة. اقرأ بقدر ما تستطيع أن تستوعب وقم بقراءة باقي الفصل في اليوم التالي. بعض الفصول هي فصول "ليست للآن". احتفظ بها في قلبك وانتظر حتى ما يُحضر الله هذه الأجزاء للحياة داخلك. عش ما لا تفهمه وارجع لها مرة أخرى عندما تكون مستعداً لذلك.

استخدم اليوميات الروحية أثناء مسيرة قراءتك للكتاب. قد تجدها نافعة لكتابة أفكارك الشخصية بطريقة سريعة أثناء قرأتك لأحد الفصول، قم بكتابة ملحوظاتك الشخصية في اليوميات.

الفصل الثاني
يسوع الذي لا مثيل له

لا يوجد شخص مثل يسوع. فيسوع يقف في وسط تاريخ البشرية. لو كنت قد سمعت عنه ولو مرة واحدة فلن تستطيع تجاهله. يوجد هؤلاء الذين يكرهونه، وآخرون يحبونه، وأيضاً آخرون يتناقشون ويتفلسفون عنه. وكثيرون يحاولون تجنبه، والبعض يحبون التعامل معه بينما آخرون يبذلون قصارى جهدهم في سبيل تدمير ملكوته. وعلى الرغم من ذلك، يوجد شيء لا يمكن حدوثه: وهو أنك لا تستطيع تجاهل يسوع، فهو شخص لا مثيل له.

مهما قال الناس عنه، فهو منقطع النظير، هو الكائن والموجود دائماً. شخص واحد مثل يسوع يكفي – لكل الأبدية. لا تحتاج البشرية لشخص آخر مثل يسوع. ما قام به، وشخصيته، وما قاله يكفي ليستمر ويبقى في البشرية كلها للأبد. إسم هذا الإنسان هو يسوع. وهو شخص لا مثيل له.

إنه موجود منذ البدء وسيبقى للأبد. لقد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك. لقد جاء لهؤلاء المحتاجين شفاء. لقد جاء ليصالح البشرية مع الله ويعيد مُلك الإنسان كممثل وسفير لله على الأرض. إسم هذا الإنسان هو يسوع المسيح. وهو شخص لا مثيل له.

إنه كافٍ لكل شخص حي، بغض النظر عن العرق والحضارة واللون والعقيدة واللغة أو الجنسية. لقد سار حيث نسير كل يوم، ناضل مع نفس الأسئلة التي نناضل معها يومياً، تعرض للتجربة تماماً مثلنا. عرف المرض والاضطهاد والرفض والألم والوحدة وسوء الفهم والخزي ومدح البشر مع فسادهم، وأيضاً تعرض لهجمات الشيطان. أحياناً كان يتعب مثلما نتعب نحن أيضاً. ولقد حكموا عليه ظلماً تماماً كما يحدث لنا أحياناً، ولقد تعرض أيضاً للمواقف التي لا توجد لها إجابات بشرية. لقد عاش هذه الحياة ليعلمنا كيف نحياها. هذا الإنسان إسمه يسوع. وهو شخص لا مثيل له.

لم يستطع أحد أن يُظهر استقامة ثابتة مثل التي أظهرها هو. كإنسان كان له جاذبية في شخصيته جذبت الآلاف له. حكمته أذهلتهم جميعاً، اهتمامه بالأطفال والخطاة جعلهم يتعجبون. وكلما طلب منهم ألا يخبروا عن معجزاته كلما ازدادوا في إخبار الآخرين. لم يتغير أبداً، لأنه لا يتغير أبداً، لم تكن في حياته أية إشارة للسعي للإضراب أو الثورة. ما كان يقوله لم يكن أبداً عكس ما يفعله. فأفعاله كانت مثل كلماته وكلماته كانت مثل أفعاله. هذه كانت حقيقته: هو النور، والطريق، والحق، والحياة، والراعي الصالح وخبز الحياة الذي يعطي الحياة. إنه شخص لا مثيل له.

إلوهيته ليس لها مثيل. فهو ابن الله وهو واحد في الثالوث المقدس. لقد كان هناك منذ البدء،

مع الله فهو الله نفسه – لا يمكننا مقارنته بأي وثن أو إله آخر. لا يوجد وجه مقارنة بينه وبين بعل، أو زيوس، أو هاري كريشنا، أو أرواح الأسلاف، أو أي وثن يمكن تصوره. إنه إله غير محدود وغير متغير، الكلمة، الشخص الذي نطق بالخليقة لتخرج للوجود، الموجود من الأزل وإلى الأبد. هو الذي يملك على خليقته والذي سيدين في مجيئه الثاني ويصدر القضاء النهائي وسيستمر يملك إلى الأبد. هو الحمل المذبوح والجالس في وسط العرش في السماء. لا يستطع أحد أن يأخذ مكانه لأنه لا يوجد من يستحق هذا المكان. فهو شخص لا مثيل له.

لا مثيل لمجده. بعد حياته على الأرض، وبعد ٤٠ يوم من قيامته، صعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب في كل مجده. ومن هناك يملك على كل شيء، وهو يشفع في المؤمنين وقريباً سيطلب منه الآب أن يصبح القاضي والديان وسيعطيه السلطان حتى ما يدين الأحياء والأموات الذين عاشوا عبر آلاف السنين. عندما رأى الرسول يوحنا يسوع المتجلي وصفه كالتالي:

" فَالْتَفَتُّ لأَنْظُرَ الصَّوْتَ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعِي. وَلَمَّا الْتَفَتُّ رَأَيْتُ سَبْعَ مَنَايِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِي وَسَطِ السَّبْعِ الْمَنَايِرِ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ، مُتَسَرْبِلاً بِثَوْبٍ إِلَى الرِّجْلَيْنِ، وَمُتَمَنْطِقاً عِنْدَ ثَدْيَيْهِ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ. وَأَمَّا رَأْسُهُ وَشَعْرُهُ فَأَبْيَضَانِ كَالصُّوفِ الأَبْيَضِ كَالثَّلْجِ، وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ. وَرِجْلاَهُ شِبْهُ النُّحَاسِ النَّقِيِّ، كَأَنَّهُمَا مَحْمِيَّتَانِ فِي أَتُونٍ. وَصَوْتُهُ كَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ. وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا." (رؤ١: ١٢-١٦)

رحمته لا مثيل لها. رحمته ليست عامة لكنها خاصة. إنه يضمن لنا رحمة فوق رحمة، لكن رحمته هي لكل شخص بطريقة خاصة. النعمة التي وعدنا بها لا مثيل لها، ووعوده لها قوة وهي حقيقية. لعصور كثيرة عاش البشر على هذه الوعود ولم يخزوا أبداً. لا يوجد حصر لوعود الله، لا يوجد ما يمنعنا من الحصول على هذه الوعود.

يبحث كثير من المؤمنين على إجابات أعمق وفهم أعمق للمسيحية، وكيفية الحياة كمسيحي في عالم لا يفهم جوهر أن تكون مسيحي. كيف يمكنني أن أعيش كمسيحي في عالم مركزه البشر، والذات قد أصبحت هي "الإله" ؟ حيث قد تعلمنا أن نفعل الأشياء بطريقتنا الخاصة، في حين أن الصليب وإنكار الذات والتضحية بالذات أمور غريبة ومبادئ غير مقبولة. حيث يكون من غير المناسب أن تعلن أن يسوع هو الطريق والحق والحياة. البعض يبحث عن إجابات وحلول وعلاقة أعمق مع الله وحياة روحية أقوى عن طريق الانتقال من كنيسة لأخرى، ومن حلقة دراسية لأخرى ومن نظام روحي لآخر، ومن خبرة لأخرى بدون أن يجدوا سلام أو ثمار تدوم. يسوع المسيح هو الحل. ولا توجد أية أسئلة لا يعرف لها إجابات، فهو يعطي الإجابات والحلول. يسوع هو إجابة الآب والحل الذي أعطاه الله لخطيئة وآلام العالم.

لقد كان يسوع مختلفاً، ومازال مختلفاً وسيبقى دائماً مختلفاً عن أي شخص آخر. لقد جاء ليُظهر لنا الطريق الآخر الذي علينا اتباعه. والفصل التالي سيتعامل ويشرح هذا الطريق الآخر.

الفصل الثالث
الصليب هو المركز

على تلة في منتصف التاريخ والأبدية، يوجد صليب خشبي. وهذا الصليب هو المركز الذي تدور حوله كل البشرية. الصليب البشري الذي علق عليه يسوع كمصلوب، غيَّر مجرى الجنس البشري بكل معنى الكلمة. هذه القطعة الخشبية الملطخة بالدماء أصبحت النقطة المحورية للتاريخ. سيدين الله العالم على أساس ما فعله حيال الصليب ومَن سمر عليه.

هذا الصليب هو حجر عثرة للبعض، وبالنسبة لآخرين هو عار وخزي ولآخرين هو موضوع خلاف. ومن ناحية أخرى، هذا الصليب هو بداية حياة جديدة، بداية الأبدية، الطريق لله، التأكيد على أن خطاياهم قد غفرت لأنهم يؤمنون في المسيح المصلوب.

يختلف معنى هذه القطعة الخشبية. البعض قد بدأ في عبادة الصليب نفسه بدلاً من عبادة المسيح المصلوب! الآخرون أقاموا حروباً باسم الصليب بدون أن يوصيهم المسيح المصلوب بذلك. ويوجد من يلبسون الصليب الذهبي أو الخشبي حول أعناقهم – لأنهم يحبون ويعبدون المسيح المصلوب. وآخرون حرقوا الصليب وحطموه ولعنوه واحتقروه – لأنهم يكرهون المسيح المصلوب.

يمكننا أن نفعل ما نحب بالصليب، نفعل أي شيء – ما عدا أن نتجاهله. فصليب المسيح يدفعنا للاختيار. فالكتاب المقدس كان واضحاً في أن الصليب هو مركز البشرية، ورسالة الله للبشر هي:

" فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ. وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً... لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً." (١كو ١: ١٨؛ ٢٣؛ ٢:٢)

"وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ (اليهود والأمم) فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ (بموته)، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ. لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَا عَلَى الأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ." (أف٢: ١٦، كو ١: ١٩-٢٠، ٢: ١٤)

صُلب المسيح على صليب اللعنة وأحضر رجاء الآب ومصالحته مع جميع الناس. الكثيرون يرغبون في ذلك بينما آخرون قسّوا قلوبهم للدرجة التي جعلتهم لا يفهمون معناه وآخرون احتقروه ورفضوه.

يقع الصليب في المركز. يحتاج العالم والجنس البشري وجميع الناس إلى نقطة مركزية

ومحورية، يحتاجون إلى سلطان يخضعوا له، شيء يركزون عليه، يعيشون من أجله، هدف وقوة خلاقة، إرشادات وهدف نهائي يعطيهم معنى واتجاه لحياتهم. وهذا كله نجده في الصليب وفي شخص يسوع المسيح المصلوب.

تشير الخليقة بكاملها للصليب – فالمستقبل مؤسس على الصليب كنقطة انتقال. وعندما تتحرك البشرية بعيداً عن الصليب ينتهي بهم الأمر في طريق مسدود، ويحدث عدم إتزان وتحريف للحق ونفقد أبعاد الماضي والحاضر والمستقبل. عندما يتحرك الصليب من المركز، تزداد المعركة بين النور والظلمة، ويزداد ثقل الفساد الأخلاقي وتزداد معاناة الفقراء والمحتاجين لدرجة لا يحتملها أحد. ويضغط علينا العدد الكبير للنفوس الضالة للدرجة التي لا نريد أن نقبل الحق بأن البشرية لا يمكنها التصالح مع الله إلا عن طريق الإيمان بالمسيح. و عندما لا يفهم الناس الصليب وعمل المسيح المصلوب الكامل يتجهوا للإنتحار، وتتدهور المجتمعات بالفوضى السياسية والعنف ويصبح الناس مصابون بالتشويش والبحث عن القوة وإدخار المال في سعيهم للبحث عن معنى للحياة.

لكن عندما يتحرك الصليب والمصلوب للمركز وينحني الناس أمام المسيح المصلوب، يصلوا إلى نهاية بحثهم، ويبدأون في الهدوء، وفي ترك همومهم، والسير بأمل في اتجاه المستقبل، وفي الإعداد لوضع حياتهم من أجل *انتشار الإنجيل*.

كان الصليب بالنسبة لليهود علامة على دينونة الله. فالصليب كان علامة على اللعنة، ووصمة عار. كان أكثر طرق الموت إهانة واحتقار بالنسبة لليهودي هو أن يموت معلقاً على صليب. فلقد كان علامة الله على اللعنة، وعلى قضائه الإلهي والانفصال عن الله للأبد. مات يسوع على صليب اللعنة هذا ليأخذ خطايانا على نفسه وليضع نهاية لانفصالنا عن الله – وليس لأنه يستحق الموت عليه.

موت يسوع على الصليب كان عطية ذبائحية بديلة. وبدون يسوع المسيح المصلوب، لما كان للصليب أي معنى. فبدونه لأصبح الصليب مجرد شيء خشبي. فمعنى الصليب هو شخص يسوع المسيح، شخصه وما قد أتى ليفعله. فعن طريق الصليب أعلن الله الآب عن رغبته في فعل أي شيء ليتصالح مع هؤلاء الذين خلقهم، وليعيدهم لمكانتهم كممثلين له على الأرض. أخذ الآب ابنه وصلبه لأنه لم يكن هناك طريقة أخرى لخلاص الجنس البشري. فما أعظم هذا الإله الذي نخدمه!

لقد تسبب الصليب الروماني الذي صُلب عليه يسوع في موته الجسدي. وكانت هذه هي طريقة يسوع ليظهر لنا أن خطايانا وذنوبنا هي التي تسببت في موتنا الروحي (أف١:٢٠ – ١:٢). مات يسوع جسدياً، لكنه أقيم من الأموات جسدياً أيضاً. وبهذا انتصر على الموت، ودمر شوكة الموت. بموته وقيامته أعطانا حياة روحية. لكن أكثر من مجرد حياة روحية:

فعلى الصليب أعطانا أيضاً حياة أبدية.

معنى الصليب ببساطة رائع وأيضاً الصليب بسيط بشكل رائع. فهو فعل عملي وعمل رمزي للدرجة التي تجعل حتى الأطفال يستطيعون فهمه، ومع ذلك، وفي نفس الوقت، فهو حدث واسع الإدراك وفذاً للدرجة التي تجعل أكثر العقول البشرية عبقرية غير قادرة على فهم جميع أبعاده بالكامل.

سيظل الصليب عبر كل العصور هو المركز – وكل كائن بشري يجب عليه أن يختار موقفه فيما يتعلق بالصليب، إما أن يقبله أو يرفضه. وهؤلاء الذين سيأخذون القرار بجعل الصليب مركزاً لحياتهم، هم من سيسيرون في الطريق الآخر.

الفصل الرابع
لماذا جاء ؟

أحد الأسئلة الرئيسية عن حياة يسوع هو السؤال "لماذا جاء يسوع للأرض؟" ماذا قال يسوع نفسه عن هذا الأمر؟ من الشيق والهام أن نقوم بعمل دراسة في إنجيل يوحنا ونلاحظ السبب الذي من أجله جاء يسوع. كثيراً ما استخدم يسوع عبارات سلبية عندما كان يشرح لماذا جاء إلى الأرض بأن يشير إلى *ما الذي لم يأت ليفعله وما هي الأشياء التي لا تتضمنها مهمته.*

لم يأتِ يسوع ليفعل أي شيء من نفسه. الق نظرة على الجزء الكتابي التالي: " فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً..." (يو٥:١٩) " وأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً..." (يو٥:٣٠) لم يأتِ يسوع ليفعل إرادته، لكن إرادة الآب الذي أرسله: "... كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي." (يو٥:٣٠)؛ " لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي." (يو٦:٣٨)؛ " قال لَهُمْ يَسُوعُ: «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ." (يو٤:٣٤)

"لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ." (مت٥:١٧) لقد كان يسوع هو الشخص الوحيد الذي استطاع أن يطيع الناموس بالكامل ويحقق متطلباته، وبذلك استطاع أن يبطل ويزيل لعنة الناموس. وبدون يسوع كان الناموس سيديننا باستمرار، لكن جاء يسوع ليحررنا من قيود الناموس، وجاء ليعطينا ناموساً جديداً – ناموس الحياة في يسوع المسيح.

" لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً." (مت١٠:٣٤) يا لها من كلمات قوية. لم يأتِ يسوع ليحضر سلاماً، بل نزاعاً. كثير من الناس يفكرون في يسوع كشخص لطيف ومحب ورحيم – وبالطبع هو كذلك – لكننا نادراً ما نفكر فيه أيضاً كالله الذي يقضي ويأتي بتفرقة بين النور والظلام، الحق والباطل، البر والظلم، الصواب والخطأ. يتابع يوحنا في (يو٩:٣٩) " لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ."

لم يعلم يسوع شيء من نفسه. كل ما علمه، أخذه من الآب: ".. تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي." (يو٧:١٦)؛ "... لَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي." (يو٨:٢٨)؛ " الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ." (يو١٤:١٠)

لم يأتِ يسوع ليمدح الناس ويمجدون إسمه. " مَجْداً مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ." (يو٥:٤١) " أَنَا

لَسْتُ أَطْلُبُ مَجْدِي. يُوجَدُ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ." (يو٨:٥٠)

لم يأتِ يسوع للأرض بنفسه. لكن أبوه هو الذي أرسله وأوكل إليه المهمة. " وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ." (يو٧:٢٨) " لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي." (يو٨:٤٢)

لم يأتِ يسوع ليدين العالم. "لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ." (يو١٢:٤٧) " لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ." (يو٣:١٧)

ما هو إذاً الغرض الذي لأجله جاء يسوع ؟

"وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ." (يو١٠:١٠) لقد أوكل الآب للإبن مهمة إحضار الحياة مرة أخرى للناس، الحياة الأفضل. وحيث يحضر يسوع الحياة بملئها، هناك يكون يسوع قد حقق هدفه وأتم مهمته.

" تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ." (مت١١: ٢٨-٣٠) أتى يسوع لكل المتعبين والثقيلي الأحمال. لقد جاء ليعطي السلام والهدوء. وهو يريد أن يريحنا من أحمالنا الثقيلة ويغيرها بأحمال خفيفة. (١بط٥: ٧) يعلمنا: " مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ."

"لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ." (مت٩: ١٣) "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ." (لو١٩:١٠) كتب بولس: " أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ.." (١تي١:١٥) واحدة من أهم الأسباب التي جاء من أجلها يسوع على الأرض هي أن يحرر الخطاة من خطاياهم وأن يصالحهم مع الله. لا يستطيع أي شخص آخر أن يفعل ذلك، لا يوجد شخص أو مخلوق في الكون يستطيع أن يتمم هذا الأمر. يسوع وحده هو القادر على هذا الأمر، ولهذا السبب يجب أن نسبحه للأبد. " لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ." (يو٣:١٦) " كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ." (مت٢٠:٢٨) بالفعل، أخذ يسوع صورة خادم وعبد. لقد جاء ليخدم وليعطي حياته فدية عن كثيرين. ما هي الفدية؟ إنها ثمن فداء وخلاص البشرية من اللعنة ومن قوة الخطية، وثمن كسر قيود الشر التي تقيدنا، وثمن لاحتمال عقاب الله العادل لخطايانا.

" لأَجْلِ هَذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ." (١يو٣:٨) جاء يسوع ليكسر قوة الشرير وقيوده على البشر. تعلمنا (كو٢:١٥) أنه قد جرد رياسات وسلاطين الشر وأشهر بهم جهاراً وانتصر عليهم وسباهم. في (عب٢: ١٤-١٥) نقرأ: " فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ."
"إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضاً بِمَلَكُوتِ اللهِ لأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرْسِلْتُ." (لو٤:٤٣) الأخبار السارة هي لأجل كل البشرية. ولابد أن يسمعها الجميع. ولهذا السبب جاء يسوع – حتى ما يسمع الجميع الأخبار السارة. ذهب من مدينة إلى مدينة ينشر الإنجيل ثم قام تلاميذه بنفس الشيء، حتى ما يسمع الجميع أن هناك فداء للخطايا.
"جِئْتُ لأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الأَرْضِ فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ (وكم أتمنى أن تكون قد اشتعلت بالفعل!)" (لو١٢:٤٩) هذا الإعلان يسهل إساءة فهمه. قال يسوع بوضوح أنه جاء ليلقي ويشعل ناراً. ما هي النار التي يشير إليها؟ أولاً، يسوع يتكلم عن معمودية الروح القدس والنار. لقد جاء ليعتمد الناس بالروح القدس والنار. لكن النار التي جاء يسوع ليشعلها هي أيضاً نيران التطهير والقضاء. ونقرأ في (١كو٣:١٣): " فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِراً لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ."
لقد جاء يسوع ليعلن الحق لنا. " أَنْتَ تَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ. لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي." (يو١٨:٣٧) لقد جاء يسوع ليشهد للحق. يسوع هو نفسه الحق. (يو١٤:٦) ولهذا السبب يمكنه أن يشهد للحق. عندما سأله بيلاطس، "مَا هُوَ الْحَقُّ؟" لم يجيبه يسوع، لأن الحق ليس "شيئاً"، ليس مبدأ، لكنه "شخص"، إنه يسوع نفسه.

لقد جاء يسوع ليعيد للجنس البشري وظيفته كممثل ونائب لله على الأرض. "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (رو٥:١٧) السبب الرئيسي الذي لأجله جاء يسوع ليس هو تحرير الناس من خطاياهم. لكنه جاء، أولاً، ليرد لنا وظيفتنا كممثلين وسفراء عن الله.

السؤال الآن هو: هل نجح يسوع في حياتك؟ ما الذي أنجزه يسوع في حياتك؟ هل تمم ابن الله مقاصده لحياتك، أم أنه عليك الاعتراف أن ابن الله لم يستطع أن يتمم في حياتك ما قد أتى من أجله؟ إذا لم ينجح، هذا ليس لأنه لا يستطيع، بل لأنك لم تسمح له بذلك.

عندما ينجح يسوع في حياتك، ستستطيع أن تسير في الطريق الآخر معه.

الفصل الخامس
إله يعقوب

"... أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. لَيْسَ اللَّهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ." (مت٢٢: ٣١-٣٢)

" لِيَسْتَجِبْ لَكَ الرَّبُّ فِي يَوْمِ الضِّيقِ. لِيَرْفَعْكَ اسْمُ إِلَهِ يَعْقُوبَ." (مز٢٠:١)

" كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ. إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا. وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِئِيلَ. وَشَأَلْتِئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ." (مت١: ١-١٦)

يا له من شعور محبط ومخيب للأمل أن نكتشف بمرور الأعوام عيوبنا ونقاط كسرتنا وخطايانا. وهذا يحيرنا ويجعل الكثير منا يصاب باليأس. وبالأخص إذا أصبحنا مؤمنين، وإذا كنا مسيحيين ممتلئين بالروح القدس، ومع ذلك نظل نكتشف نقاط إنكسار وضعف وخطايا في أنفسنا.

قصة يعقوب تفتح لنا باب وتعطينا رجاء وحرية. فأثناء خروج إسحق وعيسو للعالم، أمسكت يد يعقوب بكعب أخيه، ومصطلح "إله يعقوب" تترجم حرفياً بمعنى "إله من أمسك بكعب أخيه، الذي حل محل أخيه، والمعنى المجازي لها هو المخادع". فلقد كان يعقوب ذلك النوع من البشر الذي يجعل عين من عيونه مفتوحة طوال الوقت. ويكون عليك أن تحرس ظهرك عندما يكون موجود معك في مكان واحد. وهو نوع لا ترغب في مصادقته، فأنت لا تستطيع الثقة فيه. فلقد كان هو الشخص الذي خدع أخيه وأخذ منه كل شيء، الشخص الذي يشعر أن الكذب على أبيه وخداع حماه أمراً عادياً.

وعلى الرغم من ذلك نقرأ أن الله تبع هذا الإنسان. وتعامل مع هذا الإنسان. ولم يكن يشعر

بعدم الإرتياح معه. ومن هنا فصاعداً نقرأ عن إله يعقوب في الكتاب المقدس. كان الله يبحث عنه. وعندما كان هارباً من أخيه، ذهب الله معه. وعندما كان نائماً في الليل، أعلن الله ذاته ليعقوب عند بيت إيل. وبعد سنوات، عندما عاد يعقوب إلى بلده، بدأ الله في الصراع معه بدون سابق إنذار عند يبوق. واستمر هذا الصراع طوال الليل حتى سأل الله يعقوب، "ما هو اسمك؟" وبتعب وبأنفاس مقطوعة أجاب قائلاً: "يعقوب، الذي أمسك بكعب أخيه، المخادع." وعندئذ فقط تركه الله وأصبح إله يعقوب.

دعى الله أيضاً نفسه إله يهوذا. وكان يهوذا أيضاً شخصاً لا تحب أن يكون من سلالة نسبك. شخصاً تفضل أن لا يقرأ أطفال المدارس قصته في (تكوين٣٨)، شخصاً لن تحب أن يكون هو أبوك أو جدك. أنظر إلى تاريخه. لقد سار ضد رغبات والديه وتزوج بفتاة كنعانية، وكان ابنه الأكبر شريراً جداً للدرجة التي جعلت الله يأخذ حياته في سن مبكر. وبعد ذلك دخل يهوذا على امرأة كان يظن أنها زانية، لكنه اكتشف بعد ذلك أنها كانت زوجة ابنه. نقرأ في نسب يسوع: "يعقوب أبو يهوذا، يهوذا أبو فارص." فارص هو الطفل الذي ولد نتيجة سفاح القربى.

لم يخجل أو يتعطل الله بسبب يهوذا وضعفاته (شره وعدم إستقامته). ودُعي يسوع الأسد الخارج من سبط يهوذا. اقرأ (رؤ٥:٥): " فَقَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ: «لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ».

يوجد أمثلة لا حصر لها في الكتاب المقدس عن مؤمنين مشهورين فشلوا في بعض الأوقات. فيوجد إبراهيم، الذي لم تكن لديه شجاعة ليخبر فرعون أن سارة امرأته. ولكن الله دعى نفسه إله إبراهيم.

وهو أيضاً إله بطرس، الشخص الذي أنكر سيده. بطرس صاحب الصوت العالي، الشخص المتهور المندفع والطائش. بطرس الذي أدار ظهره للإنجيل وعاد لصيد الأسماك ونسى دعوته. نفس الشخص هو الذي اختاره الله وجعله عمود لملكوته.

وهو أيضاً إله راعوث الموآبية، الأمة التي يعود أصلها إلى ابن لوط الناتج عن سفاح القربى. وهو إله سليمان، الملك الذي كانت لديه ألف زوجة وسرية وفي نهاية حياته عبد آلهة أخرى. ويوجد أيضاً في نسب يسوع أحاز، وهو الملك الذي كان أشر من كل الملوك الذين جاؤا قبله، وحزقيا وعزيا الملكان اللذان أصبحا متكبرين، ومنسى أكثر ملك شرير في كل ملوك الكتاب المقدس.

الله إله يعقوب، هو أيضاً إله راحاب الزانية. هذه المرأة ذات السمعة السيئة أيضاً ذُكرت في نسب المسيح فقط على أساس نعمة الله ورأفته. أصبح الله إله راحاب المرأة المخزية.

هو إله داود، الملك الذي قتل وزنى. والذي دُعي رجلاً حسب قلب الله.

الله أيضاً هو إله المرأة السورية الفينيقية، المرأة التي قارنها يسوع بكلب. وضع يسوع حياته من أجل هذه المرأة، لأنه لم يسمح لها أن تأكل "الفتات" الذي يسقط من مائدة البنين؟ وهو الإله الذي لم يدِن المرأة الزانية (يو٨)، كما لم يدِن المرأة التي كان لها خمسة أزواج (يو٤). هو إله اللص الذي كان على الصليب. وهو إله البرص والمنبوذين و"غير الطاهرين" في المجتمع. هو الإله الذي لا يقصف قصبة مرضوضة ولا يطفيء فتيلة مدخنة.

هل نختلف كثيراً عن يعقوب وداود والأبرص ويهوذا وراحاب وبطرس والمرأة الزانية؟ " كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا." (إش٥٣:٦) كتب بولس: " فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيْ فِي جَسَدِي شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ." (رو٧: ١٨ – ١٩ و٣: ١٠) لهذا السبب وهذا السبب وحده، كل منا مؤهل ليأخذ معونة منه. فهو إله الرجاء. هو الإله الرحيم والرؤوف. هو الإله الذي يغفر وينسى، من يُصلح ويشفي. هو الإله الذي يصنع أمراً جديداً مرة أخرى. هو الإله الذي يبدأ من جديد. هو صديق العشارين والخطاة. فكثيراً ما كان يزور ويأكل في بيوت العشارين والزناة والمسكونين بالأرواح الشريرة.

هو الله، ظلنا. فكر في هذا الأمر: ظلنا. (مز٩١: ١–٢) يعطينا السماح للجلوس والراحة في ظله، ويوجد أوقات يختار فيها الله كلي السلطان أن يصبح ظلنا.

فهو لا يتركنا أبداً، بل يسير معنا ويتماثل معنا. ولا يخجل أن يكون إلهنا. الله لا يخجل أبداً منا ولم يرِد أن يغيب عن صحبتنا.

خطيتك وانكسارك لا تفاجئ الله أبداً. فخطيتك وانكسارك ليسا أبعد من قدرة الله وليسا أعمق من قدرته على رفعهما عنك بنعمة الله.

أعطى الله ابنه حتى لا يصبح أي منا مؤمن هزيل أو من الدرجة الثانية. فأبونا أعطانا وسيط ورئيس كهنة، يسوع المسيح البار، الذي أنقذنا من خطايانا وكانت لديه رحمة على ضعفاتنا. يعلم الله أننا مصنوعين من التراب، في الحقيقة هو الذي خلقنا بهذه الطريقة. لكن الله أعظم من ضعفاتنا وخطايانا. فخطايانا وضعفاتنا لا تخيفه، ولا تخجله. ولا يقف معصوب اليدين في عجز لأنه لا يعرف ما يجب أن يقوم به معنا. لا فهو فادي قوي، وهو معيننا، وهو الذي وفر لنا خروف الفصح. وهو مثل ظل صخرة عظيمة في أرض قفر قاحلة، أب عنده رحمة علينا. وهو بلسان جلعاد، شافي كل الجروح والأمراض. جراحاته جعلت هذا الأمر ممكناً.

لقد جاء من أجل القاتلين والسارقين والسكارى والشواذ جنسياً والمغتصبين والمدمنين، والذين لا أخلاق لهم، والوثنيين، والبخلاء والجشعين والمفترين والمخادعين والزناة

والمنبوذين: "وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لَكِنِ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا." (١كو٦:١١) فهو يعرف الإنكسار والرفض والحقد والسخرية وتشويه السمعة والإحتقار والفشل واليأس والوحدة الموحشة. فالسيد بنفسه هو الذي صرخ في يأس على الصليب: "إلهي، إلهي لماذا تركتني؟" فلقد رُفض من الناس واحتُقر واستُهزئ به ورُذل وبُصق عليه والذي تأذى وضرب وفي النهاية مات. وهو أيضاً الذي قال عنه الكتاب رجل أوجاع ومختبر الحزن، وكان يعرف المرض. في مزمور ٢٢ دعى نفسه دودة لا إنسان. وهو الذي طعن من أجلنا وأصبح في عيون العالم فاشلاً. وهو الحجر الذي رفضه البناؤون. وهو إله يعبيص. ويعبيص يعني "الشخص الذي يسبب الألم". ففي أثناء ولادته دعته أمه "يعبيص"، والذي يعني أيضاً "أنت تسبب ألم". ورغم ذلك فقد دخل ضمن مشاهير العالم. في كل مكان كان يذهب إليه كان يسبب الألم. إلى أن جاء الوقت الذي دعى فيه يعبيص إله إسرائيل! وكان اسم إسرائيل في البداية هو يعقوب. ويعقوب المخادع أصبح إسرائيل والذي يعني: أمير الله. صرخ يعقوب لله في تكوين ٣٢ وسمع الله له، وباركه وغير إسمه إلى إسرائيل. وبنفس الطريقة صرخ يعبيص لإله يعقوب، " لَيْتَكَ تُبَارِكُنِي، وَتُوَسِّعُ تُخُومِي، وَتَكُونُ يَدُكَ مَعِي، وَتَحْفَظُنِي مِنَ الشَّرِّ حَتَّى لاَ يُتْعِبُنِي. فَآتَاهُ اللَّهُ بِمَا سَأَلَ." (١أخ٤: ٩-١٠) يستطيع الله أن يسمعك. ادعوه. سيغير حياتك. سيبعد خزيك واستهزاء الآخرين بك، وعجزك وخطاياك. سيريحك من ألمك. سيحررك من ميلك للتسبب في ألم للآخرين. فهو إله قُطاع الطرق، والعاهرات، والعاملين في الدعارة، وتجار ومدمني المخدرات، والسحرة وكهنة الشيطان. فلمثل هؤلاء، الخطاة، لهؤلاء المحتاجين للشفاء، أرسل الله ابنه للعالم حتى ما يغسلهم دم المسيح ويطهرهم من خطاياهم.

إنكساراتنا وخطايانا لا تفاجئ الله، أو تفرض عليه حدود من أي نوع. فهو إله متاح لك الآن، في هذه اللحظة، إله قادر أن يفعل المستحيل على البشر. هو الإله الذي يحطم القلوب الصخرية، إله يستطيع أن يعطيك قلباً جديداً، القادر على إزالة المرارة، وعدم القدرة على الغفران، والكراهية، ويضع مكانها سلام عظيم ورجاء ومحبة.

إله يعقوب هو إله النعمة التي لا تصدق، النعمة الغريبة، النعمة اللانهائية، لأن إنجيل يسوع المسيح هو إنجيل النعمة والنعمة الأكبر. " وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ." (يو١:١٦) فلقد كان يعلم أننا نحتاج بركة بعد الأخرى.

الله أعظم، دائماً أعظم. نعمته أعظم. مضمونه إلى أبد الآبدين. فهي تكفي لك ولي. هذه النعمة الفائضة هي التي تجعل السير معه في الطريق الآخر أمراً ممكناً.

الفصل السادس
الحق على فراش الموت

إنها حقيقة تاريخية وإحصائية أن ١٠٠% من الناس يموتون. السؤال الأكثر أهمية بعد السؤال عن معنى الحياة هو السؤال التالي: "هل توجد حياة بعد الموت، وإذا كانت هناك حياة، أين سأقضي هذه الحياة؟"

هؤلاء الذين يأتون لمعرفة يسوع المسيح ويصبحون مسيحيون يصبح لديهم اتجاه مختلف للموت. الديانة المسيحية هي الديانة الوحيدة التي تعطي تأكيد ١٠٠% للحياة اللانهائية والأبدية في السماء. فالبوذية تشجع الناس على الحياة المهذبة والمنضبطة حتى ما يستطيعون الوصول إلى حالة "النيرفانا" عن طريق آلاف السنوات من التناسخ. وديانات أخرى مؤسسة على نسبة الأعمال الصالحة والسيئة: وتصبح لك فرصة فقط عندما تكون أعمالك الحسنة أكثر من السيئة، لاحظ، فقط فرصة، للذهاب للسماء. وفي عبادة الأسلاف لا توجد سماء على الإطلاق، بل حياة مقدرة بالخوف المستمر من قوات الشر التي تمثل تهديد دائم. وفي النهاية، وعلى أبعد تقدير، يوجد أمل في رؤية الأسلاف مرة أخرى. والهندوسية تعلن فقط عن عملية التناسخ عن طريق حياة الأعمال الصالحة والذبائح للآلهة.

الإختلاف الرئيسي والجوهري بين المسيحية وبين أية ديانة أخرى تكمن في عملية الخلاص. ففي أكبر ديانات العالم، الفداء الذاتي هو الطريق الوحيد للخلاص. ويحدث الخلاص عن طريق الأعمال الصالحة أو عن طريق تطوير وتحسين نفسك للدرجة التي فيها في النهاية تصبح أنت نفسك إله. وهذا صحيح في الهندوسية والبوذية وفي حركة العصر الحديث وفي ديانات أخرى كثيرة. تحقق الديانات الغير مسيحية الخلاص بالتقيد والإلتزام بقوانين محدده ونظام فلسفي، وعمل أعمال حسنة، وإحضار تقدمات أو الحياة وفقاً لتأديبات وذبائح وتقشفات معينة.

الخلاص في المسيحية لا يعتمد على ما أقوم به، بل على ما أستقبله، وما قد تم بالفعل من أجلي. الخلاص لا يتم عن طريق ما أقوم به، أو ما لا أقوم به، أو ما تحضره لي الذبائح. بل الخلاص يعتمد على الشخص، يسوع المسيح. وهذا هو الإختلاف الجذري بين الإيمان المسيحي والديانات الأخرى. المسيحية مؤسسة على مبدأ أننا كائنات بشرية منكسرة وأنه لا يوجد شيء نستطيع القيام به لنخلص أنفسنا. ابن الإنسان، ابن الله، يسوع المسيح، حررنا من خطايانا بأن دفع ثمن خطايانا بحياته الشخصية على الصليب. وهذا يقف على العكس مع الديانات القديمة والحديثة.

في المقام الأول، لا تعرف كثير من الديانات مفهوم الخطية. وإلى جانب ذلك، لا يوجد

لديهم أي مفهوم عن المحبة والنعمة والرأفة أو الرحمة.

دفع يسوع المسيح الثمن للمشهورين وللمحتقرين. فالباب مفتوح للجميع. قال يسوع، *تتلستاي tetelestai*، والذي يعني، "قد أكمل"، الثمن الكامل لخطية كل واحد منا قد دفعت. والأمر متوقف علينا، على كل واحد فينا، أن يختار إما أن يؤمن به ويطلب من الله الغفران أم لا.

كثيراً ما يواجه الناس حقيقة الحياة عندما تصل حياتهم إلى النهاية. والبعض عندئذ يكتشف أنه قد أضاع حياته على أشياء لا قيمة لها.

لا يموت المسيحيون وغير المسيحيون بنفس الطريقة. فالمسيحيون الحقيقيون يموتون في سلام لأنهم يموتون بالرجاء والمعرفة الأكيدة أنهم سيعبرون من هذه الحياة إلى الحياة الأبدية. فالمسيحيون يموتون ليحيوا إلى الأبد. أما غير المسيحيون ففي الأغلب يموتون بمشاعر خوف قدرية وغير واثقة، لأنهم لا يعلمون ما الذي ينتظرهم بعد الموت.

العبارات التالية هي بعض الأمثلة عن عبارات نطق بها غير مؤمنين على فراش الموت :

**جين بابتيست لولي Jean Baptiste Lully*، وهو كاتب إيطالي معروف أثناء حكم لويس الرابع عشر ملك فرنسا. وفي ضوء حياته الشريرة إقترب من الموت وفي رقبته حبل معلق كعلامة على الندم. وبنفس حزينة، صرخ بألم عظيم: "خاطي، لابد أن تهلك!"

**الكاردينال سيزار بورجيا Cardinal Cesare* Borgia، رجل سياسي إيطالي (١٥٠٧): "لقد قمت بالإستعداد لكل شيء أثناء حياتي – فيما عدا الموت، والآن يجب أن أموت بلا إعداد على الإطلاق."

**تشارلز تاليراند بريجورد Charles Talleyrand-Périgord* رجل سياسي فرنسي (١٨٣٨): "أعاني من آلام الخاسر."

**تشارلز التاسع ملك فرنسا* (١٥٧٤): "إني ضائع. أدرك هذا بوضوح شديد الآن."

**هوبيز Hobbes* فيلسوف بريطاني (١٦٧٩): "أنا الآن أقف أمام قفزة مخيفة في الظلام."

**السيد توماس سكوت Sir Thomas Scott*، رئيس سابق لمجلس الشيوخ البريطاني: "حتى هذه اللحظة اعتقدت أنه لا يوجد إله ولا يوجد جحيم. لكن الآن أعلم أن الإثنين موجودين وأنني قد سُلِمت إلى جهنم بسبب القضاء الشرعي للقدير."

**لنين Lenin* كان مجنوناً عندما مات. فلقد أخذ يتوسل للمناضد والكراسي أن يغفروا له خطاياه.

*تشارلز تشرشيل *Charles Churchill*، الشاعر الإنجليزي الذي عاش حياة لا أخلاقية ومات في عام ١٩٦٤ صرخ قائلاً: "يا لي من إنسان غبي!"

*سأل يوليوس قيصر: "هل تعتقد أنني قمت بدوري بطريقة جيدة؟"

**جاجودا* Jagoda، رئيس البوليس السري الروسي: "لابد أن هناك إله. فإنه يعاقبني على خطاياي."

**الإمبراطور الروماني يوليانوس Julianus*، كان يُعرف أيضاً بيوليانوس الغير أمين، صرخ: "لقد إنتصرت يا أيها الجليلي!"

**الملك فيليب الثالث* ملك فرنسا صرخ: "ما الذي سأقوله لله؟ لكم أتمنى لو كنت قد عشت بطريقة مختلفة."

**الخليفة عبد الرحمن الثالث*، سلطان أسبانيا، قال في نهاية حياته: "مر خمسون عاماً منذ أن أصبحت خليفة، الغنى والكرامة والمتعة – استمتعت بكل هذا. ومن كل الفترة الطويلة من السعادة الظاهرة أحصيت الأيام التي كنت فيها سعيد بحق فكانت أربعة عشر يوماً!"

**الملكة إليزابيث الأولى* ملكة إنجلترا (١٦٠٣) كانت إمرأة عنيدة ومتعجرفة ومتقلبة المزاج وعاشت حياة متحيرة بالشك، والتي كان في حجرة ملابسها ٢٠٠٠ رداء من أغلى الملابس. كانت كلماتها الأخيرة: "كل ممتلكاتي هي فقط للحظة من الزمن."

**جاروسلاوسكي Jaroslawski* رئيس حركة الإلحاد العالمية: "من فضلكم أحرقوا كل كتبي! أنظروا الإنسان المقدس! لقد انتظرني لفترة طويلة – إنه هنا!"

*بوذا: "لم أستطع الوصول لهدفي!"

**فولتير Voltaire*، الفيلسوف الفرنسي المعروف (١٧٧٨)، قال أثناء حياته أن الكتاب المقدس سيصبح كتاب غير معروف في خلال خمسين سنة بعد موته. ولسخرية القدر، أصبح بيته يستخدم اليوم كمخزن للكتاب المقدس. كانت ليلته الأخيرة على الأرض مؤلمة جداً. فلقد قالت الممرضة الراهبة التي كانت معه في الليلة التي توفى فيها: "لو دفعوا لي كل المال الموجود في أوروبا فلن أوافق على رؤية شخصاً غير مؤمناً آخر يموت." فطوال الليل كان فولتير يتوسل من أجل الغفران. وعلى فراش موته صرخ في وجه طبيبه، "أنا متروك من الله والناس! سأذهب إلى الجحيم. سأعطك نصف ما أمتلك إذا أعطيتني ستة أشهر أخرى لأعيشها. وسأذهب إلى الجحيم وستذهب أنت معي. يا يسوع المسيح! يا يسوع المسيح!"

**ديفيد هيوم David Hume* فيلسوف ملحد، صرخ: "أنا في النار!" كان يأسه مؤلم لدرجة الشهادة به.

*كتب طبيب نابليون: "الإمبراطور يحتضر في وحدة وهجر. إنه لأمر بشع أن تراقب صراعه مع الموت."

هؤلاء كانوا رجال ونساء، مثل الملايين الآخرين عبر العصور، لم تكن لهم علاقة مع الصليب والمصلوب، وبسبب هذا خسروا الإكليل.

لكن عندما نأخذ نظرة على الكلمات الأخيرة التي نطق بها مؤمنين قبل موتهم، سنجد أن الأمر مختلفاً تماماً.

قبل موته على الصليب، صرخ يسوع: "قد أكمل!" و"يا أبي في يدك أستودع روحي."

*كاثرين بوث *Catherine Booth* زوجة مؤسس جيش الخلاص: "المياة ترتفع وأنا أرتفع معها. إنني لا أنزل تحتها بل فوقها. لا تهتم بالموت، اذهب وعش حياة جيدة، ثم ستجد أن الموت أمراً لا بأس به."

*دوايت مودي *Dwight Moody* الواعظ الأمريكي الذي قاد الآلاف للمسيح: "أرى الأرض تتراجع والسماء تنفتح. والله يدعوني."

*وليم كاري *William Carey* أب حركة الإرساليات الحديثة: "عندما أذهب لا تتكلموا عن دكتور كاري، بل تكلموا عن مخلص دكتور كاري."

*يوحنا بنيان *John Bunyan* مؤلف كتاب سياحة المسيحي: "لا تبكوا عليّ بل على أنفسكم. فأنا ذاهب إلى أبو ربنا يسوع المسيح، الذي بلا شك سيقبلني من خلال وساطة إبنه المبارك رغم أني إنسان خاطئ."

*ديفيد برنارد *David Brainerd* الذي عرف أسرار التشفع والذي استخدمه الله بطريقة قوية وسط الهنود الحمر: "سوف يأتي ولن يتأخر. سأكون سريعاً في المجد، سريعاً مع الله وملائكته."

*بوليكارب *Polycarp*، أسقف سميرنا، الذي كان يعرف الرسول يوحنا، أُرسل حتى ما يعلق ويحرق لأنه رفض أن ينكر يسوع ويعبد الإمبراطور الروماني. عندما طلبوا منه لآخر مرة أن ينكر المسيح، قال هاتفاً: "خدمت المسيح لمدة ستة وثمانين عاماً، ولم يصنع معي أمراً واحداً سيئاً، كيف إذاً يمكنني أن أنكر ملكي ومخلصي؟" فقال الجندي الروماني المسئول عن إعدامه: "سألقي بك للوحوش الضارية." ثم أجاب قائلاً: "أحضروه". ثم هدد الجندي بوليكارب بأنه سيعلقه ويحرقه. فأجابه بوليكارب: "أنت تهددني بنار ستدوم لمدة ساعة وتنسى نار الجحيم التي ستدوم بلا انقطاع." ثم أخذوه إلى النار وعلقوه وأحرقوه.

*جون ويسلي *John Wesley* صرخ بانتصار مرتين: "أفضل شيء هو أن الله معي!" ثم مات.

*المصلح مارتن لوثر *Martin Luther* قال: "في يدك أستودع روحي. فلقد أنقذتني يا إله الحق."

*جون نوكس *John Knox* أخبر زوجته: "اقرأي لي من حيث ألقيت بمرساتي أولاً." فقرأت له من يوحنا ١٧. وبتنهد هادئ نطق بآخر كلماته، "لقد أتى."

هذه أمثلة قليلة عن رجال ونساء ماتوا في المسيح. وفي حياتهم حملوا الصليب، لكن بطول

الأبدية سوف يحملون الإكليل. فبدون الصليب لا يوجد إكليل.

كثير من الناس يعيشون وكأنهم لن يموتوا أبداً. لكننا يجب أن نعيش بطريقة بها نكون مستعدين دائماً للموت. الموت أمراً محتوماً. فلذلك استعد وكن جاهزاً لتموت في أية لحظة. يا لها من مأساة عندما يدبر الناس من أجل شيخوختهم، ويضعوا سياسات ويختاروا معونات طبية بحرص شديد ويكتبوا وصيتهم، لكن كثيراً ما لا يستعدوا ويجهزوا من أجل ملاقاة الله.

يوجد أمر حتمي: "... وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ." (عب٩:٢٧) لا يمكن لأحد أن يهرب من الدينونة. فقط المسيحيين الذين قد تصالحوا مع الله عن طريق المسيح، لا يحتاجون إلى الخوف من الدينونة. نقرأ في (رؤ٢٠: ١١-١٥) عن العرش الأبيض العظيم الذي سيقف أمامه الجميع عندما تفتح الأسفار. هؤلاء فقط الذين كتبت أسمائهم في سفر الحياة هم من سيعطوا حياة أبدية. وهؤلاء الذين لم تكتب أسمائهم في سفر الحياة سيطرحوا خارجاً في بحيرة النار – وهذا هو الموت الثاني.

هؤلاء الذين يعيشون في استعداد للموت، يسيرون في الطريق الآخر.

الفصل السابع
قد أُكمل

" بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ:«أَنَا عَطْشَانُ». وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوًّا خَلاًّ، فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ:«قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ." (يو١٩: ٢٨-٣٠)

هذه الكلمات: "قد أُكمل"، كلفت يسوع حياته. فبدون الصليب ما كان يمكنه أن ينطق بهذه الكلمات. كلمة *تتلستاي tetelestai* تعني: قد أكمل. وبناءاً على إنجيل يوحنا كانت هذه هي كلمات يسوع الأخيرة على الصليب. هذه الكلمة الواحدة *تتلستاي tetelestai*، نطق بها في طاعة لمشيئة الله (غل١:٤) وأصبحت هي النقطة المحورية في التاريخ.

حرفياً كلمة *تتلستاي tetelestai* تعني: أحضر إلى نهاية، أنجز، تمم، حقق، أكمل، دفع. هذه الكلمة الواحدة جعلت الشياطين في الهاوية ترتعد من الخوف وجعلت الملائكة في السماء تدخل في تسبيح وعبادة أبدية. هذه الكلمة فتحت أبواب السجن لمن سمعوها وفهموها وآمنوا بها. كانت الخليقة والسماوات وكل البشرية تنتظر لقرون لهذا الإعلان.

وعندما نطق يسوع بهذه الكلمة على الصليب، أغلق كتاب الماضي وفتح باباً جديداً للمستقبل من أجلنا. في الحقيقة، لم يكن فقط باباً للمستقبل، بل توقعات ورجاء وحياة أبدية وحياة فائضة وحرية ودخول غير مقيد للآب. رفعت اللعنة وفقد الموت شوكته وقوته، وهزم إبليس بصورة قاطعة.

كلمة *تتلستاي tetelestai* كانت تستخدم بحرية في زمن العهد الجديد. كان يستخدمها العبيد عندما يعودون بالتقرير لسادتهم بأنهم قد أتموا المهمة التي أوكلت إليهم. واستخدمها الكهنة اليونان كمصطلح عن الذبائح التي كانوا يقدمونها للآلهة اليونان. كان على الكهنة أن يقرروا ما إذا كانت الذبيحة مناسبة لتقدم للآلهة وإذا كانت مناسبة كانوا يقولون *تتلستاي tetelestai*، وهذا يعني أن الذبيحة مقبولة ومناسبة مائة بالمائة. وكان مصطلح معروف بين الفنانين. عندما كان ينتهي الفنان من عمله، كان يرجع إلى الوراء ويُقيّم ما فعله ثم يستخدم كلمة *تتلستاي tetelestai*، والتي تعني أن المهمة قد أكملت، العمل الفني الذي يقوم به قد تم. وكان يستخدمه أيضاً التجار للإعلان عن أن الدَين قد تم دفعه بالكامل. وإذا اشترى شخصاً ما شيئاً ودفع ثمنه على أقساط، كان يعطيه البائع قصاصة من الورق عند دفعه المبلغ الأخير مكتوب فيها الكلمة *تتلستاي tetelestai*، والتي تعني أن الدين قد تم تسويته ودفع بالكامل.

كان الهتاف بكلمة *تتلستاي tetelestai* هو صراخ النصرة والغلبة. هذه الكلمة الواحدة بدأت عملية حركة لا نهائية. ولن يستطع شيء أو شخص أن يوقفها أبداً. ولن يبقي شيء كما هو.

فلقد أضيف بعداً جديداً للواقع وهو الرجاء. رجاء أعظم من مجرد ضربة حظ، هو المعرفة الثابتة والأمينة بأن الحياة هي في الواقع – حياة. وأن السماء حقيقة، وهي هناك من أجلك ومن أجلي ومن أجل كل شخص يثق في يسوع المسيح المصلوب!

جاء يسوع ليتمم كل طقوس الناموس ومتطلباته (مت٥: ١٧-١٨). وعندما استخدم كلمة *تتلستاي tetelestai* كانت تعني أنه قد أتم كل طقوس الناموس وفي نفس الوقت كسر قوتها من علينا. ولم يعد علينا أن نحمل النير ونخاف الدينونة التي يديننا بها الناموس. فكل هذه النواميس والشرائع تشير إلى المسيح، والآن قد جاء وأتم الناموس بالكامل، وأعطاه معناه الحقيقي. وأصبحنا نحن أحراراً ونحيا وفقاً لناموس جديد في المسيح يسوع (يع١: ٢٥).

ويوجد أيضاً ما هو أكثر من ذلك. كان ناموس الله يتطلب أموراً معينة – وأثبت تاريخ شعب إسرائيل أنه لا يمكن للبشر أن يتمموا متطلبات الناموس. ومخالفة الناموس ينتج عنه العقاب والدينونة. ولقد وضع يسوع نهاية للناموس في سياق العهد القديم لأنه أتم كل متطلبات الناموس. عاش يسوع الناموس بالكامل وتمم كل متتطلباته بالكامل. ولأنه حقق ذلك، كسر قوة وسلطان وسيطرة الناموس على الجنس البشري، وفك قبضته من علينا، وبذلك وضع نهاية للناموس (رو١٠:٤). ودفع ما طلبه الناموس، حقق متطلباته ولذلك صرخ بكلمة *تتلستاي tetelestai* لأنه أتم كل متطلبات الناموس، وليس علينا أن نحاول القيام بمتطلبات الناموس لنخلص.

توجد عدة نبوات في العهد القديم تشير إلى المسيا. وفي يسوع تحققت كل النبوات. وكلمة *تتلستاي tetelestai* تعني أن كل هذه النبوات قد تمت، وأن المسيا قد جاء وأتم عمله.

كلمة تتلستاي tetelestai تعني قد أكمل، لا يوجد شيء معلق أو غير مُتَمَم. فنحن لا نحتاج فيما بعد للخوف من الناس أو من الشيطان أو من الخطية أو من الله. لا شيء يمكن أن يفصلنا عن الله فيما بعد: " فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا." (رو٨: ٣٨-٣٩) عندما أنظر إلى خطاياي وأعمالي الغير كاملة أصاب بالإكتئاب، لكن عندما أسمع كلمة تتلستاي tetelestai، أتذكر عمل المسيح الكامل وأحصل على سلام في ذهني.

عندما استخدم يسوع هذه الكلمة كان يقول أنه رغم أن قوات الشر وأعداءه قد أطلقوا عليه كل غضب الهاوية، والآلام، والمعاناة، والخزي، والإضطهاد، ووصلت الإساءة إلى قمتها، إلا أن هذا لن يستطيع أن يستمر لمدة أطول. فلقد انتهت المعركة. وكل الألم الذي كان عليه أن يعانية ويحتمله قد تم. وفي جثسيماني قال: "أبي، لتكن لا إرادتي بل إرادتك." ووافق أن يأخذ كأس المر، كأس الأحزان ويشرب منه. كلمة *تتلستاي tetelestai* تعني أن الكأس أصبحت

فارغة! حقيقة أن يسوع مشى في طريق الألم والمعاناة حتى نهايته، تعطني تأكيد أنه يفهمني، وأنه عن طريق موته، ربح قوة القيامة من أجلي حتى ما أظل ثابتاً في مواقف مماثلة.
"لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ." (رو٦:٢٣) وكل من يخطيء لابد أن يموت. ولأن الجميع قد أخطأوا، فلابد أن الجميع يموتون. وعلى الرغم من ذلك، ومن محبته أرسل الله الآب لنا البديل، الشخص الذي يموت بدلاً عنا. جاء يسوع ليصبح بديلاً عنا. وعندما صرخ يسوع تتلستاي tetelestai، كان ذلك يعني أنه فعل كل شيء متوقع منه كبديل. فلقد جاء ليقف بين الله الآب وبيني وصالحني مع الآب. ولا يوجد شيء آخر يحتاج أن يتم.

جاء يسوع ليصبح الوسيط بين الله والناس. ومثل سفر أيوب في القديم، والذي يعد واحد من أقدم أسفار الكتاب المقدس، نقرأ أن أيوب في ضعفه وبشريته طلب مُصالح، شخصاً يقف بينه وبين الله، ليحصل على الإنسجام والإتفاق بينه وبين الله، وليضعهم معاً مرة أخرى (أي٩: ٣٣-٣٤).

هدم يسوع الحائط الذي كان يفصل بين الله وبين الإنسان. فلقد جاء ليكلم الناس عن الله، أبيه، وليكلم أبيه عن الإنسان وليصالح الله والإنسان. وبكلمة *تتلستاي tetelestai* كان يسوع في الحقيقة يقول أن عمله كوسيط قد تم وتحقق وأنه قد أنجز مهمته.

إنجيل يسوع المسيح هو إنجيل النعمة. ونعمة الله مؤسسة على ما ربحه يسوع من أجلنا على الصليب. كان ثمن النعمة هو الموت على الصليب. وبقوله *تتلستاي tetelestai*، كان يسوع يعلن أنه قد فتح نبع نعمة الله ورحمته.

يعلمنا الكتاب المقدس أننا عبيد للخطية، ومقيدين بقيود الخطية. وكلمة *تتلستاي tetelestai* تعني أن ثمن حرية البشرية من عبودية الخطية قد دفع. تماماً مثلما يجب دفع مبلغاً معيناً من المال من أجل تحرير عبد، كان يجب دفع ثمناً من أجل تحريرنا من عبودية الخطية.

ولقد جاء يسوع أيضاً من أجل إعادة خلق الخليقة التي سقطت في الخطية. وبحياته وتعليمه وموته على الصليب، كسر قبضة الشرير على الخليقة، وأعاد وضع البشر في مكانهم كممثلين لله على الأرض (رو٥:١٧) وكان هذا بداية لعملية الشفاء وإعادة الخلق. وكلمة *تتلستاي tetelestai* تعني أن قوة الشيطان قد دمرت ووضع لها نهاية: " فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ." (عب٢: ١٤-١٥)

وبسبب السقوط، حلت لعنة الله على البشر. وبالتالي أصبح الجنس البشري كله تحت لعنة الله: " لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ». (غل٣:١٠) يسوع مات على

الصليب، رمز العار، وحمل اللعنة بدلاً عنا: "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». (غل٣:١٣) كلمة تتلستاي tetelestai تعني أن اللعنة قد رُفعت، وأن البشر قد تحرروا من اللعنة، وأن لعنة الله تحولت إلى بركة.

بسبب السقوط، لم يعد للبشر قدرة على الدخول المباشر لعرش الله في السماء. وكان على الناس في العهد القديم أن يقدموا طلباتهم لله عن طريق الذبائح ووساطة الكهنة. وعندما صرخ يسوع *تتلستاي tetelestai*، كان يقول أنه قد نظف وأعد الطريق لعرش الله مرة أخرى. وأن الذي كان يجب القيام به من أجل الحصول على الدخول المباشر لعرش الله مرة أخرى قد تم. والإثبات العملي على ذلك هو أنه في اللحظة التي مات فيها يسوع، إنشق حجاب الهيكل إلى قسمين (مت١٥:٣٨). في (عب١٠: ١٩-٢٠) نقرأ ".. فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقاً كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثاً حَيّاً، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ."، في إنجيل يوحنا نقرأ ست مرات: "وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ.." (يو١٤: ١٣، ١٥: ٧، ١٦: ٢٣-٢٤). عن طريق خضوعه الكامل للآب، حصل يسوع من أجلنا على الحق في الصلاة لله بإسمه، وبمعرفة أكيده أن الله سيستجيب لنا ويمنحنا ما نطلبه بإسم يسوع. وأصبح التواصل المباشر مع الله ممكناً لنا أيضاً، وبالتالي الإستجابات المباشرة لصلواتنا.

تتلستاي tetelestai تتعلق بالموت كعدونا. فبالموت والقيامة من الموت، انتصر يسوع على الموت وبهذا الأمر انتصر على الموت أيضاً من أجلنا. عندما يموت المؤمنون يكون هذا هو العبور النهائي لحياة أبدية. عندما قال يسوع "قد أُكمل!"، كان هذا يعني أن قوة الموت قد انتهت. في اللحظة التي مات فيها يسوع، كان هناك برهان حي وواضح على هذا الحق عندما فتحت القبور وقام كثير من أجساد المؤمنين الراقدين (مت٢٧: ٥٢-٥٣). كتب بولس: " ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ. أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكَ يَا هَاوِيَةُ؟." (١كو١٥: ٥٤-٥٥).

نقرأ في (إش٥٣: ٤-٥): " لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا... وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا." جاء يسوع ليبعد لعنة المرض (والخطية). وعن طريق الصليب كسرت قوة المرض. وكلمة *تتلستاي tetelestai* كانت تعني أن يسوع كان يريد أن يقول: قد أكمل، وأصبح الآن ممكناً للجنس البشري أن يحصل على الشفاء.

في (٢كو١: ١٩-٢٠) نقرأ أن يسوع هو " نعم" الله للعالم. وأكثر من ذلك، فكل الوعود أصبحت "نعم" عن طريق يسوع المسيح. وبذلك أصبحت الدعوة: أننا نحتاج أن نجعل هذه الوعود "آمين" بأن نطلبها من الله بإسم يسوع. فكل وعود الله أصبحت متاحة لنا، عن طريق الصليب. وكلمة *تتلستاي tetelestai* تريد أن تقول لنا أن وعود الله قد أصبحت شرعية ومتاحة لنا لأن الثمن الذي طلبه الله قد دفع لجعل هذه الوعود "نعم" لنا، قد دفع.

عندما صرخ يسوع بصوتٍ عالٍ (*تتلستاي tetelestai*) ولفظ أنفاسه الأخيرة، وضح بذلك

أنه قد تمم المهمة التي وكلها إليه الآب. نقرأ في (يو٤:٣٤) أن يسوع يقول "طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ." أطاع يسوع مشيئة الآب. أطاع حتى الموت، موت الصليب. أطاع بغض النظر عن ثمن طاعته. وبطاعته نال من أجلنا بركات العهد. بسبب أن يسوع حقق متطلبات العهد وشروطه، أصبحنا قادرين على المشاركة في بركات العهد – ولقد حصل على كل هذا من أجلنا، ربحه لنا ودفع ثمنه.

الناموس يطلب المحبة: محبة الله، محبة القريب، محبة الأعداء. جاء يسوع ليؤكد على وصية المحبة، لكن قبل أن يطلبها منا، عاشها هو أولاً وجعل تحقيقها ممكناً لنا بقوة قيامته وبحلول الروح القدس علينا. وعندما صرخ يسوع *تتلستاي tetelestai*، كان يقول أنه قد نفذ ناموس المحبة: فلقد أحب الآب جداً للدرجة التي أعطى فيها حياته ليتمم المهمة التي أوكلها إليه الله. ولقد أحب أصدقاءه جداً للدرجة التي أعطى نفسه من أجلهم (يو١٥:١٣؛ رو٥:٨) وأحب أعداءه للدرجة التي جعلته يموت من أجلهم ويغفر لهم أيضاً (لو٢٣:٣٤).

بسبب ما قام به يسوع، أصبح من الممكن أن نسير في الطريق الآخر، طريق الحياة والسلام.

الفصل الثامن
ثمن حياتك

يسوع المخلص جاء للأرض ليخلصنا من خطايانا. ومنذ بداية التاريخ، والناس تصارع مع السؤال، سؤال الفداء: من الذي سيفديني من خطاياي؟ من الذي سينقذني من الشر؟ من الذي سينقذني من نفسي؟

لا يمكن لأي شخص منا أن يفدي أنفسنا. فالله إله بار وإله قدوس ويجب عليه أن يعاقب الخطية. ولكن إذا عوقبنا على خطايانا وآثامنا، لن نستطيع الفرار، وسنسلم مباشرة للجحيم. فلا يوجد أمر نستطيع القيام به لنتجنب ذلك. ثم جاء الله بخطة أنه مثل البرق الناري القادم من السماء يفصل بين الأبدية والجحيم، وقال: "لا!" لموت الجنس البشري. كيف كلفت "لا" هذه الله! إذا استطعت فهم الثمن الذي كان على الله الآب والابن يسوع المسيح دفعه ليقولا "لا"، لكنت فهمت مقدار أهمية حياتك بالنسبة لله.

كان يسوع سيدفع نفس الثمن الذي دفعه لإنقاذ الجنس البشري كله لإنقاذ شخص واحد. حتى ما يصالحني مع الله، كان يجب على يسوع أن يترك السماء. في السماء كان الله، كان الشخص الثاني في الثالوث المقدس. كان هو الشخص الذي نطق بكلمة وخلق بها كل الوجود. وعن طريقه صنع الله كل شيء (يو١:٣). كان يجب عليه أن يتخلى عن سلطانه وسيادته ومجده السماوي ويأخذ طبيعة مخلوق أقل من المخلوقات السماوية، ليأتي ويحيا بيننا. أخذ طبيعة العبد، الأقل بين الكائنات البشرية الموجودة، حتى ما يمكنه أن يموت أيضاً من أجل العبيد (في٢:٧). وعلى الرغم من أنه كان ملك، ولد في أقل الأماكن، في إسطبل – وتجرد من كل المجد. والبيت الذي تربى فيه لم يكن قصراً – فلقد كان ابناً لنجار، شخص حرفي متواضع. جاء الرعاة للمولود ليحيوه، لكن الملك أراد قتله. وضع في مذود ولف في أقمطة.

ومن بداية حياته على الأرض كان عليه أن يهرب. فلقد كان هيرودس يريد أن يقتله وكنتيجة لذلك مات كثير من الأطفال الذكور في بيت لحم وحولها. فهرب يوسف إلى مصر معه. ولم يستطع العودة إلا بعد وفاة هيرودس وعاد ليسكن في قرية صغيرة تدعى الناصرة، مدينة صغيرة وحقيرة – وليس في مدينة أورشليم المهمة. كان الفريسيون والصدوقيون والكتبة يكرهونه لأنه كان يفضح ريائهم. وحاولوا مرات كثيرة أن يحرجوه، ويمسكوا عليه خطأ، ويقتلوه. وحاولوا أن يسببوا له الخزي. لم يحترموه أو يسمعوا لتعليمه. فلقد رفضه معظم الناس.

لم يكن له أصدقاء. تبعه الجموع ليس لشخصه، بل من أجل المعجزات التي كان يقوم بها ولأنه شفى مرضاهم وأعطاهم خبزاً ليأكلوا. خانه يهوذا بقبلة وأنكره بطرس ولعنه وأقسم أنه

لم يكن يعرف يسوع. وكل واحد من التلاميذ الإثني عشر خذله وتخلى عنه في إحدى المراحل. وفي جثسيماني أُتهم وهوجم وجُرب وقاومته قوات الشر.

لم يفهم أحد حقاً لماذا جاء على الأرض. أُتهم باطلاً لأنه شفى المرضى وأخرج الشياطين ودعى الله أبوه. أعطى محبته وإحسانه للآخرين، لكنه كان يُساء فهمه بصورة مستمرة. البعض قال عنه أنه مجنون وآخرين قالوا أن به شيطان.

أحضروه أمام المجمع اليهودي واتهموه باطلاً. وأحضروا شهود كذبة ليشهدوا ضده. وعلى الرغم من الحقيقة التي تقول أنه لا يجب أن يعقد المجمع ليلاً، إلا إنهم كسروا القاعدة في حالة يسوع واجتمعوا بصورة غير قانونية مرتين في ليلة واحدة.

لكن هذا الذي تألم من كل هذا الظلم من الأشرار شفى المرضى وأقام الموتى وطرد الأرواح النجسة وصنع أعظم وأقوى المعجزات. علم الناس عن الآب وأظهر لهم الطريق للسماء. شفى البرص وفتح آذان الصم وجعل العمي ينظرون والعرج يمشون – ولأجل هذا أراد القادة الدينيون أن يقتلوه. ولم يشعر كثيرون بالامتنان لما فعله، والبعض استهزأ به وآخرون دعوه شيطاناً لأنه كان يصنع معجزات.

كان يصلي كثيراً أثناء الليل، يستيقظ صباحاً ليصلي وكثيراً ما كان يصلي حتى وقتاً متأخراً من الليل. مشى على طرق أورشليم الغير ممهدة ليخبر الآخرين عن الآب. وفي أوقات أخرى كان يتعب جداً ويجوع لدرجة جعلته لا يستطيع أن يستمر في السير، فكان يقف ويستريح لبعض الوقت. وعلى الجبال التي حول أورشليم وقف وبكى على المدينة. وعظ نهاراً وليلاً وعلّم وأنّب وحذر لكن قليلون هم الذي استمعوا إليه.

وفي جثسيماني صارع مع الله أبوه. وهذا الصراع مع أبوه الذي كان نيابة عن كل النفوس الضالة عبر كل العصور، كان شديد جداً للدرجة التي جعلت عرقه يتحول إلى قطرات من الدماء. فلقد أخذت آلام أحزانه وكربه في خنقه بصورة حرفية. ففي جثسيماني كان عليه أن يأخذ القرار: إما أن يذهب للأمام ويدفع الثمن المروع لخطايانا أو لا يفعل. لكن آلامه النفسية والجسدية في جثسيماني لم تستطـــع أن تدفع الثمن الكامل لخطايانا – فلقد كان على المسيح أن يكسر اللعنة على كل الجنس البشري ولذلك كان يجب عليه أن يدفع الثمن بدمه على الصليب. فلقد كان السبيل الوحيد هو أن يدفع دمه ثمناً كاملاً فدية عن خطايا البشرية. ولقد منع الله موته في جثسيماني بأن أرسل ملائكة لتقويه لبضعة ساعات أطول حتى ما يستطيع أن يصل إلى الجلجثة.

أحضروه أمام بيلاطس، حاكموه ووجدوه بريئاً ومع ذلك جُلد بتسعة وثلاثين جلدة (أربعين إلا واحدة) بالسياط. وكان هذا السياط مكون من شرائط مفككة وفي نهايتها مثبت قطع من العظم والحديد. وعندما كان يُجلد بها كانت قطع العظم والحديد هذه تمزق جسده. ثم أرسله

بيلاطس إلى هيرودس. فألبسه هيرودس باستهزاء وازدراء ثوباً من الأرجوان حول كتفيه. وبعد ذلك أرسله مرة أخرى إلى بيلاطس. وتحت الضغط من الجماهير حرر بيلاطس باراباس القاتل واللص مكان يسوع، آملاً في الحصول على سلام مع اليهود.

وفي صباح اليوم التالي أعطوه صليباً ليحمله إلى الجلجثة. وكان يتعثر تحت ثقل صليب اللعنة الخشبي، وسحبه بنفسه إلى الجلجثة. كانت النساء تبكين والجماهير المجتمعة أخذت تصرخ وتلعنه وتسخر منه. وعندما لم يستطع أن يذهب أكثر من ذلك وسقط تحت ثقل الصليب، طلبوا من سمعان القيرواني رجلاً أفريقياً أن يحمل الصليب لباقي الطريق.

وفي الجلجثة سمر على الصليب بين صليبين آخرين معلق عليهما لصان. وفي النهاية رفعوا صليبه وبقوة دفعوه في الحفرة التي حفروها خصيصاً له. قوة هذه العملية جعلت مفاصلة تتخلع من مكانها وتمزقت عضلاته وبدأ التلوث والتقرح في الانتشار في جسده. عُلق هناك عارياً ضعيفاً تحت سخرية واحتقار وازدراء الناس الذين خلقهم. كانت دمائه تقطر من الصليب، وأخذ الناس في السخرية منه وطلبوا منه أن يخلص نفسه. واشترك معهم واحد من اللصين لكن الآخر بدأ يتوسل منه الرحمة.

وفجأة، بدأ ينطق بسبعة عبارات: " يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون." "يا امرأة، هوذا ابنك." "أنا عطشان." ثم حل الظلام، وأخذ البرق يلمع وسط الظلام وهزت أورشليم زلزلة عظيمة. وحجب الله وجهه عن ابنه الوحيد. وفي يأس صرخ: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" وهناك عُلق، متروكاً من الله والإنسان، ملعون من أبيه. وكل غضب الله على خطايا البشرية انصب على يسوع في هذه اللحظات. عُلق هناك وتشوه وتأذى إلى أبعد الحدود بخطية وآلام البشرية.

إلا أن الآلام الجسدية لم تكن هي الأسوأ. لكنه قد تألم روحياً أكثر من ذلك بملايين المرات: كل مشاعر الذنب الناتجة عن القتل والاغتصاب والزنا وكل أنواع الخطايا الأخرى التي ارتكبها البشر، ألم كل الأمراض وألم كل من فقدوا أحبائهم بالموت، وألم كل الذين فشلوا وضيعوا حياتهم – كل هذه الآلام حملها في تلك اللحظات.

أحضر له البعض خلاً ومراً من أجل آلامه، لكنه رفض أن يشربها. فلقد كان عليه أن يدفع الثمن كاملاً.

وفي النهاية صرخ: " *تتلستاي tetelestai*" (*قد أُكمل*) ومات. فأخذ أحد الجنود الرمح وطعنه في جنبه. فخرج دماً وماءاً. فلقد انفجر الكيس الذي حول قلبه: فالصراع والألم الشديد حرفياً كسر قلبه. وفي تلك اللحظة انشق حجاب الهيكل – والآن أصبح هناك إمكانية للدخول المباشر لأكثر الأماكن قداسة. ابن الله أحضر الخلاص للبشر.

قد تتساءل: "هل كان هناك داعي لكل هذه المعاناة؟ ألم يعاني بصورة زائدة؟" الإجابة هي

لا. فليَخلُص خاطئ واحد كان على يسوع أن يدفع الثمن كاملاً ويتحمل كل هذه الآلام الرهيبة. وبمجرد أن نفهم الثمن الذي دفعه من أجل خلاصنا، سنفهم أيضاً مقدار بشاعة الخطية في عين الله: كلمة واحدة شريرة، كذبة واحدة، عمل واحد قاس، كلمة نقد واحدة هو فعل بغيض بالنسبة له.

كاونت فون زنزندورف Count Von Zinzendorf، أحد النبلاء الأغنياء، وقف مرة أمام لوحة فنية للصليب. وفي أسفل اللوحة كُتبت الكلمات التالية: "هذا ما فعله من أجلك. ما الذي ستفعله أنت من أجله؟" أثرت هذه الكلمات فيه للدرجة التي جعلته يعطي حياته لله ويبدأ محطة إرسالية، والتي أصبحت هي مصدر الحركة الإرسالية للمورافيين.

هذا ما فعله من أجلك. هذا كان الثمن الذي دفعه ليخلصك. وكل من خَلُص سيبدأ في السير في الطريق الآخر، طريق ملكوت الله الذي يقود للسماء.

الفصل التاسع
الصليب العصري

للرجال والنساء العصريين توجد نظرية لاهوتية عصرية للصليب. الصليب العصري هو مبدأ فلسفي، لكنه لا يؤثر على الحياة بطريقة عملية. قال عنه إيه دبليو توزر AW Tozer أنه نوع جديد "للإنجيل" باستخدام نفس اللغة التي كانت من قبل. إنها تتكلم عن الصليب، لكن المعنى لم يعد كما كان من قبل.

الصليب العصري له طريقة جديدة مميزة لفهمه ولها جانب واحد. فهو يحررنا من الخطية، لكننا نصبح أحراراً لنفعل ما يحلو لنا، وتبعاً لذلك يقودنا إلى الخلاعة، والتي لا أساس كتابي لها. الصليب العصري صديق جيد، فهو يأتي بأمل جديد للطبيعة العتيقة. فالصليب العصري يعرض إنجيل جديد وحديث يعلمنا أن الصليب لا يقوم بطلب أي شيء منا غير مسر أو صعب أو غير معروف أو جذري. ولا يتوقع منا أن نموت عن أنفسنا، لكن بدلاً من ذلك أن ندرك كل قدراتنا الكامنة. لأن يسوع قد حمل الصليب بالفعل، ونحن لا نحتاج أن نقوم بذلك. الصليب العصري لا يقتل الخاطئ، لكنه يعيد توجيهه، ويرفعه لمستوى أعلى. الصليب العصري لا يريد أن يؤثر على الذات بل يجعل الذات تظل جالسة على عرش حياتنا، وهو ببساطة يريد أن يقدس الذات. فالتركيز لازال على إشباع الذات. والاختلاف الوحيد الذي يصنعه في الذات هو أن يوقفها عن أي نشاطات سلبية أو هدامة.

الصليب العصري يركز على التشابه بين العالم وبين كل ما هو مسموح لنا القيام به. فهو يريد أن يجددنا، لكن بطريقة نستمر بها متوافقين مع الله وبطريقة لا تضايق العالم. الصليب العصري يريد أن يساعدنا أن نحتفظ باحترامنا لأنفسنا ويحترم حقوق الإنسان. وبصليب عصري حول رقبتي، أستطيع أن أظل مشهوراً ويسوع يصبح مشهوراً. الصليب العصري يركز على تحقيق الذات، والرضا الوظيفي والنجاح والجهاد من أجل مصالحة هذه الأمور مع الإنجيل.

حتى لو هؤلاء الذين يعلمون بإنجيل الصليب العصري مخلصين في محاولاتهم لإحضار فهم لمعنى الصليب، إلا أن هذا كله تعليم يعد تعليم خاطئ وغير كتابي.

صليب الجلجثة هو رمز للموت. ويعني الموت الكامل والجذري لكل الجنس البشري. إذا رأيت إنساناً يسير في طريق حاملاً صليب على كتفيه منذ ٢٠٠٠ سنة في عصر الرومان، ستعرف أن هذا الشخص لن يرجع مرة أخرى. فلقد كان الموت هو نهاية هذا الإنسان. صلبان الجلجثة كانت لها وظيفة واحدة: وهي قتل الناس بصورة وحشية وبلا رحمة. وهي تضع نهاية قاسية لحياة الإنسان وفي نفس الوقت تضع نهاية سريعة للثورات والجرائم. فالحكم بالموت

واللعنة وقع على الجنس البشري المولود من آدم. لم يرِد الله أن يحسن الناس ويرفع درجاتهم لمستوى أعلى، فهو لا يريد أن تتحسن الطبيعة القديمة ببساطة وتصل لمستوى أعلى. فالطبيعة القديمة، الذات القديمة لابد أن تموت، فيجب أن نأخذ طبيعة جديدة، ولابد أن الذات القديمة الملعونة تصلب وتدفن، وتأتي للوجود حياة جديدة ونقية. فالله لا يقوم بأي حلول وسط مع الخطية ومع الطبيعة الخاطئة.

صليب الجلجثة هو وسيلة مخزية وغير مقبولة اجتماعياً، فهو أداة كريهة. ولديه متطلبات جذرية لا يمكن للبشر أن يحققوها. فهو أمر غير محبوب ويسحب كل الحقوق ويسبب أذى ولا يترك مكاناً للطبيعة القديمة. صليب الجلجثة لا يستثني أي شخص، ولا يقوم بأي مساومة ولا يحاول أبداً أن يثبت كياننا، وعلى النقيض من ذلك، يضع نهاية لكل شيء. إنجيل يسوع المسيح لا يسير على مسار موازي مع العالم. لا، فالصليب يدعونا أن نحيا ونسير في الطريق المعاكس تماماً للعالم. فنحن نصلب الحياة القديمة على الصليب، ونتركها هناك. ولابد أن تسقط الحبة في الأرض وتمت، وإلا لن يكون هناك حياة جديدة.

صليب الجلجثة لم يحاول أن يقوم بعمل إنجيل مقبول أو يستخدم بطريقة لطيفة. ونحن كتلاميذ للمصلوب غير مدعوين لجعل الإنجيل مقبول من وسائل الإعلام والمثقفين ورياضي العالم ورجال الأعمال والنساء وقادة الحكومات أو الديانات الأخرى. فمهمتنا ليست أن نصبح دبلوماسيين بل كهنة، لا أن نتفاوض من أجل مواقف رابحة أو من أجل المساومة، بل من أجل أن نعطي إنذارات نهائية. مهمتنا ليست أن نعيد صياغة الكتاب المقدس، بل أن نقوم بإعلانه.

أعطانا الله حياة، حياة جديدة، حياة من الموت، حياة مقامة، حياة بارة – وليست حياة معدلة. عندما نأتي لله لننال الحياة الجديدة، لابد أن نعترف ونرفض خطايانا، ونعترف أنه لا يوجد فينا شيئاً صالحاً، وأننا خطاة منكسرين وأنه من الضروري لنا أن نصير خليقة جديدة. لابد أن نعترف بخطايانا وننفصل عنها. لابد أن أضع حقوقي وإرادتي وطموحاتي وخططي ومستقبلي كذبيحة. وأترك ما أحبه وما لا أحبه. لا يجب أن يكون هناك شيء خفي أو مغطى أو محمي أو محرم أو محتفظ به. فلا توجد متطلبات أو أعذار لها قيمة. فيجب عليَّ أن أموت. وعندما آتي لله بهذه الحالة، وبإيمان بسيط أضع ثقتي في المسيح، حينئذ سيعطيني الله حياة أبدية.

يوجد صليب واحد يحضر لنا الحياة، والحياة بملئها، كما وعدنا يسوع في (يو١٠:١٠)، طريق واحد فقط باتجاه الحياة المثمرة، الثمر الدائم. فلا يوجد أي طريق آخر، إذا أردنا أن نصبح حقيقيين بالنسبة للكتاب المقدس ونتمنى أن نرى ثمار روحية دائمة وأبدية كنتيجة لعملنا. وهذا هو الطريق الآخر، طريق الحياة والازدهار. وهو الطريق الذي يسير من خلال الصليب.

الفصل العاشر

اتبع المصلوب

في (مر٢:١٤) نقرأ أن يسوع التقى بلاوي جابي ضرائب وقال له، " اتبعني". لم يعطنا الكتاب المقدس فكرة عن خلفية هذه الحادثة. كل ما نعرفه أن اللاوي وقف وبدون أن ينطق بكلمة واحدة وتبع يسوع. هذا الموقف يوضح بجلاء مدى سلطان يسوع. فشخصيته طلبت طاعة فورية وكاملة. في (مت٤: ١٨-٢٢) نقرأ كيف أنه في يوم واحد، سار يسوع ببساطة في حياة كل من بطرس وأندراوس وأيضاً حياة كل من يعقوب ويوحنا، وقال لهم، " تعالوا اتبعوني، وسأجعلكم صيادي الناس." وفي الحال تركوا كل شيء وتبعوه.

فكر في هذه الكلمات: "تركوا كل شيء". ليتبعوا يسوع، ليصبحوا تلاميذه، وهذا أكثر بكثير من مجرد الاعتراف بأنه الرب. التلمذة هي أن تقف وتتبع المسيح. التلمذة ليست هي إعلان الإيمان، فهي *فعل طاعة*. التلاميذ لم يهتموا بمديح الناس (يو٥:٤١)، أو بفوائد التلمذة، فاهتمامهم هو طاعة الله ورضاه.

قال ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer : "عندما يدعو المسيح إنسان، يطلب منه أن يأتي ويموت." لقد جاء يسوع ليدعو تلاميذ ليتبعوه وأوكل لهم مهمة الذهاب لصنع تلاميذ من كل أمة. ومازال يسوع يدعو تلاميذ اليوم – الكثيرون مدعوون، ولكن القليلون هم الذين يتبعون يسوع. فليس الجميع مستعدون لأخذ الالتزام والتعهد ليصبحوا أتباع ليسوع المسيح. الكثيرين يسيرون جزء من الطريق، لكنهم يعودون مرة أخرى عندما يدركوا نتائج تبعية يسوع. طالما هناك كلام عن الإكليل وطالما هناك خبز مجاني، تجد الكثيرين يتبعون يسوع، لكن عندما يكون الصليب ضمن الغرض تجد الكثيرين ممن بدأوا في التبعية يرجعون للخلف مرة أخرى.

يا له من امتياز أن نسمع صوت السيد يقول: "اتبعني!" في إحدى المرات في إنجلترا كان هناك قاتل محكوم عليه بالإعدام. وكان برفقته للمشنقة أحد الأساقفة. وأثناء سير الأسقف في الطريق، كان يتمتم بأجزاء من الكتاب المقدس. وفجأة استوقفه القاتل وسأله عما يقرأه. وبطريقة مختلفة أخذ الأسقف يشرح له ما كان يقرأه. تعجب القاتل: "لو أنني اقتنعت بأن ما تقرأه صحيح، لزحفت على يديّ وركبتيّ فوق قطع من الزجاج حول طول وعرض إنجلترا، لأحضر هذه الرسالة لخاطئ واحد ضال." لقد فهم القاتل الرسالة لكنه لم يؤمن بها. أما الأسقف فقد آمن بالرسالة، لكن بعد ذلك أصبح أسقف ولكنه لم يفهم حقاً ما هو مؤمن به. لم يفهم لأن قلبه لم يتلامس مع الرسالة. في نهاية حياة هدسون تايلور، مؤسس *إرسالية الصين الداخلية*، قال: "إذا كانت عندي ألف حياة، لكنت أعطيت الألف حياة كلها للصين." لقد فهم

الامتياز الذي حصل عليه بأن يؤتمن على إنجيل الخلاص.

هل يمكن أن يكون هناك امتياز أعظم من أن نتبع يسوع ثم أن نصبح تلاميذ له ونخبر الخطاة الآخرين أنه يمكن للمسيح أن يخلصهم من خطاياهم؟ إنه لإمتياز عظيم ألا يستأمن الله الملائكة بل الناس. إنه أمر لا يصدق! فالناس يمكنها أن تفكر في أن هناك أمور أكثر أهمية من إحضار هذه الرسالة لرفقائهم البشر الآخرين.

الدعوة لتبعية يسوع هي دعوة مفتوحة لنا جميعاً، لكن توجد شروط ومتطلبات خاصة. وهذه الشروط والمتطلبات غير قابلة للتفاوض. لا يمكننا أن نغيرهم بعمل مسيرات احتجاج أو بالتفكير فيهم بصورة أكثر انفتاحية. فالله ليس عنده أية إستثناءات – لا للملوك أو أصحاب السلطان ولا للفقراء والحزانى. فالشروط والمتطلبات هي لكل التلاميذ. غضبنا وعجزنا عن الفهم ومرارتنا وشفقتنا على أنفسنا لن تحرك الله ليصنع أية تغييرات.

ففي المقام الأول، يطلب الله ولادة جديدة. فلا يمكن لأي شخص أن يصبح تلميذ ليسوع إلا بعد أن يولد من جديد. (يو٣:٣) تعلمنا: " الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ." يوجد أناس تريد أن تتبع يسوع لأسباب إنسانية. لكن الدافع الرئيسي لكل الأعمال الإنسانية يجب أن تكون محبة رفقائنا البشر وليست محبة الله. فالله يطلب منا أن نولد مرة أخرى، لأن المولود من الله هو فقط الذي يستطيع أن يغلب العالم والجسد والخطية والشرير. (١يو٥:٤).

يعلم يسوع تلاميذه أن كل من يضع يده على المحراث وينظر للوراء لا يصلح أن يكون تلميذاً له ولا يصلح لملكوت الله (لو٩:٦٢). وهذه كلمات قاسية. خلال الواحد والعشرين قرن الماضية كنا نحاول أن نضع هذه الكلمات بطريقة أكثر دبلوماسية. لكن يسوع لم يفعل ذلك. في (يو٦:٦٠) وما يليها، نقرأ كيف أن كثيرين من الذين تبعوا يسوع رجعوا في النهاية ولم يكملوا لأنهم شعروا، " أن هذا التعليم صعب. مَن يستطيع أن يقبله؟" يسوع لم يحاول أن يوقفهم. فهؤلاء الذين نظروا للوراء لا يصلحون لملكوت الله.

إذا أردنا أن نتبع يسوع، لابد أن نضحي بحياتنا. لقد ذُكر هذا الأمر ستة مرات في الأناجيل: إذا أردت أن تخلص حياتك، يجب أن تخسرها أولاً. فلا يوجد طريق آخر. فيسوع لم ينطق بهذه الكلمات بصورة رقيقة، فلقد كانت كلماته ذات صوت مرتفع وواضحة وجذرية ومفهومة: " حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا." (مت١٦: ٢٤-٢٥)

ومع ذلك استمر يسوع يشرح عواقب ونتائج ما كان يقوله: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي

تِلْمِيذاً. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً." (لو١٤: ٢٦-٢٧)

كان تلاميذ يسوع مدفوعين بقوة أعظم من أي قوة أخرى في العالم. القوة الأكثر فاعلية في العالم هي قوة الكراهية والخوف والغضب والمرارة وروح عدم الغفران. لكن القوة الأعظم من كل هذا هي: المحبة الإلهية، محبة أجابية. هذه المحبة انسكبت في قلوبنا بالروح القدس روح الرب (رو٥:٥). ولقد حُزمت ولفت بالتواضع واللطف والرأفة والغفران. فالغضب والكراهية والمرارة والخوف والقلب الذي لا يغفر لا يمكنهم أن ينغلبوا إلا عن طريق هذا النوع من المحبة ومن يخرج إلى عالم مليء بالشر يجب أن ينتصر على الشر بأن يفعل الصلاح (رو١٢: ١٠-٢١).

التلمذة تتطلب الطاعة. نقرأ في (عب٥: ٨-٩) الآتي عن يسوع: " مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ." يسوع هو مثالنا للتلمذة، مثال عن كيف يجب تبعية الآب. فحياته كانت حياة الطاعة للآب. وطعامه كان أن يعمل مشيئة الآب (يو٤:٣٤). في الموعظة على الجبل دعا يسوع تلاميذه للطاعة: " فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ." (مت٧:٢٤)؛ في (مت١٢:٥٠) يدعو يسوع هؤلاء الذين يعملون مشيئة أبيه، أخوته وأخواته. وفي (يو١٤:٢٣) قال: "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ:«إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً."

التلاميذ هم عبيد وليس لهم أية حقوق أو امتيازات. لم يكن للعبيد حقوق أو أسماء أو شكر أو ترقية. لم يكن العبيد يمدحون ولم يكن هناك اعتراف وتقدير لأعمالهم. لم يكن على العبيد أن يكون لديهم طموحات. وكل ما يستطيعون أن يحلموا به هو الصدقة والإحسان.

اليوم نحن نحتقر مصطلح "عبد". لكن كلمة تلاميذ وعبيد هي مترادفان لكلمة واحدة:

"فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. (في٢: ٥-٨)

نحن نتعلم من مثاله ما الذي يتوقعه الله من التلاميذ.

التلاميذ هم عبيد لا يستحقون.

"وَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْحَقْلِ: تَقَدَّمْ سَرِيعاً وَاتَّكِئْ. بَلْ أَلاَ يَقُولُ لَهُ: أَعْدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ وَتَمَنْطَقْ وَاخْدِمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ. فَهَلْ لِذَلِكَ الْعَبْدِ فَضْلٌ لأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ؟ لاَ أَظُنُّ. كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ. لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا." (لو١٧: ٧-١٠).

تبعية المسيح تتطلب ما هو أكثر مما يستطيع الإنسان القيام بها بمفرده. تبعية المسيح لا

يستطيع البشر القيام بها، لأنها تتطلب الموت. والموت يضع نهاية لمستقبلنا وتوقعاتنا من الحياة. فلا يوجد مستقبل في الموت! لكن هذا هو فقط ما يتوقع الله منا أن نقوم به.

لنصبح تلاميذ لابد أن نتخلى عن حقوقنا: حقنا في أن نختار اختياراتنا الخاصة، في أن ندافع عن أنفسنا، في أن نحصل على المحبة من الآخرين، في أن يعاملونا معاملة عادلة، في أن نحترم ونمدح من الناس، في أن نغضب ونخطئ، في الحصول على العطف والتأييد، في الامتلاك، في تحقيق النجاح، في أن يأخذ الآخرين مشورتنا في بعض الأمور، الحق في أن يفهمنا الناس، الحق في أن نشعر بالألم والإهانة، الحق في المتعة، في الأمور الحسنة، في الأمور الجميلة، في الأمور الجيدة، في أن نتعزى ونستريح، في أن نحصل على إجازة، في أن نصبح معروفين، في أن يكون لنا رأي خاص، الحق في أموالنا وخطط المستقبل، الحق في أن ندافع عن أنفسنا ونشعر بالأسف على أنفسنا، الحق في أن نعامل باحترام. فأتباع المسيح ليس لهم أي حق من "حقوق الإنسان".

أتباع يسوع مميزين بحضور الله في حياتهم (قض١٦:٢٠؛ خر٣٣: ١٢-٢٤). يذهبون حيث ذهب يسوع (أع١٣:٤)؛ فلقد أعطوا ملء المسيح، وامتلأوا بالروح القدس (كو٢: ٩-١١؛ أع١:٨؛ أف٥:١٨). كل من يتبع المسيح المصلوب، يصبح مميز عن الآخرين بقوة الله داخله (١كو٢: ١-٥؛ ١كو٤:٢٠؛ أف١:١٩). هم هؤلاء الذين ماتوا عن الذات، وأخذوا طبيعة الخادم وهم عبيد عهد للمسيح (في٢:٥). أتباع يسوع مميزين بالانكسار والتواضع وبالروح المستعدة والراغبة (إش٥٧:١٥؛ ٤٨:١٠؛ مز٥١: ١٢؛ ١٧). كلمات الأتباع نقية، مثل الفضة المصفاة في بوطة ممحوصة سبع مرات. (مز١٢:٦) أتباع المسيح المصلوب يسهروا ويصلوا ويفعلوا مشيئة الآب ويعيشوا في طاعة للآب (مت٢٦:٤١؛ رو١٦:١٩؛ ٢كو٩:١٣)؛ يعانون من الظلم، ولا يدافعون عن أنفسهم، يُظلمون ويُضطهدون (١بط٢: ١٩-٢٥) الأتباع مملوئين بالنعمة والحق ويعيشوا حياة مقدسة (يو١: ١٤، ١٧، ١بط٢: ١٩-٢٥).

هذا هو الطريق الذي نسير فيه عندما نسمع دعوة يسوع ونقبلها. عندما نسير في هذا الطريق، نترك الذات خلفنا وهذا الطريق يقود إلى غنى لا يصدق في الحياة بعد ذلك.

الطريق الذي سار فيه المسيح المصلوب ليس هو نفس طريق العالم. إنه الطريق الآخر. وعندما نصبح أتباعه، يصبح هذا هو الطريق الذي يجب علينا السير فيه.

الفصل الحادي عشر
تدريبات التلمذة (١)

يوجد هذه الأيام توق وجوع شديد لأمور الرب. فالناس يبحثون عن حقيقة جديدة في إيمانهم المسيحي. في كثير من الأماكن يوعظ بإنجيل لا يعكس حقيقة الحياة. وكثيراً ما تكون الرسالة لها جانب واحد ومتحيزة لاتجاه واحد، وتقول أن الله محبة (وهو بالفعل محبة)، وأن الله رحيم (وهو بالفعل رحيم)، وأن الله يغفر الخطية (وهو بالفعل يغفر الخطية)، لكن قليلاً ما يوعظ عن الصليب ومتطلبات التلمذة. فمن الضروري للمسيحيين أن يفهموا أن المسيحية لا تعني أن كل شيء سيصبح على خير وجه طوال الوقت. فهي أيضاً تعني أن هناك أوقات سنجتاز فيها في النار والماء. فالمسيحيون لا يختبرون النجاح والرخاء تحت كل الظروف ولسنا دائماً رابحين.

أن تتبع المسيح يعني أن تحمل الصليب وتتبعه. فلا يوجد هناك أية بدائل إذا أردت أن تتبع يسوع. فأتباع المسيح معروفين بالصليب الذي يحملونه، وليس بالصليب الذي يوضع حول أعناقهم، أو برصيد البنك الكبير أو بالنجاح المدوي أو الشهرة والشعبية. فالعلامة الخاصة للمسيحية هي الصليب.

المشكلة هي أن الكلام والفلسفة عن الصليب أسهل من أخذ الصليب وحمله. قد نكتب أموراً جميلة عن الموت عن الذات، لكن في الحقيقة السير في طريق الصليب والموت الحقيقي عن الذات هو أمراً مختلفاً تماماً. فكل تلميذ يأخذ صليبه ويتبع يسوع فهو مندرج في قائمة مدرسة التلمذة. هؤلاء الذين يجتازون في هذه المدرسة و"ينجحون"، هم هؤلاء الذين يحملون ثمار روحية أكثر، ثمار أبدية.

يمكننا أن نذكر التدريبات الروحية للتلمذة

التدريب الأول : هو أن يسوع يجب أن يزيد وأنا أنقص. وهذا ما أعلنه يوحنا المعمدان في (يو٣:٣٠). ولقد سار الرسول بولس في هذا الطريق. ففي (رو١١:٣) يكتب بولس عن نفسه أنه رسول الأمم. وفي (١كو٩:١) يدافع عن تلمذته ورسوليته ويقول أنه قد رأى يسوع، وهو أحد المتطلبات الرئيسية للرسول. كان يعرف بولس حقيقة نفسه، وكان واثقاً من المهمة التي أُنتدب لها، ورؤيته وهدفه ووظيفته في الجسد. اليوم، كثير منا يريد أن يصبح رسولاً، أليس لأن موهبة الرسول هي أفضل موهبة روحية؟ (١كو١٢: ٢٨).

لكن الله بدأ يعمل مع بولس. ففي (١كو١٥:٩) يدعو بولس نفسه أنه أصغر الرسل. بدأ بولس يصبح أقل أهمية. وفي (في٢: ٥-١١) كتب أنه يجب أن يكون لنا فكر المسيح، الذي تخلى عن كل شيء وأخذ طبيعة العبد. خطوة أخرى أقل يأخذها بولس في (أف٣:٨) يقول عن

نفسه: بولس العبد، الخادم. ففي أفسس كان بولس يكتب من السجن، ويقول عن نفسه أنا أصغر جميع القديسين. لكن لا زال هناك مستوى أقل لبولس. ففي (١تي١:١٥) يقول يدعو بولس نفسه أنا أول الخطاة (أسوأ الخطاة). هنا يضع بولس نفسه في أقل درجات السلم. وعلى الرغم من أن تسلسل الأحداث لم يحدث بالضرورة بنفس الترتيب الزمني، إلا أن هناك درس يمكن أن نتعلمه منه. فبينما يدعو بولس نفسه رسول، يدعو نفسه في نفس الوقت عبد يسوع المسيح. فبينما كان يكتب إلى كنائس الله، علم أنه أسوأ جميع الخطاة. ورغم أن الله اختطفه للفردوس (٢كو١٢: ١-٨)؛ لكنه كان يعلم أنه أصغر جميع المؤمنين. دعونا نتعلم هذا الدرس وهو: لكي ننمو روحياً، لابد أن ننقص، حتى ما يزداد يسوع. وحتى ما نرتفع لأعلى، لابد أن ننزل أولاً لأسفل.

التدريب الثاني : يوجد تدريب المرض والمعاناة والضعف. نقرأ عن سيدنا نفسه في (إش٥٣: ٣-٤): " ... رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ ... أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا..." في (عب٥:٢) نقرأ أن يسوع هو رئيس كهنتنا، كان خاضعاً "للضعف". المرض والألم والمعاناة يمكننا أن نراه كإحدى البوتقات أو الأفران التي يضع فيها الفخاري آنيته ليحمصها حتى ما تكون جاهزة للاستخدام. المعاناة والمرض هما دائماً ما يكونا جزءاً من مدرسة الله لتلاميذه. عبر العصور نجد أن التلاميذ المثمرين هم هؤلاء الذين عرفوا المعاناة والمرض بشكل جيد جداً. تلاميذ الله هم تلاميذ في هذا العالم رغم أنهم ليسوا من هذا العالم. تلاميذ وأتباع يسوع لا يتجنبون المرض والمعاناة والضعف. بعض من أدوات الله القوية التي استخدمها عبر العصور هم هؤلاء الذين عرفوا المرض والألم والمعاناة بصورة شخصية.

ضحت إيمي كارمايكل Amy Carmichael من أجل أن تذهب للهند وبرغم الكثير من عدم الفهم والتوبيخ بدأت تعمل هناك مع البنات الصغار اللاتي كن يستخدمن كعاهرات في الهيكل. وبعد كثير من النضال العنيف في معظم المعارك وبعد المعاناة والتجارب وفي إحدى ساعات النهار سقطت في بئر أثناء سيرها في حقل، وظلت بقية حياتها ولمدة عشرين عاماً عاجزة. وكتبت وهي قعيدة الفراش أفضل كتبها، وأدارت مركز الإرسالية وأظهرت لملايين الناس الطريق للمسيح – كل هذا على الرغم من الألم الجسدي والمعاناة والضعف.

ريتشارد باكستر Richard Baxter والذي كان واحداً من أعظم الوعاظ والكتاب المتزمتين، كان لديه مرض في الكلى تسبب له في الكثير من الألم والضعف الجسدي، ورغم ذلك ظل مستمراً في عمله لمدة ٥٨ عاماً. وكان هذا ما قاله عن حياته: "الضعف والمرض يساعداني أن أتعلم كيف أموت، ويجعلاني أجلس للدراسة عن كيف يمكنني أن أعيش، وأن أدرس المبادئ التي آخذ منها الحافز والعزاء ... أما الرخاء فله تجاربه الخاصة والتي منعت

الكثيرين من الوقوف بصمود في وجه عواصف المحن."

جيسي بن ــ لويس الكاتبة المعروفة، وتشارلز سبرجن الواعظ العظيم، وجون ويكليف المصلح، وكاثرين بوث أم جيش الخلاص، وهدسون تايلور مؤسس إرسالية الصين الداخلية، وجورج موللر ومدام جويون وآلاف التلاميذ الآخرين عرفوا جميعهم الأمراض الخطيرة والألم والمعاناة. وعرف رجلاً مثل سميث ويجلثورث الطريق للمرض والألم على الرغم من أن الله قد صنع من خلاله الكثير من معجزات الشفاء الخارقة للطبيعة.

كانت الشياطين تطرد وكان الكثيرين يشفون عن طريق خدمة الرسول بولس، إلا أنه هو نفسه كانت لديه شوكة في الجسد (٢كو١٢:٧). نقرأ عن بولس في (٢كو٤: ٧-١٢):

" وَلَكِنْ لَنَا هَذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لاَ مِنَّا. مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ. حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا. لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دَائِماً لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ. إِذاً الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلَكِنِ الْحَيَاةُ فِيكُمْ."

عرف بولس الضعف والمرض والألم. وكان هذا ضرورياً له في طريق نضجه الروحي.

التدريب الثالث: الإحباط والفشل. كثير منا يصارع مع هذا الأمر اليوم! وكثيراً ما يتهم التلاميذ الذين يختبرون الإحباط والفشل عن طريق مؤمنين آخرين ويؤنبونهم لأنهم يزعمون أن ما يمرون به من فشل وإحباط هو بسبب خطايا في حياتهم، وأنهم غير مملوئين بالكامل بالروح، وأنه يجب أن يصلوا أكثر، أو أن السبب في فشلهم يمكن أيضاً أن يكون عدم فهمهم لبعض الحق الروحي الأساسي.

كتب إيه دبليو توزر AW Tozer : " لا يوجد إنسان يستحق أي تحقيق للنجاح إذا لم يكن مستعداً أولاً للفشل... الشخص الذي يتهلل بالنجاح ويكتئب بالفشل هو مؤمن نفساني." فالله يسمح لأولاده بالنجاح عندما يتعلمون أن نجاحهم لا يزيد من مقدارهم لدى الله. الله محبة. ومحبته غير مؤسسة على الإنجازات. نجوم التليفزيون يقيمون نجاحهم بلغة الشهرة، والسياسيون بلغة كم من الأصوات قد حصلوا عليها، ولاعبي الكريكت بالنقاط التي يحصلون عليها في مبارياتهم، ورجال الأعمال باستثماراتهم وأرصدتهم البنكية، والوعاظ بكنائسهم الممتلئة وزيادة أعداد الأعضاء، والكُتاب بأرقام مبيعات كتبهم وبمرات تكريمهم وبالتصفيق الذي يحصلون عليه من مستمعيهم. في العالم الذي يقاس فيه كل شيء بالنجاح، يحتاج الله دائماً أن يأخذ خطوات قاسية ليعلمنا أن نجاح الناس على الأرض ليس له نفس القيمة في ملكوت الله.

كان وليم كاري هو واحداً من أفضل الأمثلة لحياة من الفشل والإحباط. فلقد ولد في القرن الثامن عشر في مدينة صغيرة منسية في إنجلترا. وكانت عائلته فقيرة وكانت له نشأة فقيرة. وبسبب طفح جلدي لم يستطع أن يعمل في الخارج، فتعلم صناعة الأحذية. ولم ينجح كصانع أحذية، فبدأ يذهب إلى مدرسة ليزيد من دخله القليل. ولم تكن المدرسة فكرة ناجحة أيضاً.

فتزوج، لكنه لم يكن سعيداً مع زوجته التي كانت تعاني من هوس الاكتئاب طوال فترة حياتهما الزوجية، وكانت تعاني من نوبات شديدة وهيجان خلال الثلاثة عشر عاماً الأخيرة من زواجهما. وماتت ابنته بسبب مرض خطير وفقد كاري شعره كله بسبب كل هذه الضغوط. وعندما طلبوا منه أن يصبح راعياً لإحدى الكنائس الصغيرة، كانت هناك مشاكل لتنصيبه بسبب أن عظاته كانت مملة جداً. باختصار كانت هناك علامات قليلة جداً للنجاح في حياة وليم كاري.

ولكن هذا كله لم يكن نهاية مشاكله. فلقد شعر كاري أن الله يدعوه للخدمة في الهند وأطاع. ولمدة سبع سنوات هناك لم يرى مؤمن واحد. وبعد أن تعلم اللغة الهندية القديمة (السنسكريتي)، بدأ في ترجمة الكتاب المقدس لهذه اللغة. وبعد بضعة أعوام فقد كل العاملين معه واحد على الأقل من أفراد أسرهم. واحترقت مطبعة الورق التي كان قد أنشأها بمجرد أن بدأت تعمل، ودُمر كل العمل الشاق الذي تم في الترجمة أثناء السنوات السابقة.

وبعد عدة سنوات صمم كاري حديقة نباتية، لكنها دُمرت في ليلة واحدة بسبب السيول الناتجة عن إنهمار شديد لأمطار مفاجئة – كل النباتات التي جمعها كاري من كل دول العالم لمدة سنوات طويلة. وأكثر من كل هذه المصائب الجسدية والمادية، اختبر كاري أيضاً مقاومة روحية شديدة من إنجلترا ضد عمله. وكان عليه أن يجيب على مئات الرسائل ليشرح ما الذي يقوم به باستخدام الأموال التي كانت ترسل إليه واحتمل أيضاً الكثير من اللوم والاتهام الروحي.

وعلى الرغم من كل المصاعب والفشل والإحباط، إلا أن كاري استمر في عمله من أجل الرب. واليوم يعرف وليم كاري بأنه أبو حركة الإرسالية الحديثة. وفي إحدى المواقف قال كاري: "إذا أردتم أن تذكروني، أذكروني بأني كنت المكافح من أجل الله." وخلال حياته ترجم كاري ومعاونيه الكتاب المقدس كله إلى ستة لغات وترجم العهد الجديد إلى ٣٤ لغة. بالإضافة إلى ذلك زرع ٢٦ كنيسة في الهند. وكان السر في حياته هو المثابرة والتماسك في وجه الفشل والإحباط.

التدريب الرابع: هو ألم القلب والحزن. ومثل الجميع، يجب أن يسير تلاميذ المسيح طريق ألم القلب والحزن: موت أحد الأطفال، موت شريك الحياة في غير أوانه، وكسر لعلاقة صداقة

طويلة ودائمة، تمرد أحد الأبناء على والديه وما يحمله من حزن ودموع لسنوات طويلة.

كان أحد رجال الأعمال في القرن الماضي في نيويورك يقوم بعمله على أكمل وجه في البداية. وفجأة بدأت تسير الأمور في مساراً عكسياً. فلقد فقد بعض من أعماله. ودمرت النيران وكوارث أخرى أعمالاً أخرى. وبقلق وتعب قرر أن يأخذ عائلته في رحلة على إحدى السفن لإنجلترا لمدة أسابيع قليلة. وقبل أن يصعد إلى السفينة، حدث أمراً معطلاً. وبناءاً على ذلك اضطرت عائلته أن تبحر قبله وكان عليه أن يبحر بسفينة أخرى ليلحق بهم بعد بضعة أيام. وقبل أن يرحل، أُبلغ أن السفينة التي استقلتها زوجته وأبناءه غرقت بسبب إحدى العواصف. وعندئذ جلس الرجل وكتب الترنيمة التالية:

عندما يلازم طريقي سلام كنهر

عندما يلفني حزن مثل أمواج البحر،

مهما كانت قرعتي فقد علمتني أن أقول

القرار:

"باركي يا نفسي الرب."

رغم أن الشيطان يضرب، وإذا كان يجب أن تحل المحن،

لتسودنا هذه الثقة المباركة،

أن المسيح يلاحظ موقفي البائس،

وقد سفك دمه من أجل نفسي.

خطاياي – يا لنعيم هذه الفكرة المجيدة

خطاياي – ليس جزء منها – بل كلها

قد سُمرت في الصليب، ولا أحمل أي منها فيما بعد،

سبحي الرب، سبحي الرب، يا نفسي!

المسيح لي، منذ الآن المسيح يعيش فيّ!

إذا الأردن فوقي بدأ يرتفع

لن يصبح للألم وطأة علي، لأنه في الموت كما في الحياة

ستهمس بسلامك لنفسي.

لكن يا رب، لأجلك – لأجل مجيئك أنتظر،

السماء وليس القبر هو هدفي،

بوق الملاك! وصوت الرب!

الرجاء المبارك! الراحة المباركة لنفسي.

نجد آثار الحزن في كل واحد من تلاميذ يسوع. لكنه لا يتركنا أبداً نسير هذا الطريق بمفردنا. فهو يؤدبنا ويعزينا بنفسه وبمحبته التي لا تنتهي.

التدريب الخامس: هو تدريب الوحدة. كثيراً ما يصبح على التلاميذ أن يسيروا في طريق الوحدة والانعزال. يا له من أمر صعب، لكنه هام جداً! وكثيراً ما يأخذنا الرب في البرية ليعزلنا عن العالم، ليتكلم إلينا ويتودد إلينا. وأثناء هذه الأوقات من الوحدة والانعزال يفصلنا الله عن الناس، والمعونة والتدعيم من الكنيسة، والأصدقاء والعائلة، ويعلمنا أنه هو وحده الكفاية لنا وهو وحده المشبع لنا.

الوحدة هي أمر ضروري لنمونا الروحي. أحياناً ما تأتي الوحدة بعد فقدان أحد أفراد العائلة. وأحياناً يرفضنا الناس لأننا قمنا بعمل أخطاء أو لأننا ارتكبنا إحدى الخطايا. أو قد نفقد سمعتنا أو يبتعد الناس عنا لأننا أتباع المسيح المتطرفين والغير مستعدين للمساومة مع الخطية أو مع بعض وجهات النظر الأخرى. قد يرسلنا الله لحقل مرسلي أو يبعدنا عن بلدنا أو مدينتنا إلى بلد أو مدينة أخرى وفجأة نجد أنفسنا بلا أصدقاء. لا يجب علينا أن نشعر بالأسف على أنفسنا في مثل هذه الأوقات.

يجب أن نذهب للرب. يسوع هو صديق من ليس له صديق. وهو يريد أن يصبح جزءاً من حياتنا ويكون له شركة معنا. يوجد مقدار من الوحدة لكل واحد من تلاميذ الرب. وكل التلاميذ يجب عليهم في جزء من الطريق أن يسيروا بمفردهم حيث لا يوجد من يسير بالقرب منهم. ولكن إذا نظرنا إلى كل هذا بعيون روحية، سنرى علامات سير يسوع على الرمال أمامنا. ففي مثل هذه الأوقات يكون يسوع قريباً منا ويحب أن يسير معنا. يعزلنا الله لبعض الوقت عن قصد حتى ما يستطيع أن يتواصل معنا.

الوحدة تجعلنا نعود ليسوع وندخل في علاقة أعمق وأكثر حميمية معه. فلا يوجد هناك طريقاً آخر.

الفصل الثاني عشر
تدريبات التلمذة (٢)

توجد تدريبات أكثر للتلمذة. وهذه التدريبات مهمة لنمونا نحو النضج الروحي. من المهم بالنسبة لنا أن لا نتمرد ونقسي قلوبنا عندما يدربنا الله ويؤدبنا.

التدريب السادس: هو المقاومة والاضطهاد والرفض. يعلمنا (٢تي٣:١٢) " وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ."؛ (رو٨:١٧) نقرأ أننا ورثة مع المسيح في آلامه. نقرأ في (يو١٦:٢) "سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلَّهِ." (يو١٥: ٢٠-٢١) "اُذْكُرُوا الْكَلاَمَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلاَمَكُمْ. لَكِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ بِكُمْ هَذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِي لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي."

اختبر يسوع المقاومة والاضطهاد والرفض بكل مقاييسهم. وبولس أيضاً كان لديه نصيب كبير من هذا وتألم من أجل المسيح، وكذلك فعل الكثيرين. ونستطيع أن نذكر أسماءهم واحداً بعد الآخر. المصلحين الأوائل مثل جون ويكلف وجون هس وسافانارولا ومارتن لوثر كان لهم أيضاً نصيباً كبيراً من الاضطهاد. وعبر العصور المختلفة سار الملايين في ذلك الطريق. في هذه الأوقات التي نعيش فيها يتعرض كثير من الرجال والنساء في كثير من البلاد للاضطهاد والقتل عن طريق الحكومات العدوانية والأنظمة الأخرى. أناس مثل ريتشارد ورمبراند، وجورج فينس، وواتشمان ني، ووان منج داو وآخرون قد دفعوا ثمناً باهظاً من أجل تبعيتهم ليسوع. حتى المبشر المعروف بيلي جراهام، الذي كان أداة قوية في يد الرب، نال نصيباً من الاضطهاد والمقاومة عبر الستون عاماً الماضية.

بدون استثناء نجد أن المقاومة وسوء الفهم والرفض والاضطهاد كثيراً ما يكونوا الخبز الذي يعطيه الآب السماوي لأولاده. شخصياً لا أعرف راعياً واحداً ممتلئاً بالروح القدس أو خادماً لديه ثمار روحية ومستخدم من قِبل الله بقوة، لم يتعرض بعد للرفض أو الاضطهاد من رفقائه المسيحيين في إحدى مراحل حياته. وآخرين أرسل إليهم رسائل معارضة وهجوم واتهام بالهرطقة وعدم المحبة وبأنهم يضلون الناس. نقرأ مرة أخرى ما كتبه بولس:

" نَحْنُ جُهَّالٌ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ ... نَحْنُ ضُعَفَاءُ ... نَحْنُ فَبِلاَ كَرَامَةٍ. إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا. نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ. صِرْنَا كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الآنَ." (١كو٤: ١٠-١٣)

"مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ." (٢كو٤: ٨-٩)

" فِي ضَرَبَاتٍ، فِي سُجُونٍ، فِي اضْطِرَابَاتٍ، فِي أَتْعَابٍ، فِي أَسْهَارٍ، فِي أَصْوَامٍ، بِمَجْدٍ وَهَوَانٍ. بِصِيتٍ رَدِيءٍ وَصِيتٍ حَسَنٍ. كَمُضِلِّينَ وَنَحْنُ صَادِقُونَ." (٢كو٦: ٥؛ ٨)

" مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ." (٢كو١١: ٢٤-٢٥).

ويقول بولس أن الوضع لم يتغير، فهو مستمر كما هو.

نحن نفهم القليل جداً عن غرض وضرورة أن نُضطهد ونُقاوم ويُساء فهمنا ونُرفض ونُزدرى من الآخرين.

التدريب السابع للتلمذة : هو سوء الفهم والخزي والعار. جزء من الطريق للنمو الروحي هو طريق عدم الفهم والخزي والعار. فلقد سار يسوع نفسه في هذا الطريق! أُحتقر وأُزدرى به من الناس، وفوق كل هذا، كان عليه أن يحمل صليب العار. لكن هل كل هذا جعله أقل أهمية وقيمة في عيني الآب؟ لا. فالخزي والعار من "الاختبارات" الصعبة التي يجب علينا اجتيازها من وقت لآخر. وكثيراً ما يجد الله أنه من المهم أن يجعلنا نمر في مثل هذه الأمور من أجل مصلحتنا الخاصة. فالخزي والعار يضعا نهاية للكبرياء والعجرفة ويجعلنا ندرك أنه لا يوجد سبب يجعلنا ننظر إلى قدراتنا وإلى أنفسنا بصورة عالية.

هندري سوسو Hendri Suso أحد الوعاظ المشهورين في القرن الماضي. صلى في إحدى المناسبات وطلب أن يعرف الله بصورة أفضل. فجاوبه الله: وبعد قليل قرعت امرأة على بابه ووضعت رضيعاً يبلغ من العمر بضعة أسابيع بين ذراعيه وقالت: "هندري سوسو، هذه هي ثمرة خطيتك." ثم استدارت ورحلت. يا له من خزي وعار. سوسو لم يكن مذنباً، لكنه ظل صامتاً وقام بتربية الطفل. بدأت كنيسته تقل في العدد. وبدأ الناس يهمسون بكلام من خلف ظهره. وبدأت خدمته تتدمر. وفي أحد الأيام وقف سوسو وتطلع من النافذة ودموع الخزي والألم تنهمر على وجنتيه، وصرخ لماذا يارب؟ في الخارج كان هناك كلباً يلعب بإحدى الخرق البالية. وأخذ ينبح على الخرقة ويمزقها بأسنانه ويقذفها فوق كتفيه ويعقدها بالطريقة التي يلعب بها الكلاب بخرق القماش. وأجاب الله سوسو: "هذه الخرقة هي سمعتك. ولقد سمحت للناس أن يمزقوا سمعتك أرباً، وذلك لمصلحتك الشخصية. وسريعاً سيتغير الموقف." قبل سوسو هذا واستمر مع زوجته دون أن يدافع عن نفسه أو يحاول أن يصلح من موقفه. وبعد مرور ستة عشر عاماً عادت نفس المرأة واعترفت للجماعة كلها أنها عاشت في الخطية وأن هندري سوسو لم يكن هو أبو الولد. وأنها كانت تريده أن يعتني بطفلها. فأبرأت ذمة

سوسو مرة أخرى وعادت إليه سمعته وبدأت كنيسته تمتليء مرة أخرى، واتسعت شهرته كواعظ لأبعد مما كانت، وأثمرت خدمته ثماراً روحية أكثر. وقرأ الكثيرين كتبه وتباركوا كثيراً بالترنيمات التي كتبها.

ليتنا لا نترك الشك في أبونا السماوي يتسلل إلى حياتنا. فالله يعرف جيداً ما يقوم به. ولا يوجد خزي أو اضطهاد أو ازدراء أو مشاكل أو تجارب تسقط خارج سيطرة الإله الكلي السيادة.

التدريب الثامن للتلمذة : يمكن أن نسميه التقدمات والذبائح. فستأتي أوقات حيث يطلب منا الله الآب أن نقوم بذبائح وتضحيات كبيرة. وهذه هي الأوقات التي نحتاج أن نعمل فيها بشدة، وننام فترات قليلة وفي النهاية نحصل على ثمار قليلة لتعبنا. وهذه هي الأوقات التي فيها نقوم بالعمل ونقدم تضحيات شخصية وعائلية، عندما نصبح فيها متعبين بصورة شديدة ونشعر أننا لا نستطيع الاستمرار أبعد من ذلك. كتب بولس:

" إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا. نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ." (١كو٤: ١١-١٢).

" فِي ضَرَبَاتٍ، فِي سُجُونٍ، فِي اضْطِرَابَاتٍ، فِي أَتْعَابٍ، فِي أَسْهَارٍ، فِي أَصْوَامٍ." (٢كو٦: ٥)

" أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ: فَأَنَا أَفْضَلُ. فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. فِي الْمِيتَاتِ مِرَاراً كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ. لَيْلاً وَنَهَاراً قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ. بِأَسْفَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. بِأَخْطَارِ سُيُولٍ. بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ. الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ. مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟" (٢كو١١: ٢٣-٢٩)

هذا هو وصف التلمذة الذي لا نسمعه كثيراً لكنه حقيقي.

قد لا نرى فيها ثمار لمدة شهور أو أعوام. فكثير من الخدمات في بعض الكنائس لا ترى أي مؤمنين جدد لمدة سنوات. كان هناك زوجان مرسلين يعملان في الكونغو لمدة ٢٥ سنة بدون أن يريا مؤمناً واحداً. ومجموعة أخرى من المرسلين كانوا يعملون في شمال أفريقيا لمدة ٥٠ عاماً بدون أي علامة للثمار. وفي أوقات مثل هذه تجد أن هناك تضحيات شخصية كثيرة مشتركة معاً، وفترات ممتدة من الصوم والصلاة، وعجز في الموارد المادية والإمدادات الضرورية والأساسية. وفي مثل هذه الأوقات نريد أن نصرخ: ما الفائدة من كل هذا؟ وعندئذ

لابد أن نذكر أن يسوع قال من يضع يده على المحراث لا يجب أن ينظر للوراء. وفي مثل هذه الأوقات يختبر الله قلوبنا ليرى ما الذي يحركنا للقيام بما نقوم به. هل نقوم بهذا لأجله هو أم لأنفسنا، أو لينظرنا الناس من أجل الرغبة في الحصول على التقدير من الآخرين؟

التدريب التاسع: هو إزعاجات وهجمات إبليس. وهذا الطريق لا يمكننا تجنبه. وهو جزء لا يتجزأ من حقيقة التلمذة. قال يسوع لبطرس أنه كان مدركاً لمناورة الشيطان لغربلة التلاميذ مثل الحنطة، لكن يسوع صلى من أجلهم. ولقد علمنا أن نصلي من أجل أن ينجينا الله من الشرير. كتب الرسول بولس في رسالته الأولى أن الشيطان يجول مثل الأسد، باحثاً عن شخصاً يبتلعه. وكتب بولس إلى أهل تسالونيكي كيف أن الشيطان قاومه وفي (أفسس٦) قال بوضوح أن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع أرواح شريرة في الهواء.

يسمح الله بالمواجهة بين تلاميذه وقوات الشر. ويعلمنا أن نقاوم هذه القوات، ونأخذ سلطان فوقها وندمر أعمالها. وبسلطانه يستخدم هجمات وإزعاجات الشرير في تأديبنا ويجعلنا طائعين لمشيئته. لكن الله لن يسمح لهذه الهجمات والتجارب أن تزداد وتصبح فوق قدراتنا على الاحتمال، لكنه مع التجربة يدبر طريق للإنقاذ (١كو١٠:١٣). واحدة من المآسي التي في كنيسة اليوم أن هناك الكثير من القادة الروحيين وكثير من أبناء الرب، لا يؤمنون بوجود الشيطان، ولا يؤمنون أو يريدون الاعتراف أن الحرب الروحية أمر واقعي. كيف يمكننا أن نقاوم الشيطان إذا لم نكن نعترف أنه حقيقي وأنه يهاجمنا؟ كتلاميذ لابد أن نتعلم تدريب السهر والصلاة حتى لا نسقط في التجربة. فالله دعانا أن نكون تلاميذه، لنملك على خليقته وأن نصبح ممثلين له على الأرض، والشيطان وجنوده سيقاومون ويهاجمون ذلك. إنها حرب بلا رحمة لأن شر عدونا لا يمكن تغييره وهو لا يتعب من الهجوم علينا ومحاولة إيذائنا بمكره. ولقد دفع يسوع حياته ثمناً للانتصار على هذه القوات. ولذلك نحن كتلاميذ له نعرف أننا نحارب في هذه المعركة بقوة المسيح المنتصر على الصليب.

وأخيراً يأتي التدريب العاشر: وهو الشهرة والنجاح. ربما يكون هذا تدريب النجاح والعمل المثمر والشهرة هم أصعب التدريبات. قد يدهشك هذا، لكنها حقيقة. كثيراً ما نجتاز كل الاختبارات ونفشل عندما نحقق النجاح. كل التدريبات الأخرى هي التحضير للوقت الذي سنصل فيه للنجاح في عملنا، حيث يصبح هناك ثمار كثيرة وشهرة تتبعنا دائماً. كثيراً ما تكون كل الاختبارات التي نجتاز فيها غير كافية لمعالجة النفس البشرية حتى ما تعطي مجد الثمر الروحي والنجاح لله. عندما ندرس حياة ملوك يهوذا وإسرائيل في العهد القديم نرى أن معظم الملوك الذين كان لديهم ثمار روحية والذين توج الله حياتهم بالنجاح، عانوا من الفشل الروحي في النهاية: سليمان، حزقيا، آسا، عزيا، يهوشفاط.

جميعنا نشتاق للنجاح والثمر الروحي لتعبنا! ونصلي ونتضرع إلى الله ليبارك عمل أيدينا. ثم في يوم واحد عندما تأتي البركة والازدهار، تبدأ قلوبنا تدريجياً في البرودة ونقص المحبة، ويبدأ ذكاءنا الشخصي وكبرياءنا في الارتفاع. وهذا عندما يصبح لدينا تعاطف أقل مع الآخرين الذين لم ينجحوا، ونسرع في الإشارة إلى خطاياهم وفي الحكم على تعبهم وضعفهم وخطيتهم. وعندئذ نبدأ في الاتجاه نحو السقوط.

لماذا هذا الطريق؟ لماذا يجب أن يسير المؤمنين والتلاميذ في هذا الطريق؟ الإجابة ببساطة هي: السقوط يجعل هذا ضرورياً. فهو طريق الله، طريقه لتهذيبنا ولاختبارنا ولتجهيزنا حتى ما نثمر ثمراً روحياً. في (١تس٣:٣) نقرأ: " كَيْ لاَ يَتَزَعْزَعَ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الضِّيقَاتِ. فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا مَوْضُوعُونَ لِهَذَا." الكلمة تعلمنا أن أوقات الامتحان والتنقية قد تم قياسها بحرص لكل واحد فينا.

نحتاج أن نعرف أنه ضروري لنمونا الروحي. أوقات التأديب والاختبار هي أوقات خاصة للنمو والتنقية والتي فيها نقترب أكثر وأكثر لصورة المسيح. كل التلاميذ لابد أن يمرون عبر أوقات الامتحان هذه، ولا يوجد من هو مستثنى من هذا – فالنمو الروحي لا يأتي بدون هذا الأمر.

أوقات التنقية والاختبار والتجارب هذه تعلمنا أن نسير في طريق روحي ينتج عنه ثمار دائمة. تعلمنا أننا لا نستطيع القيام بعمل الرب بقوتنا الشخصية وأننا لسنا أقوياء بصورة كافية لتحقيق نتائج وثمار روحية. وكثير مما نقوم به مولود من الجسد، ومعمول بقوة الجسد وينتج عنه نتائج جسدية. الله الآب يعلمنا أن نميز ما بين المولود منه والذي يستطيع أن يغلب العالم، وبين المولود من الجسد ومن الذات. يظهر لنا ما هو مقدار ما نقوم به بقوتنا الشخصية. وكثيراً ما يكون من الضروري أن يدمر أعمالنا حتى ما ننشغل بالأعمال التي تحمل ثماراً روحية حقيقية.

هذه التأديبات تعلمنا الانكسار. فلقد ولدنا بالكبرياء والعناد، وبالبر الذاتي، وبالإيمان في قدراتنا الذاتية. لكن في مدرسة الله للنضج الروحي يعلمنا مقدار ضعفنا، وأننا لا نستطيع الاعتماد على ذواتنا والثمار الوحيدة التي تدوم هي ثمار الروح القدس التي يصنعها بواسطتنا. الانكسار يقول، "يارب، لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك."كثيراً ما تقف خططنا الشخصية ومشيئتنا الشخصية في طريق عمل الله. لكن الانكسار يأتي بنا لنقطة اختيار مشيئة الله.

ويعلمنا أيضاً أن نصبح ودعاء ومتواضعين. عملية التنقية تجعل قلوبنا لينة. فالمؤمنين حديثي الإيمان يحكمون بتسرع على أخطاء الآخرين، ولديهم إجابات سريعة ويحبون أن يفرضوا آرائهم عما يجب وما لا يجب القيام به. في مدرسة الله للنضج الروحي نتعلم أن نصبح لطفاء ومتواضعين مثل يسوع، وأن يكون لدينا تحنن وشفقة على الخطاة الآخرين،

ونبدأ في فهم أن جميعنا لديه ضعفات.

في هذه المدرسة نتعلم أن نتخلى عن حقوقنا. فنحن هناك لنعمل من أجل يسوع، مع الروح القدس، لكن كثيراً ما نكون مملوئين بأنفسنا ومدركين جداً لحقوقنا. يجب أن نُسلب من حقنا إذا أردنا أن نثمر ثمر روحي، لأن هذه الحقوق هي التي تمنع الله من الوصول لهدفه معنا. لابد أن نموت عن حقنا في الغضب وحقنا في الراحة وفي الفرص الملائمة، حقنا في الاختيار، حقنا في أموالنا، حقنا أن نصبح معروفين ومقدرين من الآخرين وأن نشعر بأنه قد أخطأ الناس في حقنا، حقنا في الامتلاك وحقنا في المعاملة الإنسانية. الجسد والذات والأنا لا يمكن أن تثمر ثمر روحي. روح الله لا يمكن أن يعمل مع الطبيعة القديمة. لابد أن تُصلب هذه الطبيعة، ولهذا السبب وهذا السبب بالذات يُعد هذا الطريق أمراً ضرورياً.

التدريبات تذيب قلوبنا الباردة والقاسية الغير حساسة والتي لا تشعر. لا يمكننا أن نصبح بركة للمكسورين إذا كنا ننظر لهم نظرة احتقار – مثل القضاة الذين لا يشتركون في الصراع. تماماً مثلما خضع يسوع للضعف والمعاناة والاضطهاد ولهذا السبب استطاع أن يفهم تماماً ما نمر به نحن، كذلك أبونا السماوي أيضاً يتركنا نسير في نفس الطريق حتى ما نستطيع أن نفهم ونساعد رفقائنا البشر المكسورين والمتألمين والمرفوضين.

هذا يجعل منا خدام بدلاً من سادة، لقد جاء يسوع وأخذ طبيعة العبد حتى ما يظهر للبشرية مقدار محبة الله لهم. ونحن كذلك نحتاج أن نأخذ طبيعة العبد لنقوم بعمل الله.

وأخيراً، تدريبات الله تحضر لنا القداسة. (عب١٢:١٤) تعلمنا أنه لا يستطيع أحد أن يرى الله بدون القداسة. كياننا كله وطبيعتنا خاطئة. وعن طريق التأديب والاختبار نصير مقدسين بالرب، فهو يطهرنا ويبعد الخطايا عن حياتنا. في (عب١١: ٣٣–٣٨) نقرأ الكلمات الرائعة التالية:

" الَّذِينَ بِالإِيمَانِ قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرّاً، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوَّوُا مِنْ ضُعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ، أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ. وَآخَرُونَ عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ. وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزْءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ. رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ."

هذا الجزء يصف لنا نصرة وهزيمة الكنيسة وتلاميذ السيد. هنا نرى الكنيسة المتألمة والمنتصرة.

الله هو الفخاري ونحن الطين. وهو يعد الخزف ويشكل كل قطعة بطريقة فريدة ليصنع خليقة يستخدمها كما يريد. ويضع قوالب الطين داخل الفرن ويشعل النيران ويسمح لها أن

تُحرق وتصبح جاهزة للاستخدام. نحن نجد أن خبرة الفرن صعبة للغاية. وهناك في الفرن نعتقد أن الله تركنا، وأنه غير مهتم بنا، وأن من يسمح بهذا أن يحدث لنا ليس هو إله المحبة. لكن الفخاري الأعظم يعلم أنه لا يوجد أي أداة طينية لا تصلح لأي شيء بدون أن تخبز في الفرن. ونحتاج أن نتذكر أن هناك أنواع مختلفة من الطين وكل نوع يحرق في درجة حرارة مختلفة. قد نشعر بالأسف على الطين ونقلل درجة حرارة الفرن لكن هذا لن يفيد. وليس من حقنا أن نسأل الله عما يفعله بنا. فالله يخبز ويشكل تلاميذه لعصور طويلة.

على الرغم من أننا قد لا نفهم الطريق الذي يأخذنا فيه الله، لابد أن نذكر أن هناك شخصاً يفهم هذا الطريق، وأن هذا الأمر لصالحنا. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الثالث عشر

لأي عمق يجب أن يذهب الصليب ؟

الموت عن الذات هو عنصر أساسي للنصرة على الخطية، وللفرح الدائم وللحياة الممتلئة بالثمر الروحي. عندما يدعوني يسوع، يطلب مني أن آخذ صليبي وأتبعه. جزء من هذا يعني الموت عن الذات وما هو مهم بالنسبة لي، وأن أخضع نفسي لمشيئة الله. الموت عن الذات يعني أن نصبح قادرين أن نقول في كل موقف: يارب لتكن مشيئتك. وهذا يتطلب انكسار واستعداد لعمل مشيئة الله واختيار الله وأغراضه.

أن أحيا حياة روحية هو أن أكون تابع ليسوع، وهذا يعني أن أموت عن نفسي وأسمح لذاتي أن تصلب، وطبيعتي القديمة يجب أن تفسح الطريق لحياة يسوع المسيح أن تعمل فيّ ومن خلالي. الذات دائماً ما تطلب الراحة والحياة الملائمة والقبول والشعبية والتقدير والتقدم والإرادة الشخصية. في حياة التلميذ الحقيقي تكون الأولوية الأولى هي مشيئة الله، ومجد الله، وملكوت الله وخلاص وفداء الخطاة.

نحن اليوم نعيش في جو روحي لا يسمح للصليب أن يأتي في حياتنا الشخصية وفي حياة كثير من المسيحيين والكنائس. والصليب ببساطة لا يدخل بعمقٍ كافٍ. ولا يقوم بوظيفته بالكامل في حياة معظم المسيحيين. غرض الصليب هو أن يأتي بالموت – الموت للذات. السبب في أن معظم المسيحيون لا يتمتعون بالقوة الكافية اليوم، هو بسبب أن الصليب لا يتخلل بعمق كاف في حياتهم ليأتي بالموت للذات. إذا أردنا قوة روحية، وأردنا أن نقوم بعمل الله بطريقته هو، فلابد أن نموت عن ذواتنا. وبينما يذهب الصليب بصورة أعمق في حياتنا، ننمو في القرب من الله ونصبح مؤهلين أكثر للعمل معه في ملكوته. الصليب يحررنا من كل القيود حتى ما نخدم الله بصورة أفضل.

إلى أي عمق يجب أن يذهب الصليب؟ الصليب يجب أن يحررني من الخطية، ويجب أن يخلصني من الخطية، يجب أن يُبنى حائط بيني وبين خطيتي ويقف بين الخطية وبيني. الصليب (والدم) يجب أن يطهرني من خطيتي ويغسلني من وصمة الخطية. لكن مازال يجب أن يذهب لعمق أكبر، فيجب أيضاً أن يحررني من قوة الخطية. ويجب أن أسمح للصليب أن يحررني من تأثير الخطية والقيد الذي تقيد به الخطية حياتي.

يجب أن يحررني الصليب من قسوة وناموسية الدين، دين افعل ولا تفعل، ديانة لا تمس ولا تذق ولا تذكر هذا ولا تذكر ذاك. الديانة الناموسية هي للناس الجسديين ولا تخدم غرض السيطرة على الخطية وشهواتها. الديانة الناموسية تدعي الحكمة، لكنها ديانة مصنوعة بأيدٍ بشرية. أبناء الله لابد أن يغمروا أنفسهم بالناموس الكامل الذي يحررنا من افعل ولا تفعل.

لابد أن يصحح الناموس أنماط سلوكنا بالكامل. ولابد أن يؤثر على كل كياننا: الطريقة التي ألبس بها، الطريقة التي أنظر بها للأشياء التي حولي، الطريقة التي أتكلم بها مع الناس وما أقوله لهم. يجب أن يحدد الصليب ويوجه ويرشد سلوكي وأفكاري. لابد أن يجعل الصليب الناس ترى المسيح فيّ وفي سلوكي.

إلى أي عمق يجب أن يذهب الصليب؟ الصليب لابد أن يخترق حقوقي: الحق في أن أغضب أو أكتئب، حقي في الامتلاك والراحة والحياة الملائمة، حقي في الاسترخاء، حقي في أن يفهمني الآخرين. يخترق رغبتي في الشفقة على النفس، وحقي في الدفاع عن نفسي، وفي معاملة الناس لي باحترام، وفي توقع التقدير لإنجازاتي، يخترق طموحاتي وأحلامي وخططي للمستقبل. يخترق حقي في الأشياء الجيدة في الحياة في الراحة والمتعة وحقي في الحياة المليئة بالسلام، حقي في الاختيار. ليست هذه الأمور خاطئة في حد ذاتها، لكنها تصبح حق عندما تصبح وثن أو تخرج خارج مشيئة الله لحياتي، وعندئذ تصبح عائقاً لعمل الروح القدس فيّ. فعلى سبيل المثال: عندما يعطني الله مالاً لأنفقه هذا شيء، لكن الأمر يختلف عما إذا كان لديّ المال لكني أرفض أن أسمح لله أن يقول لي الطريقة التي أنفق بها هذا المال.

يجب أن يخترق الصليب مخاوفي: خوفي من الخزي والاحتقار، ومن أن يسيء الناس إليّ أو يتهموني بصورة خاطئة، خوفي من الخجل وخوفي من المعاناة والاضطهاد، وخوفي من رفض الآخرين لي أو أن أصبح فاشلاً.

الصليب يحررني من الأمور الجميلة في الحياة. لا يهم إذا كانت خاطئة أم لا. لابد أن يخترق الصليب أعماقي حتى لا تسيطر الأمور الجميلة على حياتي. حتى أن الصليب يمكنه أن يخترق الأمور الجيدة في الحياة. يظن الكثيرين منا أن الله سيكون مسرور بنا إذا انشغلنا بفعل الأمور الجيدة والأغراض النبيلة. كل الأمور الجيدة ليست بالضرورة هي مشيئة الله لحياتي. فلابد أن أموت أولاً عن الأمور الجيدة لأنه عادة ما تكون الأمور الجيدة تقف في طريق الأمور الأفضل في الحياة، وفي طريق مشيئة الله لحياتنا. ولذلك كل الأمور المشتبه فيها لابد أن تُزال من حياتي. كثيراً ما لا نكون متأكدين ما إذا كان هذا الأمر يعد خطية أم لا. ولا نكون متأكدين ما إذا كان هذا الأمر خاضع لخطة الله أم لا. هل اخترق الصليب بعمق في حياتك للدرجة التي تجعلك تتخلى فوراً عن الأمور المشكوك فيها وتقوم فقط بما يطلبه منك الله؟ هل تتساءل حول الرقص والتدخين وشرب الخمور؟ أترك هذه الأمور جانباً حتى تعرف مشيئة الرب ثم قم بهذا الأمر بكل قلبك.

يجب أن يذهب الصليب لعمق أكبر في حياة كل مؤمن. هل أنا مستعد أن أتألم لأجل الإنجيل؟ هل أنا مستعد لأن يراني العالم كنفاية وأن أُرفض من أجل يسوع؟ هل أنا مستعد، إذا كان ضرورياً، أن أصبح محتقر وغير محترم من الآخرين؟ هل أنا مستعد للألم؟ هل أنا

مستعد لقبول المكتوب في (رو٥: ٣-٥)؛ أي أن التجارب والمعاناة تجعلنا ننمو روحياً؟ لقد كان يوسف في العهد القديم رجلاً باراً عندما سُجن، لكن الألم سبب له موتاً أعمق للذات وأعده بصورة أفضل للعمل الذي كان ينتظره. هل يمكنني أن أقبل بمحبة أن شخصاً آخر يأخذ الشكر على عمل قمت به أنا؟ هل أنا قادر على الاستمرار في ظروفي بغض النظر عن مدى صعوبة الموقف، حتى لو ظلت ظروفي بلا تغيير؟ هل أنا مُت عن الإحباط وعن الرغبات الغير مسددة وعن المثالية المحطمة؟ هل وصلت روحياً للنقطة التي فيها أستطيع احتمال أي شيء؟ هل يمكنني أن أحتمل كل شيء حتى ما هو خطأ؟ (هذا بوضوح لا يعني أن أتغاضى عن الخطأ) ما الذي يحدث لي عندما يهينني الآخرين، ويتهمونني بصورة خاطئة، ويقللون من شأني، ويؤذونني أمام الآخرين وعندما يشكون في كلماتي، وعندما يخطئ في حقي الآخرين؟ إذا كانت هذه الأمور تضايقني وأجد أنه من الضروري أن أدافع عن نفسي، فلابد أن يذهب الصليب بصورة أعمق داخل حياتي.

يجب أن يذهب الصليب بعمق حتى لا أقوم بمساومة الآخرين للقيام بما أريده منهم، وحتى ما أموت عن قدرتي على فعل الأمور، وأموت عن أفكاري عن الأمور الصحيحة والأمور الخاطئة. لابد أن يأتي بي الصليب للنقطة التي عندها أستطيع أن أقول، "... لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ." (زك٤:٦) كثيراً ما نحاول القيام بالأمور بقوتنا الذاتية، وباستخدام ذكائنا البشري للنقاش حول موضوع ما، وأن نتكل على مواهبنا وقدراتنا. كثيراً ما يكون لدينا أحلام وخطط ومُثل. ونخطط لأمور من أجل الرب، ولكننا نتكل على ذهننا وقدراتنا البشرية في تطبيق هذه الخطط. يجب أن يحضرنا الصليب للنقطة التي فيها نفهم أنه لابد لنا أن نعمل ونحيا بقوة قيامة المسيح فينا. لكن قبل أن تصبح قوة القيامة مرئية فينا، لابد أولاً أن نموت عن الذات.

ينبغي أن يذهب الصليب بعمق شديد حتى لا أرغب فيما بعد في أمور كبيرة. وحتى ما يصبح النجاح في وظيفتي ليس أهم شيء في حياتي، أو حتى لأربح نفوس للمسيح. هل أرغب في أن أكون أو أن أقوم بشيء مهم، أو في إنجاز أمور عظيمة أو أن يشعر الناس بأني شخص يعتمد عليه؟ هل تركت المرحلة التي يصبح فيها التقدم والتقدير مهمان بالنسبة لي؟ هل أنا جاهز لأحيا حياة فيها عزلة وانفراد مع الله في المسيح؟ هل أفكاري مركزة حول الأمور الحاضرة الأرضية أم على الأمور الموجودة حيث المسيح جالس؟ أهم شيء في حياة المؤمن هو أن يكون في مشيئة الله وأن يحيا في علاقة حميمة معه. وكل شيء آخر يأتي في المرتبة الثانية. هل أنا ميت عن كل المدح أو اللوم، النجاح أو الفشل؟ هل أنا ميت عن كل الرغبات البعيدة عن رغبات الله؟

هل يمكن للصليب أن يدخل بصورة أعمق من ذلك؟ نعم، يمكنه ويجب أن يستمر في

الدخول لمستوى أعمق. ويجب أن يخترق كل أوجه حياتي النفسية والتي تتلف إيماني في الله ومسيرتي مع الله. كلمة الله واضحة: "... والْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا." (حب٢:٤). هل أنا مستعد أن أثق في الله بغض النظر عن ظروفي؟ هل أؤمن في قدرة الله الغير محدودة وأمانته أكثر من مشاعري المليئة بالشك داخلي؟ إذا كانت الإجابة لا، فهذا يعني أن الصليب يحتاج أن يدخل لمستوى أعمق داخل نفسي؟ هل تعلمت ألا أحيا بالمشاعر بل بالإيمان وحده؟

هل يدخل الصليب بعمقٍ كافٍ في زواجي؟ هل أنا مستعد أن أحب شريك حياتي على الرغم أنني لا أشعر بأي شيء نحوه أو نحوها؟ هل أنا مستعد أن أُخضع احتياجاتي ورغباتي في الزواج للإتحاد مع احتياجات شريك حياتي؟ هل أنا قادر أن أقول "لا" للذات و"نعم" لاحتياجات عائلتي؟ أليس هذا هو السبب في أن كثير من الزيجات غير مستقرة اليوم؟ لأننا جميعاً نطلب مصلحتنا الشخصية ونتفاوض لنصل إلى الأفضل لأنفسنا، ونحارب من أجل حقوقنا ونؤكد على ذواتنا في العلاقة الزوجية. هل لديَّ تقدير لشريك حياتي أكثر من تقديري لنفسي؟ هل أنا كزوجة، مستعدة أن أعين زوجي حتى ما يصبح رفيق جيد وهل أخضع نفسي له؟ هل أنا كزوج، مستعد أن أحب زوجتي، كما أحب المسيح الكنيسة؟ لقد كان مستعد أن يضع حياته من أجل الكنيسة. هل أنا قادر على الغفران، حتى سبعين مرة سبع مرات، وهل أنا مستعد لأن يعاملني شريك حياتي بطريقة غير عادية؟ هل يمكنني أن أقول "أنا آسف"؟

لابد أن يخترق الصليب كل شيء أحبه: علاقاتي الأسرية، محبتي لزوجتي أو لزوجي وأولادي. لابد أن يخترق الصليب محبتي للأمور الجميلة، وللتحف والأنتيكات، وللممتلكات الغالية، ولمنزلي ولسيارتي وحبي للرياضة...إلخ. لابد أن يخترق الصليب كل رباطات للمحبة، وكل العلاقات التي تقف في طريق محبة الله وفي طريق خدمتي له.

في حياة القادة الروحيين يجب أن يذهب الصليب لعمق أكبر في حياة أعضاء الكنيسة، لأنهم القادة ولابد أن يكونوا مثال ونموذج للآخرين. هل أنا كواعظ أو راعٍ غاسل للأرجل (يوحنا١٣)؟ هل أتذمر على النير الذي أحمله كراع، أم أخدم بفرح؟ هل أحب الخطاة، هل أفكر في الآخرين بصورة أعلى من نفسي هل احتياجات الآخرين أهم من احتياجاتي الشخصية؟ هل لديَّ تطلعات لعمل أمور أعظم للرب ولأن أصبح واعظاً جيداً؟ هل أعظ الكلمة طبقاً لقناعتي الشخصية أم أسمح لنفسي أن أتأثر بآراء الآخرين أو بالظروف؟ هل أعتبر مجد الله والحق أكثر أهمية من مجدي الشخصي، ومن الرغبة في أن يقدرني الآخرين؟ إذا كانت الإجابة لا، هذا يعني أن الصليب يحتاج أن يدخل لمستوى أعمق في داخلك.

إلى أي عمق يجب أن يذهب الصليب؟ يجب أن يخترق الصليب هويتي: ويتوقع مني أن أتخلى عن جنسيتي وحقوقي ولاهوتي ولغتي وحضارتي وحتى حقي في أن يعاملني الناس معاملة آدمية. لابد أن أتخلى عن مستقبلي وتوقعاتي في الحياة، ولابد أن أتخلى عن الحياة التي

أعرفها، الطريقة التي تربيت بها والطريقة المقبولة لديّ.

هل أنت جاهز أن يستعمل الروح القدس الصليب بعمق أكبر في حياتك؟ سيعطيك هذا القوة الروحية والسلام والحياة بملئها.

(غل٢:٢٠) لابد أن يكون المبدأ الوحيد لنا لنحيا به: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي."

كل خطوة لأعلى، كل خطوة تالية في نموي الروحي يسبقها خطوة أعظم نحو الموت عن الذات. عادة ما يخترق الصليب بصورة أعمق في حياتي للدرجة التي تجعل تيار قوة الروح القدس يسري فيّ، ويصبح أوسع وأعمق وأكثر ملئاً.

إذا أخافتك وأربكتك هذه الكلمات، اهدأ داخل نفسك، واركع أمام الرب واطلب منه أن يعينك. هذا هو الطريق الآخر. طريق الله. وفي هذا الطريق ستعرف الله وستراه وجهاً لوجه.

الفصل الرابع عشر
الطريق الآخر

يوجد دائماً طريقين، ولقد أُعطيت الاختيار لتختار أي من هذين الطرقين ستسير فيه. أحدهم طريق واسع به الكثير من المسموحات، طريق فيه الناس أحرار يفعلون ما يحلو لهم ويقولون ما يريدون، ويختارون مصيرهم بحرية. وهذا هو الطريق الأكثر شهرة، والذي يختاره ويسير فيه معظم الناس.

لكن يوجد القليل من المسموحات في الطريق الآخر. وهذا الطريق أيضاً يسمى الطريق الضيق، أو الطريق الصغير، أو الطريق ذو المسموحات الأقل. وهو هادئ وغالباً ما يكون طريق موحش. وفي هذا الطريق نادراً ما تجد الناس يسيرون في مجموعات. لأن في معظم الوقت ستجدهم يسيرون في طابور مفرد، وكل واحد يحمل صليب على كتفه. وسيرهم يكون له هدف مثل الناس الذين يتبعون شخصاً ما. وعلى الرغم من أنه الطريق الأصعب، إلا أنه طريق أقصر وأكثر سلاماً، طريق دموع، لكن الدموع فيه أقل من التي في الطريق الواسع.

لا يوجد مكان للمساومة في هذا الطريق، بل يوجد النور والحق. وهؤلاء الذين يسيرون في هذا الطريق، يصبحون أقل عدداً، لكن القوة التي داخلهم تزداد مع مرور الأيام وكلما أصبح عدد الناس أقل كلما ازداد مجد الله في حياتهم.

ليس الكثيرون لديهم الشجاعة للسير في هذا الطريق، لأن عليهم أن يدفعوا ثمناً للسير فيه: فلابد أن يحملوا الصليب، صليب العار. يوجد هؤلاء المستعدون للصليب الغير مريح وللألم وللظروف التي صعب تغييرها، لكن قليلون هم القادرون على احتمال عار ولعنة الصليب. لكن يوجد هؤلاء الذين يحملون صليبهم ويتبعون يسوع بغض النظر عن ثقل الصليب.

هؤلاء الذين ماتوا على الصليب كانوا يعلقون عراة أمام العامة. القاتلون واللصوص والمجرمون. كان هو أقسى عقاب لأكثر الجرائم شراسة. يمكننا أن نقول أنه أمر مقبول إذا صلب الشخص من أجل شيئاً خاطئاً قام به. لكن أن يصلب شخص من أجل فعل شيء صالح، يكون هذا هو الصليب المسيحي.

كمسيحيين نقوم بعمل مجهود لنحيا بكمال. ولنفعل ما هو صحيح، ولنتكلم بالحق، ولنساعد آخرين، ولنحبهم، ولنحتمل الظلم، ولنسير الميل الآخر ولنغفر. ولهذا السبب يصلبنا العالم. وذلك بسبب أننا نقوم بالأمور الصحيحة. لقد كانت هذه هي الحالة وستظل دائماً هكذا. نفس الناس الذين يهتفون "أوصنا" اليوم، سيهتفون "أصلبه!"، "أصلبها!" غداً. يا لخزي هذه اللحظات: على رحمة الناس. نُرفض ونُهان ويُزدرى بنا ونصبح مصدر سخرية الناس، ويأخذ الناس في هز رؤوسهم باندهاش وتشامخ وبر ذاتي.

في أوقات مثل هذه يجب أن نعرف أن الناس هم الذين يحكمون علينا وليس الله. فالله كثيراً ما يسمح لنا بالخزي، وبهذه الطريقة يظهر لنا مقدار تقييمنا لآراء البشر الفانية. وإذا كان لهيب العار مازال يحرقنا، فلابد أن نعرف أن الصليب لابد أن يدخل بعمق أكثر داخلنا. ولابد أن ندرك أن آراء الناس وخوفنا من الناس وتعلقنا بآراء الناس، ما زال يلعب دوراً مهماً في حياتنا. وعندما تكون هذه هي حالتنا تصبح فائدتنا لملكوت الله ضعيفة ونثمر ثمار أقل.

عندما يُسمَر شخصاً على الصليب، يجرد هذا الشخص من كل قوته. ولا يستطيع الذهاب لأي مكان. ولا يكون أمامه إلا طريقاً واحداً وهذا الطريق يقود للموت. والموت لم يكن أبداً خياراً سهلاً لشخص لازال حياً. لكن هذا ما يطلبه منا يسوع في (مت١٦: ٢٤-٢٥): " حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا." يقوم المسيحيون باتخاذ قرارات تطوعية ليلزموا أنفسهم لمشيئة المسيح – ومشيئة الرب يسوع هو الصليب.

ملكوت الله هو ملكوت غريب. فالصليب يعطينا الله، وعندما نستقبل الله، نعطيه في المقابل للعالم. الصليب الذي يتكلم عنه يسوع هو أن نتبعه، أن نسير في الطريق الآخر. ويعني أنه بصورة حتمية يجب علينا أن نضع جانباً برنامجنا الخاص ونتخلى عن خططنا وحياتنا الخاصة لنقوم بعمل مشيئة أخرى. وضعفنا يكمن في حقيقة أننا لسنا أحرار لنقوم بما نرغب فيه. وهذا الضعف دائماً ما يكون نتيجة لاختيارنا الخاص.

إلا أن هناك تناقض وهو على الرغم من أننا ضعفاء إلا أنه قد أعطينا حرية لا يعرفها العالم. وعندما نسير في هذا الطريق، نحيا في بعد آخر، البعد الذي فيه نجد أن هناك ينابيع من المياه الحية تخرج من داخلنا، عندما نعيش الحياة الفائضة. وهذا هو طريق البر " سَبِيلُ الصِّدِّيقِينَ فَكَنُورٍ مُشْرِقٍ يَتَزَايَدُ وَيُنِيرُ إِلَى النَّهَارِ الْكَامِلِ." (أم٤:١٨) وهذا هو الطريق الذي ننقص فيه ويزيد فيه يسوع، وكل يوم نصبح أقرب شبهاً بالمسيح. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الخامس عشر
إجابات غير كافية

في حياة المسيحيين يوجد أمور لا نفهمها. وكثيراً ما تكون الإجابات غير كاملة. وكثير من الأمور لا يكون لها معنى. ولقد اختبر يوحنا المعمدان هذا الأمر. فعندما كان في السجن، أرسل له يسوع رسالة اقتبسها من (إش٦١: ١-٤). إلا أن يسوع لم يذكر مفهوم حاسم نجده في (إش٦١:١) " أَرْسَلَنِي... لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ." لم يذكر يسوع هذه الكلمات في رسالته ليوحنا لأنها لم تكن مناسبة لحالة يوحنا المعمدان، على الأقل بالمفهوم العالمي والحرفي. فيوحنا كان على وشك أن يموت في السجن. وبموته سيختفي الشخص الذي أعد الطريق للمسيا، حتى ما ينصب التركيز كله على الشخص الذي أعد من أجله الطريق. قد يتحرر مساجين آخرين، لكن ليس يوحنا المعمدان.

استخدم الله الآب يوحنا المعمدان ليعلمنا أن طرقه غير طرقنا. حتى أن أعظم المولودين من النساء (لو٧:٢٨)، كان يجب عليه أن يموت ليفسح الطريق لابن الله. فدائماً ما يوجد جزء في طريق الله لا نفهمه. ودائماً ما سيكون هناك أسئلة لن نجد لها إجابات، في جميع الأحوال وليس في هذه الحياة فقط، والشخص الذي لا ينزعج في هذه الأوقات هو في الحقيقة محظوظ. فستظل دائماً هناك صلوات غير مستجابة. وسيظل هناك مرض وألم ووحدة ومعاناة واضطهاد وفي النهاية الموت. وبغض النظر عن مدى غرابة وصعوبة فهم الأمر، سيظل الرب يسوع يتمجد به، ويصبح أعظم.

جميعنا يعرف الكلمات التي نطق بها يوحنا المعمدان في (يو٣:٣٠): " يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ." كلنا قرأنا هذه الآيات وحفظتها ألسنتنا وأخذنا نفكر في مدى روعة هذه الكلمات. إلا أن هذه الكلمات لها نتائج أعمق بكثير مما يظن ويدرك أتباع يسوع.

جاء يوحنا المعمدان ليعلمنا مبدأ: إذا أصبح المسيح أكثر، فلابد أننا نحن ننقص، وإذا أردت أن أجعل يسوع كل شيء لي فلابد أن أموت. وهذا ما حدث ليوحنا المعمدان. والذي كان الأعظم بين المولودين من النساء.

في اللحظات الحرجة كثيراً ما نصلي: "يارب يسوع، كن كل شيء في حياتي واجعلني لا شيء." في الحقيقة نحن لا نقصد المعنى الحرفي لهذا الكلام. لأنه إن كنا نقصد المعنى الحرفي لما نقوله، سيكون الطريقة الوحيدة لتحقيق ما نقوله هو موتنا. وهذا ما كان يقصده يوحنا المعمدان بالكلمات التي نطق بها.

عندما نصبح أقل، سنجد لدينا أحلام أقل وطموحات أقل وتطلعات أقل وخطط أقل وستصبح حياتنا أقل أهمية. وعندما نموت، لن يصبح لدينا أية أحلام أو أية خطط ولن يصبح لنا أهمية

على الإطلاق. وعند هذه النقطة سنرغب في إعادة تعريف وترجمة كلمات يسوع ويوحنا المعمدان: لابد أن هناك بعض من سوء الفهم، فلابد أن هذه الكلمات لها معنى آخر، لأننا لا نريد أن نموت.

في عملية الموت الروحي عن الذات هذه، سنصلي صلوات عديدة، سنطلب أن نستمر في الحياة، لكن هذه الصلوات لن تستجاب، لأن مشيئة الآب أن نموت عن الذات حتى ما يصبح ابنه أعظم.

سيكون هناك أسئلة كثيرة وصلوات لن نجد لها إجابات. لكن تذكر في ذلك اليوم أنه لن يكون هناك أكثر من يوماً واحداً مثل هذا، تذكر كلمات يسوع للمعمدان: " وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ " (لو٧:٢٣).

خلال هذه الأوقات من عدم الفهم والارتباك، كثيراً ما نطلب إجابات من الله، ونصبح متمردين ونريد أن نحدد مسار حياتنا الخاص. يوجد هؤلاء الذين يعرفون بطريقة غريزية أنهم إذا أرادوا أن يتبعوا المسيح سيكون عليهم التخلي عن بعض الأمور، وسيكون عليهم أن يحملوا صليبهم ويتبعوه. ولكنهم غير مستعدين لفعل هذا. وبدلاً من أن يتبعوا الرب يحملوا "السيف" وينظفوا الطريق أمامهم بالدخول في معارك، وذلك حتى يموتوا بنفس هذا السيف في النهاية، لأنه من يأخذ بالسيف فبالسيف يهلك. وأيضاً من لا يريدون أن يحيوا والسيف في أيديهم سيموتون فوق الصليب. فالعالم يشبه المدرج الروماني الذي كان يموت الناس فيه. والأغلبية يموتون من أجل مصلحتهم الشخصية وفريق صغير هم الحالة الاستثنائية للقاعدة، يموتون من أجل الله. لكن الجميع سيموت.

هذه هي غرابة الإنجيل: عندما تسقط الحبة في الأرض وتموت، فهي تثمر. الموت هو سر ملكوت الله. وكثير ممن ماتوا على الصليب، لم يعرفوا في هذا العالم لماذا يموتون بهذه الطريقة، ولن يعرفوا الثمر الذي سينتج عن موتهم، إذا كان هناك ثمر. وسيتساءل الكثيرون إذا ما كانوا وجدوا نعمة عند الله أم لا. وكثيرون سيتحيرون و يفاجأون أن الإله الذي يخدمونه بكل قلوبهم لم يوفر لهم وسائل للهرب أثناء لحظات موتهم. وآخرون سيؤمنون حتى النهاية أن الإله الذي صنع كثير من المعجزات لمدة سنوات طويلة، والذي أجابهم بدون انقطاع في الماضي، سيوفر لهم الإنقاذ هنا والآن على عتبة الموت. وهذا لا يحدث لأن الله يريدنا أن نموت روحياً حتى ما يزداد المسيح. معظم الناس لن يستطيعوا فهم كيف يمكن لموت قديسي الله أن يرفعه ويعظمه. وعلى غير المتوقع لن يعطهم الله أية إجابة. فمعظم المسيحيون يموتون بدون أن يفهموا لماذا. الإجابة التي أعطاها يسوع ليوحنا المعمدان في (مت١١: ٢-٦) لم تكن إجابة كافية لتريح اضطراب مشاعره في الذهن. ولم تحضر له سلام لنفسه المضطربة أو تريح ذهنه. لم تأخذ الشك والحيرة. لكن كانت هذه إجابة الله، ابن الله على سؤاله.

سيكون هناك أيام لن يفعل فيها الله ما نتوقعه. وعندئذ نحتاج أن نتذكر أن هذا ليس هو الغرض الذي خلقنا الله من أجله. فلقد خلقنا لنفسه. والأمر لا يتعلق أبداً بنا. فنحن لسنا هنا من أجل أنفسنا. نحن هنا من أجل الله. نحن هنا لنعيش من أجل توقعاته، وليس العكس. وما يزيد الأمر عجباً هو أن الله كثيراً ما لا يخبرنا ما هي توقعاته.

أن نعرف الله هو أن نعرفه عن طريق الإيمان. فالبار بالإيمان يحيا. الإيمان لا يفهم دائماً. بل الإيمان يصدق. الإيمان يصدق في الله والإيمان يصدق الله، حتى إذا كان الشخص الذي يؤمن لا يفهم في معظم الأحيان طرق الله. عندما لا تفهم الله، ثق في شخصيته، وثق في قلبه.

لقد طلب الله الآب رأس يوحنا المعمدان. من لا يؤمن أن الله كان هو المسيطر على الموقف عندما طلبت إبنة هيروديا رأس يوحنا المعمدان على طبق، لا يعرف شيء عن سيادة وسلطان الله. وكل من يدعي أنه يفهم تماماً لماذا طلب الله هذا، هو شخصاً كاذباً ويتكلم من نفسه. فهذا سؤال واحد ضمن كثير من الأسئلة التي لم يعطِ لها الله إجابات بعد. هل الأمر بالفعل مهم؟ نعم. لكن لماذا؟ لا نعرف. ولن يعطنا الله الإجابة في هذه الحياة.

أيضاً في حياتك هناك الكثير من الأمور التي ستحدث بصورة حتمية. ربما يسيء الآخرين فهمك. وسيسمح الله لناس أن يقوموا بحكم الموت عليك، وربما أكثر من ذلك، هؤلاء الناس مختارون من قبل الله شخصياً، حتى ما يتمجد يسوع ويرتفع بهذا الأمر. وببساطة لن تستطيع فهم كيف أن "الموت" والعار والمعاناة والاضطهاد والألم والمرض والوحدة والازدراء يمكنهم أن يمجدوا الآب ويجعلوا يسوع يتعظم. سيكون من الأفضل في بعض الأحيان ألا تحاول أن تفهم، لكن فقط أن تثق في الله. فهو جدير بالثقة.

لا يمكن أن يحدث شيء لك بدون أن يتم قياسه بحرص شديد أولاً ويوزن ويشكل باليد التي لا تخطئ، اليد العليا يد المحبة واليد المقدسة يد الإله القدير.

يا لسعادة وبركة من لا يعثر في الله في طريقه. فهو الإله الذي لا يُرى ولا يتغير الإله الكلي الحكمة. وهو لن يتغير ولن تتغير طرقه.

أشياء قليلة هي الأكيدة في الطريق الآخر، فيما عدا المسيح الذي لا يتغير.

الفصل السادس عشر
عندما يتخذ يسوع طريقاً آخر

في (مرقس ١٠: ٣٢-٣٤) نقرأ:

" وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ، وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ. فَأَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ أَيْضًا وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ عَمَّا سَيَحْدُثُ لَهُ: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ»."

لتلتفت بنوع خاص إلى عدد ٣٢: كان يسوع "يتقدمهم في الطريق وكانوا (التلاميذ) يتحيرون وفيما هم يتبعون كانوا يخافون". ويضيف لوقا: "وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذلِكَ شَيْئًا، وَكَانَ هذَا الأَمْرُ مُخْفىً عَنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ." (لو١٨: ٣١-٣٤).

نحن نقرأ في ترجمة كتاب الحياة :

"وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم ويسوع يتقدمهم وهم يتبعونه مذهولين خائفين والذين كانوا يتبعونه تملكهم الخوف"

يقول الكتاب المقدس التوضيحي في صياغة أخرى ما يأتي:

"كانوا صاعدين في الطريق إلى أورشليم، وكان يسوع يتقدمهم، وكانوا مذهولين ومتحيرين ومندهشين كثيراً، والذين كانوا [لا يزالون] يتبعونه امتلكتهم الدهشة وكانوا خائفين"

إن طريق يسوع يمكن أن يكون محيراً في بعض الأحيان، لأنه يمضي ضد المنطق والجسد. إن طرق الله مختلفة، فهي لا تتبع القواعد العالمية للنجاح والأهمية. الدعوة لا تحترم وجهات نظر البشر، والمشاعر، والمقاومة أو الموت. والدعوة لها مسئولية فقط تجاه الله وتجاهه وحده.

عندما تبدأ السير في طريق دعوتك، يكون هناك الكثير من سوء الفهم، والكثير من التعجب، ويتخلف كثيرون عن مواصلة السير في هذا الطريق معك، وسوف يقول كثيرون إنك أحمق بسبب تخليك عن الفرص "الرائعة"، وسوف يرثي لك كثيرون لأجل "الثمن الفادح" الذي سوف تدفعه لأجل اتباع الرب.

اليوم لدينا كنائس مليئة بملايين الناس الذين لا يعرفون ما يفعلونه هنا: أناس مرتبكون، متشبثون برأيهم، أناس يركزون على خططهم الخاصة، وطموحاتهم وأحلامهم. أناس بلا عدد يركزون على أنفسهم. أناس كثيرون لا يعرفون أنه يوجد طرق آخر. وهناك أولئك الذين يعرفون أنه يوجد طريق آخر، ولكنهم لا يرغبون في السير فيه.

لاحظ أن يسوع اقتاد الطريق إلى أورشليم. كان سيره هادفاً. كان مدفوعاً بقوة، ومحبة، وحماسة دعوته. إن ذلك هو ما أتى به إلى الأرض. إنه لا يرسل الآخرين ليقتادوا الطريق الذي لا يكون هو نفسه مستعداً للسير فيه. إنه يتقدم الطريق.

قد تكون هناك أوقات تسير فيها بمفردك عندما تتبع الله وتفعل ما يطلبه منك. إن دعوتك سوف تأخذك إلى أماكن تجعل طبيعتك البشرية تأبى القيام بالمهمة الموكلة لها ــ وسوف يرفض معظم أصدقائك أن يذهبوا معك. ولهذا السبب عليك أن تتخذ القرار بالذهاب وأن تتعايش مع دعوتك، دون النظر إلى المكان الذي سوف تأخذك إليه هذه الدعوة.

كان يسوع يعرف تماماً ما سيحدث ولهذا السبب اتخذ الطريق إلى أورشليم. في حقيقة الأمر، كان ذلك هو نفس السبب لذهابه إلى هناك. كان ذلك هو جوهر دعوته. لم يكن هناك طريق آخر. كان لدعوته عواقب، تماماً كما أن لدعوتك عواقب أيضاً. إن طريق دعوة يسوع كان يمر بأورشليم إلى الجلجثة. كانت هذه إرادة أبيه. إن الطريق واضح تماماً بالنسبة لكل واحد منا يكون مدعواً من الله.

عليك أن تتأكد من دعوتك. لا يجب أن تتردد، يجب أن تعرف على وجه اليقين: ذلك هو ما ولدت لأجله. إذا لم تكن تعرف هذا، فأنت لا تعرف الطريق الذي تسلكه وسوف لن تعرف متى يحين الوقت لكي تسلك الطريق المؤدي إلى أورشليم.

أدت دعوة يسوع إلى مواجهات عديدة بينه وبين العالم من حوله. تتضمن الدعوة دائماً المواجهة. إنها شيء لا يمكن تجنبه. كانت هناك مواجهة مع القادة الدينيين الذين لم يحبوا ما سمعوه، والذين كانوا يحاولون دائماً أن يصطادوه بكلمة، والذين، في النهاية، خططوا لموته وتسببوا فيه. وكانت هناك قوى الظلام التي كانت تتحداه دائماً. وكان تلاميذه يتصدون له، فعلى سبيل المثال، بطرس الذي وبخه عندما بدأ يتحدث عن الصليب. لقد أرادت السلطات الرومانية، ممثلة في شخص بيلاطس البنطي، أن تعرف منه ما هو "الحق".

تتضمن الدعوة المواجهة. وأنت كمسيحي لا يمكن أن تلبس التاج إذا لم تكن مستعداً للتعامل مع عار الصليب. سوف يكون هناك دائماً قادة كنائس ومسيحيون آخرون يضطهدوك.

سوف يكون هناك دائماً أناس لا يفهموك. إنه أمر لا يمكن تجنبه. سوف يكون الحل الوسط، والفشل، والعجز والحياة غير المثمرة خبزك اليومي حتى تصبح دعوتك أقوى من الانتقاد، والهجوم الضاري للشر، والمجابهة مع العالم وأهل العالم.

كان يسوع على دراية بعدم وجود طريق آخر، على الأقل طريق يكون في نطاق إرادة أبيه. يوجد دائماً طريق آخر، ولكن هناك طريق واحد فقط في نطاق إرادة الآب. لقد كانت دعوة يسوع، أولاً، تجاه أبيه، وليست تجاه الناس، لأن أباه أرسله. وكان طعامه أن يعمل مشيئة أبيه.

إن طريق يسوع كان في العادة مثيراً للاندهاش، ولكن ذلك لم يرعبه. لقد أحبط طريق يسوع أناساً كثيرين، مثل الشاب الغني الذي لم يرد أن يتبعه. لاحظ تنوع الكلمات التي استخدمها المترجمون في محاولتهم للتعبير عن تأثير اختيار يسوع على تلاميذه عندما قرر أن يذهب إلى أورشليم: كانوا حائرين ومرتبكين، ومذهولين، ومليئين بالرعب، والهلع، والخوف، والفزع.

أنت هنا لأن الله صنعك. أعطاك الله دعوة محددة يمكنك أنت وحدك أن تلتزم بها. عندما تستجيب لدعوتك، فأنت بحاجة أن تعرف شيئين. أولاً، عندما تبدأ في العيش وفقاً لدعوتك، فإن ذلك سوف يأتي دائماً بنوع من التلبية لاحتياجات العالم. لهذا خلقك الله ــ لأجله ولأجل الآخرين، وليس لنفسك. ثانياً، يمكنك أن تتوقع أن تتعرض لأهوال الجحيم من حولك. سوف تصبح بالفعل هدفاً لهجمات الشيطان الشرسة، لأن قوات الشر تريد أن توقفك بكل الطرق، عن تحقيق الغرض الذي خُلقت لأجله.

يمكنك أن تكون على علاقة حميمة مع يسوع لسنوات عديدة، لتستيقظ يوماً ما وتجد أن يسوع في الطريق إلى أورشليم. هناك شيء واحد مؤكد: سوف يأتي اليوم الذي يبدأ فيه يسوع السير إلى أورشليم على افتراض إنك سوف تمشي معه.

لقد سار تلاميذ يسوع جنباً إلى جنب معه لمدة ثلاث سنوات وفجأة، في يوم ما، بدأ يتقدمهم، إلى أورشليم. كان التلاميذ يعرفون بالفطرة أن هذا الطريق يؤدي إلى الجلجثة.

يا صديقي، إن طريق الدعوة في مرحلة أو أخرى منه يمر بالصليب، بالجلجثة، لأن طريق الثمر الدائم دائماً يجتاز بالصليب. دائماً.

لقد عاش يسوع محتقراً الموت. إن الدعوة لا تدخل في حسابها أبداً حفظ الذات من الأذى أو الهلاك. كان يسوع يعرف ما سيحدث، ولكنه لم يغير المسار.

شأنك شأن الآخرين، أنت أيضاً لا تحب أن تفقد حياتك. ولكنك عندما تواجه الموت فقط فإن سطوته تتكسر ــ وأيضاً سوف تتكسر سطوته عليك عندما تموت. إن حفظ النفس من الأذى هو الطريق إلى الفشل ولهذا السبب لم يعش يسوع أبداً لكي يحفظ ذاته من الهلاك أو الأذى.

لماذا كان على يسوع أن يذهب إلى أورشليم؟ ليواجه المعاقل والحصون بشكل أساسي: معقل حفظ الذات من الأذى، والعناد، ومعقل الذات في أشكالها المختلفة وهي لا تريد أن تطيع الله أو تسجد أمامه. كانت تلك هي دعوة حياته. إن الدعوة مركزة. إنها هادفة. إنها تأتي بالثمر الدائم.

لاحظ إن يسوع قد سار في المقدمة. كان ذلك هو الحال دائماً وسوف يكون دائماً هكذا. عندما تفعل مشيئة الله، سوف تكون وحدك دائماً. وبالمثل، جميع الذين يتبعون السيد سوف يدخلون من الباب الضيق وحده، واحداً وراء الآخر.

لكي تتمم دعوتك، عليك أن تعيش وفقاً للطريق الذي رسمه الله. التفت إلى مثال يسوع الذي يرينا المنهج الإلهي. إنه لا يستل السيف. إنه لا يأخذ جيشاً في الطريق إلى أورشليم. إنه يذهب هناك ليموت. إنه يذهب للحساب الختامي مع الذات. إن يسوع لا يذهب للدفاع عن نفسه أو لأجل الجدال. إنه يعرف كل الأجوبة، وقد عرف النهاية من قبل منذ البداية، ومع ذلك فهو يقف صامتاً أمام بيلاطس وهيرودس. وحتى عندما يصيح الديك، فهو لا ينبس ببنت شفة. لأن المعركة لا يمكن كسبها بالكلمات. إن المعركة لأجل الذات يمكن كسبها عندما تسلم حياتك.

وأخيراً، في المعركة الأخيرة، فإنه سوف يواجه الذات فيك، بلا كلل. هذه هي القوة الأعظم. هذه هي الذات التي تضع كلاً من الخطية والظلم في الموضع الصحيح، وفي هذين الكيانين فيك وفي العالم تتم محاصرة الشرير.

سوف يمشي يسوع معك إذا سلكت في طريق الله، ولكن إذا سرت في الطريق الخاطئ، سوف ينتظرك في أورشليم ليصطحبك إلى الجلجثة. إنه ينتظرك من قبل هناك عند الصليب.

الفصل السابع عشر
عندما يأتي الشتاء

يأتي الشتاء بانتظام، لا مفر من ذلك. أناس قليلون يرغبون في مجيء الشتاء. ولكن كما أننا متأكدون من دفء الشمس في الصيف، من المؤكد كذلك مجيء الشتاء مرة في العام. لا أحد يرغب، أو يتمنى فصول الشتاء في حياته. ومع ذلك فهي تأتي بانتظام لا تحيد عنه، ويمكن أن تكون مقبضة إلى حد ما ومربكة في أحيان كثيرة.

ولكن، إذا كان لابد للأشجار أن تنمو لكي تأتي بالثمار والمزيد من الثمار، فالشتاء ضروري. إن الأشجار التي نراها في الشتاء ترينا الشكل الحقيقي للأشجار. في شتائنا الروحي نرى أنفسنا على حقيقتها. وفي الصيف تكون هناك أوراق شجر بل وثمار تخفي الشكل الحقيقي للشجرة، ولكن في الشتاء تتساقط الأوراق، وتتجرد الشجرة من مظهرها الخارجي. ليست هناك أوراق أو ثمار تجذب الأنظار بعيداً عن الشكل الحقيقي للشجرة. إن الشتاء لم يغير الشجرة ــ ولكن في الشتاء ترى الشجرة على حقيقتها.

في ذلك الوقت نتجرد من الأشياء التي تجعلنا نبدو "على ما يرام" وهذا يجعلنا نتجه إلى الله كرجائنا الوحيد.

عندما ننزع ثمر حياة المسيحي (الذي ليس هو ثمره الخاص، بل ثمر الروح القدس)، وحياته المريحة، وكل استجابات الصلاة (التي هي عمل الله)، لا نكون في حقيقة الأمر انتزعنا شيئاً من الشخص، لأن ما يتبقى هو ببساطة ما نحن عليه في الواقع.

في الشتاء تتجرد الشجرة من كل زينتها الخارجية. وعندئذ نرى الشجرة الحقيقية ــ بلا حماية، عارية، بلا مظاهر خادعة، ونرى الحقيقة المؤلمة، والتي تكون أشد إيلاماً مما نرغب في أن نجعل الآخرين يروها أو يعرفوها. وعندئذ نرى بوضوح الأغصان الكثيرة العقد والملتوية، الفطر والندوب المتخلفة عن التشذيب. إن أغصان أشجار الشتاء تقف سوداء ومتصلبة ذات أذرع ممتدة. عاجزة وقابلة للعطب.

أليس هذا ما نشعر به في شتاء الحياة ؟

ومع ذلك فالشتاء ضروري لجميعنا. في الصيف تستخدم الشجرة كل حيويتها لتبدو جذابة ومثمرة. وفي سبيل ذلك فإن الشجرة تستخدم وتستهلك كل طاقتها دون أن تعي ذلك. وفي الصيف تفقد الشجرة قوتها، وتقدم عصارة حياتها للأوراق والثمار دون أن تدرك ذلك. ويأتي الشتاء لتستعيد الشجرة طاقتها وتشحن بطارياتها للموسم الجديد.

بعد كل موسم من الإثمار يوجد شتاء، فترة من الاستشفاء، وقت للانسحاب والراحة. إذا تجاهلنا هذه القاعدة الروحية فنحن ندمر أنفسنا.

إن أشجار الكرم تزيد نموها كل عام. إنها تنمو بأكثر قوة كل سنة وتحمل المزيد من الثمر، ولكن بسبب الزيادة في النمو فإنها أيضاً تنبت المزيد من البراعم البرية كل عام. ولهذا السبب من الضروري أن يأتي الشتاء حتى يستطيع الفلاح أن يحدد أي البراعم يمكن قطعها، لأن البراعم الزائدة عن الحد سوف تعوق نمو الثمر وفي النهاية فإن الكرمة تعطي ثماراً أقل.

ومع أن كل شيء يبدو أسوداً وميتاً، إلا أن هناك عملية استعادة للطاقة، وفترة تنمية، وحدوث نمو غير مرئي. بدون هذه الراحة، واستعادة النشاط وعملية البناء لا يمكن أن يكون هناك موسم جديد، ومثمر بل وأكثر إثماراً.

إن المسيحي يرحب بالشتاء، ويتوقعه. لا يجب أن تؤخذ على حين غرة بالشتاء. إنه يأتي مرة في العام لكل شجرة. لا ترتعب أو تخاف من شتاء الحياة. لا تتمنى عدم مجيء الشتاء كل عام. إن مواسم الشتاء هذه تتيح لك مواجهة نفسك ورؤية حقيقة حياتك، وحقيقتك، وهذا شيء ضروري جداً. ففي الشتاء، المجرد من كل الأوراق، يمكن للفلاح أن يرى البراعم البرية، والطحالب والأغصان العقيمة والمكسورة التي يجب أن تقطع حتى تأتي الشجرة بثمار أكثر.

إن فصول الشتاء التي يأتي بها الله تساعدنا على مواجهة الواقع. إنها تساعدنا على فهم عجزنا، وسرعة زوالنا الأرضي ومحدوديتنا. كم ننسى ذلك بسرعة وننساه كثيراً. جميع الأشجار تموت، وهكذا البشر. ففي الصيف عندما تكون الشجرة مليئة بالأوراق الخضراء، فمن المستحيل حقاً أن تفكر في سرعة زوال الشجرة. وعندما نثمر، ونؤدي أعمالنا، وننمو ويكون هناك تقدم، وعندما يأتي المال، وتكون هناك زيادة في عدد العاملين، ويكون هناك الكثير من الثمر الروحي، عندئذ نحيا ونحلم ونخطط كما لو كنا سنعيش إلى الأبد. إن الشتاء يساعدنا على أن نفهم أننا نكبر، وأن الوقت يمضي، وأن جيلاً جديداً ينبغي أن يتدرب ويعد، وأن العمل يجب أن يعطى للآخرين، لأننا لن نبقى إلى الأبد.

إن الأشجار لا تتوقف عن النمو في الشتاء، فهي تستريح وتنمو بشكل أعمق، وبطريقة غير ملحوظة، ولكن حيث لا يرى أحد. إن الجذور تخترق التربة بشكل أعمق. نفس الشيء يحدث مع المؤمنين في الشتاء الروحي يختبر المؤمنون نمواً داخلياً ينمون فيه في الرب بشكل أعمق. هناك حيث لا يرى أحد، نحصل على المزيد من الأمان والثبات في الرب نفسه. إنها فترة الراحة، وقت الاستشفاء، وتأسيس طاقة جديدة غير مرئية لفصل جديد من الإثمار.

إن الشتاء يطوب، لأن الشتاء هو الإعداد الرئيسي لوصول الصيف.

في بعض الأحيان تأتي حقيقة الشتاء بقدر كبير من الإحباط للمؤمنين. إن له تأثيراً مدمراً على كل شكل من أشكال الغرور والأنانية. في بعض الأحيان يكف المؤمنون عن خدمة الرب بسبب الشتاء، أو يصبحون أكثر إحباطاً. وفي بعض الأحيان يبدو أن الشتاء يسبب دماراً كاملاً. ويبدو أن عمل الصيف بلا جدوى. أين الثمر الآن؟ لقد كنا مملوئين بالرجاء والآن يبدو

أنه لم يتبق شيء ما. عندئذ نكون بحاجة لأن نعرف أن الشتاء يجعل الشجرة تجتاز في عملية ما لحفظ وتقوية الحياة في الشجرة. يا له من تناقض!

إن أشجار الشتاء لا تموت. إنها حية. إن أشجار الشتاء بها المزيد من الحياة عن أشجار الصيف. في الشتاء تنمو الشجرة من الداخل، فهي تستجمع "الحياة"، بينما شجرة الصيف تفقد في حقيقة الأمر حياتها لأنها تستنفد عن طريق الأوراق والثمار التي تحملها.

في الشتاء تنمو القوة والحياة في الشجرة ويتم تخزين ذلك لوقت الصيف عندما تصبح الشجرة مثمرة مرة أخرى. في الشتاء يقربنا الرب إليه بشكل أعمق حتى نسكن فيه، ونثبت بشكل أعمق في قوة الحياة المقامة لربنا، يسوع. إنه يجردنا من الأشكال المخفية للأنانية التي تعوق عمل الله في حياتنا.

إن الشتاء يأتي بالانكسار، والتواضع، واستعادة المحبة، وحياة الله نفسه في الإنسان الداخلي. يأتي الشتاء بمشاعر جديدة من الكراهية للذات والأنانية في كل صورها. وبدون حدوث ذلك، لن يكون هناك المزيد من الثمار. وبينما الإنسان الخارجي ينهار، فإن الداخلي ينمو ويتقوى.

عندما يأتي الشتاء، عليك أن تتذكر أنه وقت النمو... نمو الإنسان الداخلي.

لا تخف الشتاء، عليك أن تتفهمه... وتحتمله... وترحب به...

لأن مواسم الشتاء مرتبة من قِبل الله. الشتاء هو الطريق الذي يختاره الله نفسه لأولاده. إنه يسير معك في هذا الطريق.

الفصل الثامن عشر
وحيداً في البرية

"وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ، لِكَيْ يُذَلِّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لاَ؟ فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلاَ عَرَفَهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ. ثِيَابُكَ لَمْ تَبْلَ عَلَيْكَ، وَرِجْلُكَ لَمْ تَتَوَرَّمْ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً. فَاعْلَمْ فِي قَلْبِكَ أَنَّهُ كَمَا يُؤَدِّبُ الإِنْسَانُ ابْنَهُ قَدْ أَدَّبَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ." (تث٨: ٢-٥).

توجد برية لكل واحد فينا. لقد كانت هناك برية حتى ليسوع، ابن الله، قبل أن يتمكن من البدء في الكرازة " تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ." (مت٤:١٧). إنه شيء لا يمكن تجنبه بالنسبة لمن يفهم منا أن الله قد دعانا ولمن يريد من الله أن يستخدمنا. نحن لا نرسو في البرية بطريق الخطأ. إن الله يأخذنا إلى هناك بنفسه. عندما يدعونا الله، فنحن نتبعه، نعم نحن نتبعه حتى إلى البرية، كما اتبع إسرائيل الله إلى البرية لأنهم أحبوه.

إن مكوث المرء في البرية وحده شيء موحش. فأنت لا تعرف حقيقة أين أنت ــ وكل ما تراه هو بقعة لا نهاية لها من العدم حيثما تنظر. لا يوجد طعام في البرية، ولا توجد هناك مصادر طعام طبيعية. ليس هناك في الصحراء شيء يمكن أن تستخدمه لكي تبني أو تقيم شيئاً ــ مجرد الرمل، الرمل الجاف العقيم بلا شكل أو هيئة.

الصحاري حارة بلا هوادة خلال النهار وليس هناك ظل. وفي الليل تصبح قارسة البرودة، ولكن في اليوم التالي تكون تحت رحمة الشمس مرة أخرى، الحرارة المحرقة في النهار. إن الرياح القوية تجعل الرمل يهب في كل مكان ويتغطى كل شيء بالرمل، وتشعر به حتى على أسنانك.

ليس هناك شخص تتحدث معه. لا أحد يقدم لك النصيحة. لا أحد يضع يده على كتفك ويؤازرك بكلمات التشجيع والتعزية. إن السراب والهلاوس جزء لا يتجزأ من الصحراء. وكذلك الرجاء الكاذب، والأحلام الزائفة، والرؤى الخادعة. هذا ما يختبره بعضنا في الأوقات التي يضعنها فيها الله في الصحراء.

في الصحراء تفقد هويتك، على الأقل تلك التي تعتبر هويتك في العالم، وتفقد أيضاً كرامتك. يصبح مظهرك غير مناسب. لا يهم إن كان شعرك ممشطاً، أو وجهك مغسولاً أو إذا كنت تضع مكياجاً أم لا. ما يعتقده الناس بشأنك غير ذي أهمية لأنك وحدك والصحراء.

الصحراء هي نفس الشيء بالنسبة لجميعنا، بغض النظر عن هويتنا، ومدى قوتنا، ومواهبنا، ومدى أهميتنا، ومركزنا. الصحراء تأخذك إلى أغوار نفسك، بلا رحمة. الصحراء

لديها القدرة على أن تجعلك تفقد الأمل إلى الحد الذي يجعل كيانك كله يصاب باليأس وهي تجعل كل قيمتك، وسمعتك، ومعرفتك، وحكمتك، ومواهبك وخططك ملقاة متناثرة وذابلة على رمل الصحراء، بلا فائدة على الإطلاق. ولا يبقى سوى الله وحده.

إن الله يأتي فقط عندما تتخطى أغوار ذاتك. إنه يأتي فقط عندما تفهم أنك تستطيع الاستغناء عن كل الأشياء التي تعتقد إنك لا تستطيع الاستغناء عنها. وعندما يأتي الله، تدرك أخيراً أنه كافٍ، وأنه حتى في الصحراء فهو يروي عطشك.

عندما يأتي الله، سوف تعرف أنه موجود، لأنه سوف تكون هناك "عُلّيقة مشتعلة". سوف تعرف بلا شك. وطالما تشك أن الله هو الذي أتى، فلتعرف أنه ليس هو.

في الصحراء تختفي كل العواطف، وكل المشاعر الرائعة فيما يتعلق "بالحضور الإلهي". هناك يريد الله أن يعلمنا أن نحيا بالإيمان وليس بالعيان والمشاعر.

نحن نجد السبب الأول لصحاري الله في (تث٨:٥) " فَاعْلَمْ فِي قَلْبِكَ أَنَّهُ كَمَا يُؤَدِّبُ الإِنْسَانُ ابْنَهُ قَدْ أَدَّبَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ." في الصحراء يعلمنا الله لكي نقوم بالعمل الذي سيوكل إلينا. وكما في حالة يوحنا المعمدان، فإن الله دائماً يستخدم الصحراء ليجعل عبيده أقوياء في الروح قبل أن يرسلهم إلى العالم. في الصحراء ننمو ونصبح أقوياء. " أَمَّا الصَّبِيُّ (يوحنا المعمدان) فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ." (لو١:٨٠).

في الصحراء يجردنا الله من ذواتنا ويُعِدنا للعمل الذي اختاره لنا، من قبل منذ الأزل. علّم الله موسى في البرية لمدة أربعين سنة. هناك جرده من كل ألقابه ومعرفته ــ فكلها أصبحت بلا معنى. في الصحراء لا يوجد من يؤثر علينا.

في مصر بدأ موسى يدرك شيئاً عن دعوة الله في حياته: أن يقود شعب إسرائيل للخروج من مصر، إلى أرض الموعد. ولكن موسى أراد أن يقوم بذلك بنفسه. كان أفضل شيء استطاع أن يفعله قبل أن يضطر للهروب، أن يقتل مصرياً. سمح الله لموسى أن يهرب إلى البرية، خائفاً، ومرتبكاً، ليقوم برعي الغنم. كان إدراك موسى أنه كان مدعواً من الله صحيحاً، ولكن اضطر الله أولاً أن يؤدبه ويعلمه. لم تكن حكمة مصر ذات فائدة بالنسبة للأشياء التي كانت في ذهن الله. وحتى لو كان موسى هو الشخص المناسب للقيام بالمهمة، فإنه لم يكن مستعداً للقيام بها ــ كان عليه أولاً أن يتعلم السير مع الله في شركة حقيقية واتحاد معه.

قد تكون لدينا رؤية واضحة لما يريد الله أن يفعله وما يريده، ولكن في اللحظة التي نضع فيها أيدينا على المحراث، يمكن أن نجد أنفسنا في البرية لمدة قد تصل إلى أربعين سنة. نحن نعتقد أن الله قد نسى كل الرؤية، ولذا فمن السهل أن نعتقد أن الله قد نسينا. في أوقات كهذه يمكننا أن نجد أنفسنا بسهولة في أعماق اليأس. وهنا نقف مرتعدين في خوف أمام الله ونقول:

من أنا حتى أذهب؟ لا يمكنني أن أقوم بهذا العمل. تعلمنا البرية أنه لا يمكننا أن نقوم بعمل الله بقوتنا الذاتية.

بعد كل فترة نقضيها في البرية تأتي "أرض الموعد"، ووصية، وتكليف يكون في العادة كبيراً لدرجة أننا نتمنى لو أننا كنا بقينا في البرية. قال الله لموسى "اخرج شعبي من مصر إلى أرض موعدهم" وهنا، بعد مرور أربعين سنة قضاها موسى في رعاية الغنم وسقي الجمال، تُرك موسى في البرية، مجرداً من كل شيء. ولكن الله كان يعلم: أولاً، قبل أرض الميعاد، سوف يكون هناك فرعون وكان هذا يعني حرباً ضد المصريين، والمسئولية عن قيادة أكثر من ٢ مليون شخص في البرية، وخطر الشعوب المعادية. لقد أعد الله موسى في البرية خصيصاً لأجل تلك الحروب والمسئوليات التي كان عليه أن يواجهها. في ذروة المعركة نحن أيضاً يجب أن نكون قادرين على سماع صوت قائدنا، ويجب علينا أن نعرفه ونطيعه بالإيمان، بغض النظر عما تتيحه لنا قدراتنا البشرية المحدودة من الرؤية والإحساس، وبغض النظر عن الظروف هناك سبب آخر لحاجتنا لتجارب البرية: أن نؤدب لعدم إيماننا. لقد أدب الرب إسرائيل في البرية طيلة أربعين سنة. لقد علمهم أن يؤمنوا به، وأن يسمعوا لصوته ويطيعوه. كان على إسرائيل أن يتعلم أن يثق بالله وحده.

ثالثاً، إن الله يمتحن أعمق دوافع قلوبنا في البرية. لقد جعل الإسرائيليين يقيمون في البرية لمدة أربعين سنة لكي يخضعهم ويمتحنهم لكي يعرف ما في داخل قلوبهم وهل هم على استعداد لحفظ وصاياه أم لا. لقد سمح بتجويعهم ثم أطعمهم بالمن، وهو شيء لم يعرفوه هم ولا أجدادهم. لقد عمل هذا ليعلمهم أن الإنسان لا يعيش بالخبز وحده بل بكل كلمة تخرج من فم الرب. في البرية يعلمنا الله أيضاً أننا لا نستطيع أن نعيش بالخبز وحده.

سبب رابع للبراري التي يدخلنا الله فيها هو تعريضنا لتجارب العدو، ولتعليمنا كيف نقاوم الشرير. حتى لا نقع في شركه عندما يبدأ العمل. سوف نتعرض للتجربة في البرية مثل يسوع (لوقا٤). بعد أن تعمد يسوع بالروح القدس، اقتاده الروح إلى البرية. وهناك في البرية عاش بلا طعام لمدة أربعين يوماً، وبعد ذلك جاء الشيطان ليجربه.

قبل أن يبدأ يسوع خدمته الجهرية، كان عليه أولاً أن يهزم تجارب الشرير. عندما ترغب في أن تبدأ "خدمتك العلنية"، سوف يأتي الشيطان دائماً ويحاول أن يضلك أو يدمرك حتى قبل أن تبدأ. (لاحظ أن الروح القدس نفسه هو الذي أخذ يسوع إلى البرية).

يوجد أيضاً سبب خامس لتجارب البرية: في البرية يعلن الله ذاته لنا. إنه يأتي بنا لمستوى جديد من الألفة معه. في البرية يأتي الله ليخبرنا أنه يحبنا. وكم نحن في حاجة أن نسمع ذلك: إن أهم شيء يشك فيه المؤمنون أكثر من أي شيء آخر، هو إن كان الله يحبهم حقاً أم لا.

يمكننا أن نصدق بسهولة إن الله يحب الآخرين، ولكننا نجد صعوبـــة في أن نصدق أن الله "يحبني" أيضاً ــ إنه يحبني شخصياً وبشدة.

في أوقات أخرى، كما كان الحال مع إيليا، يستخدم الله البرية ليعلمنا أبعاداً جديدة عنه لم نكن مدركين لها:

" فَقَالَ: «اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ». وَإِذَا بِالرَّبِّ عَابِرٌ وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ وَشَدِيدَةٌ قَدْ شَقَّتِ الْجِبَالَ وَكَسَّرَتِ الصُّخُورَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الرِّيحِ. وَبَعْدَ الرِّيحِ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ. وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ. وَبَعْدَ النَّارِ صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ خَفِيفٌ." (١مل١٩: ١١-١٢).

يخبرنا الكتاب المقدس أن روح الله مثل الريح التي تهب حيث تشاء (يو٣:٨)، وأن الله مثل نار آكلة وأنه يرسل ناراً من السماء (عب١٢:٢٩؛ ١مل١٨)، وأن الله يسبب الزلازل (أع١٦) ولكن في هذه الحالة أراد الله أن يعلم إيليا أنه هو أيضاً الله الذي يهمس أحياناً بلطف.

البرية أيضاً مكان لإجراء المعجزات: هناك يرسل الله المن والسلوى والماء من الصخرة. هناك يعلمنا الله أن نعيش على خبز كل يوم بيومه، حيث كان المن يكفي ليوم واحد فقط، كل يوم هناك يعلمنا الله ألا نقلق بشأن الغد. عندما نريد أن نجمع المن لمدة يومين، فإنه سوف يفسد دائماً. إن مدد الله لا ينضب أبداً. إن الله لا يسمح لنا بأن ندخر ما يقدمه (لا تنطبق هذه الحالة على الوكالة، حيث يأتمننا الله على المال والممتلكات، ونحن بحاجة لإدارة تلك الأشياء بحكمة وندبر لفصل "الشتاء". إن تركيز الحديث كله هنا على المبدأ الروحي للتدبير الإلهي.)

لذلك، عندما يأخذنا الله إلى البرية، يكون ذلك على أعمق مستوى، ليقدم حبه لنا، ولكي نكون وحدنا معه، وليعتني بنا.

" وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ، وَفِي خَلاَءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاَحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ، هكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ أَجْنَبِيٌّ. أَرْكَبَهُ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ الأَرْضِ فَأَكَلَ ثِمَارَ الصَّحْرَاءِ، وَأَرْضَعَهُ عَسَلاً مِنْ حَجَرٍ، وَزَيْتًا مِنْ صَوَّانِ الصَّخْرِ."، " وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ، وَفِي خَلاَءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاَحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ، هكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ أَجْنَبِيٌّ. أَرْكَبَهُ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ الأَرْضِ فَأَكَلَ ثِمَارَ الصَّحْرَاءِ، وَأَرْضَعَهُ عَسَلاً مِنْ حَجَرٍ، وَزَيْتًا مِنْ صَوَّانِ الصَّخْرِ." (تث٣٢: ١٠-١٣).

طريق البرية هو الطريق الآخر، الطريق الذي يعدّنا الله فيه للعمل الذي ينتظرنا.

الفصل التاسع عشر
عندما نسير في الظلام

" جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ. حَوْلَهُ مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ." (مز١٨:١١)
" أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي." (مز٢٣:٤)
"السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ. الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ." (مز٩٧:٢)
" وَجَعَلَ فَمِي كَسَيْفٍ حَادٍّ. فِي ظِلِّ يَدِهِ خَبَّأَنِي وَجَعَلَنِي سَهْمًا مَبْرِيًّا. فِي كِنَانَتِهِ أَخْفَانِي." (إش٤٩:٢)

عندما نسير في الظلال المعتمة كمؤمنين، فنحن نمشي في حضرة الله. وعلى الرغم أنه يصعب علينا فهم ذلك، إلا أنها الحقيقة. ليس من الضروري على المؤمنين أن يكونوا غير مرتاحين في الظلام وفي ظلال الحياة، لأن الله يوجد في الظلام. إنه تناقض روحي، ويجب أن يفهم بروحنا. الله نور وليس فيه ظلمة البتة، وهو يحيا في ظلمة، وفي نور لا يدنى منه. في (مز٩١: ١-٢) يرى وجود الله كظل حصن. إن صخرة وجود الله تلقي دائماً بالظل. ويقدم ذلك الظل مأوى لنا.

تأتي الظلمة لنا في أربعة أشكال. أولاً، هناك الظلام الذي يتسبب فيه الشرير ــ والذي عندما ننتهره، يختفي. إن ظلام إبليس يمكن بل ويجب أن ينتهر، ولكن الظلام الذي يأتي من قِبل الله لا يمكن أن ينتهر.

ثانياً، هناك الظلام الذي يأتي نتيجة للخطية. ولا يمكن إبعاد هذا الظلام سوى عن طريق الندم والتوبة.

ثالثاً، هناك الظلام الذي يتسبب فيه الناس أو الظروف في حياتنا: التأثيرات السلبية للناس، والآراء والكلمات، أو المواقف البالغة الصعوبة والتي لا يمكن التعامل معها. ولا يختفي الظلام إلا عندما يصبح الله ووجوده، وكلماته ومشيئته حقيقة أعظم بالنسبة لنا من كلمات وآراء الآخرين.

أخيراً، هناك الظلام الذي يأتي من قِبل الله ــ ظل يد الله.

الفقرات التالية تتعامل مع هذا الظلام. إن ظلام الله هو ظل يده التي تظللنا:

" فِي ظِلِّ يَدِهِ خَبَّأَنِي وَجَعَلَنِي سَهْمًا مَبْرِيًّا. فِي كِنَانَتِهِ أَخْفَانِي." (إش٤٩:٢). إنه يخبئني في ظل يده. لاحظ: إنه يخبئني في ظل يده. هناك في الظل، يجعلني سهماً مبرياً.

عندما يسمح الله لنا بأن نمشي في الظلام، فذلك جزء من تأديبه لنا لكي يعلمنا أن نستمع له وحده ونطيعه وحده. هناك في الظلام تضعف كل الأصوات الأخرى التي تتحدث إلينا ويعلمنا

أن نستمع له وحده. سوف يتحدث لنا الله في الظلام، وما يعلنه لنا في الظلام يجب أن ننادي به على السطوح (مت١٠:٢٧). إن الله لا يصرخ في الظلام. إنه يهمس. إنه يهمس برفق في آذاننا.

إن الظلام هو لصالحنا في الأساس. في بعض الأحيان فإنه يجعلنا نمشي في الظلام لنحصل على رسالة لشخص آخر، ولكن ذلك هو الاستثناء. ومع أن الظلمة مقصودة لنا، فإنها في الغالب مثال وتشجيع للآخرين عندما نمشي منتصرين مع الله في الظلام.

إننا لا يجب أن نحاول أن نخبر الآخرين عما يجب أن يفعلوه في الظلام. فنحن لسنا آلهة. إننا يجب أن نترك الأمر بين يدي الله. علينا فقط أن نشجعهم لكي ينتظروا الله في الظلام. لا تحاول أن تسهل الأمر بالنسبة لهم. لا تضيء لهم قليلاً من الشموع. ففي غالب الأحيان فإننا نعيق عمل الله عندما نحاول أن نأتي بالآخرين من الظلام بسبب الشفقة التي في غير موضعها.

السير في الظلام مع الله يؤدي إلى خشوع جديد، وانكسار جديد، واتكال جديد، وأخيراً أيضاً إلى حرية وضياء جديدين وعظيمين. فإذا لم يحدث ذلك. فالظلام ليس من الله، ولكنه على الأرجح يرجع للوساوس، والقلق، والخطية أو الشرير.

لا تنس أن يسوع قد اختبر ثلاث ساعات من الظلام الكلي نتيجة أن الله قد حجب وجهه عنه فوق الصليب. لقد فعل ذلك طوعاً حتى لا نكون وحدنا في الظلام أبداً. هناك على الصليب صرخ يسوع "إلهي إلهي لماذا تركتني؟". اختبر يسوع الوحدة والظلام. وبالإضافة إلى مدة الساعات الثلاث ويزيد على الصليب، كان يسوع في ظلام القبر لمدة ثلاثة أيام، ولكنه انتصر على الموت وأقيم من القبر. لقد كسرت قيامته شوكة الخطية وسلطان الشرير علينا. ونتيجة لذلك لن تفصلنا الظلمة مرة أخرى عن الله وعن العلاقة الحميمة معه.

الظلام هو طريقة الله لتنقيتنا. هناك في الظلام، يبدأ الله في العمل لتغيير الكثير من الأشياء بداخلنا: الطبع الحاد، والكلمات المتسرعة، والأفعال وردود الأفعال الطائشة، والأفكار المتمردة، وحبنا للأشياء والعالم، والأهمية التي نعلقها على أشياء مثل المركز، والمال، والأمان، والحصول على التقدير من الآخرين. هناك ظلام في فرن الفخاري. فبعد تشكيل الصلصال ليصبح شيئاً مرغوباً لديه، يضعه الفخاري على الرف ليجف. ولا يضعه في الفرن إلا عندما يكون قد جف تماماً. جميع الأفران مظلمة وحارة، ولكن لا توجد طريقة أخرى لجعل مصنوعات الفخاري أكثر فائدة سوى عن طريق إدخالها في فرن، فرن فائق الحرارة. ومن الناحية الروحية فإن الله يجعلنا نجتاز في نفس العملية.

يتعامل الله مع "الذات" فينا حين تستقر يده بشدة علينا ــ وتلقي تلك اليد بظلال سوداء. فالناس سوف تسبنا وتشهر بنا، وسوف يتهمنا أقرب الناس إلينا، ويهاجموننا ويضطهدوننا.

وفي بعض الأحيان نبدأ في التفكير في الأفكار المتمردة أو نختبر الهجمات القاسية على غير توقع في جوانب كنا نعتقد أننا قد أحرزنا النصر عليها منذ أمد طويل. سوف يسمح الله بهذه الأشياء، وبأشياء أكثر منها، حتى ينقينا مثل الذهب. وسوف يرينا ببطء ولكن بكل تأكيد الحالة الحقيقية لقلوبنا تجاه كل هذه الأشياء. لماذا يسمح الله بذلك؟ لكي يأتي بنا إلى منطقة الخضوع والتكريس الكلي له، ولكي يساعدنا لنساعد أنفسنا على التسليم تماماً للصليب، وأن نموت تماماً عن العالم وعن ذواتنا.

في الظلام يبدأ الله في العمل بطرق قد تبدو غريبة بالنسبة لنا. يبدأ ذلك عادة في الوقت الذي نقول فيه لأنفسنا "الآن أفهم كيف يعمل الله". نحن مرتبكون: فجأة لا نعرف شيئاً آخر، لا نعرف كيف ولم تعد لدينا كل الإجابات. في هذا الموقف يعلمنا الله أننا لسنا بحاجة إلى "النور"، ولكننا بحاجة له هو فقط. إن الله يأتي بالنور والله هو النور. النور ليس أن نعرف أو نفهم أو تكون لدينا الإجابة، ونحسن ظروفنا أو نشعر مرة أخرى أن الله يحب. النور هو الله نفسه. إذا كان هناك ظلام من حولنا، ولكن الله معنا، يكون هناك نور.

عندما نجلس في الظلمة سوف نشعر بالبؤس وعدم الراحة لفترة من الزمن، ونشعر أن الله قد رفضنا. ولكن، في هذا الموقف بالضبط، أكثر من أي وقت مضى، نرى نقائصنا، وضعفاتنا، وعيوبنا، ونبدأ في أن ندرك مقدار قوة مقاومة الناس والشيطان (أقوى مما تصورنا). من المرجح أننا سوف نشعر بأن الله قد تخلى عنا وأننا لا نستحق أن نعامل بمثل هذه المعاملة. ولكن اعلم أن الله هو المتحكم في كل شيء، على الرغم من حقيقة شعورك. كثيرون يتبعون يسوع لأجل "الخبز" الذي يعطيه لهم، ولكنه يريدنا أن نتبعه حباً فيه فقط. ولكن ما هو رائع حقاً، أن فترة الظلام هذه سوف تبدأ في أن تكشف لنا إن كنا نتبع يسوع فقط لأجل "الخبز" الذي يعطيه لنا.

كثيراً ما نشعر ونحن في الظلام أن الله غاضب منا. نحن نشعر أن الله "يحمل معنا" أثقالنا، ولكنه لا يحبنا حقاً. وفي بعض الأحيان، في طرفة عين، يبعد الله كل أثقالنا، ولكن ذلك لا يحدث كقاعدة. إن الله يستخدم كل هذه المشاعر والعواطف ليرينا أنفسنا على حقيقتنا وكيف نكون لولا المسيح ورحمته.

كيف يكون رد فعلنا في مثل تلك الأوقات؟ يظل البعض يرى الظلام، والتجارب، والهجمات العنيفة، والفقر، والحزن، والألم، والعوز، والنقائص في أنفسنا. ويفضل البعض الآخر النظر إلى الله. إنهم يرون يد الله تمسكهم وليس ظلال اليد. في تلك الأوقات يجب أن نفهم أننا في حقيقة الأمر نحرز تقدماً روحياً، حتى لو شعرنا كما لو أن الله لا يزال بعيداً.

ما الذي ينبغي عليَّ أن أفعله عندما يغطيني الله بظل يده؟ لا توقد نيرانك (إش٥٠:١١). اجلس بهدوء في الظلام، واسكن أمام الرب. لا تقلق (مز٣٧:٧). انتظر الشيء الوحيد الذي

يجب أن تفعله عندما تكون جالساً في الظلام المرسل من الله أن تنتظر وتستريح لله أجندته الخاصة. لا قدر من رثاء الذات، والصراخ، والقلق أو الحديث مع الآخرين سوف يغير من الأمر شيئاً.

لا تخف من ظلام الوحدة، والألم، والرفض، والعار، والإذلال، والحزن، والاضطهاد أو سوء الفهم. احتضنها. انظر إليها كهبة من الله تعلمنا كيف أن الحياة سريعة الزوال، وكم نحن ضعفاء، ومقدار أهمية الأبدية وأننا يجب أن نُقيِّم كل شيء في ضوء الأبدية.

كثيرون منا يخافون الظلام، غالباً بسبب الوحدة التي نشعر بها في الظلام ولأننا لا نستطيع أن نرى. وعندما لا نستطيع أن نرى، لا نعرف ما الذي يمكننا أن نفعله، إن ذلك يجعلنا نتجمد في مكاننا. نحن لم نعد نتحكم في شيء.

عندما نسير في الظلام، لا يجب أن نتكلم، فكلماتنا لن تأتي بالحياة والرجاء، ليس لنا ولا لأي شخص آخر. إذا تحدثنا في الظلام، لا نستطيع أن نستمع لما يقوله الله لنا. في تلك الأوقات لا يجب أن نتكلم مع الآخرين عن موقفنا.

كما أننا لا يجب أن نقرأ كتباً لا حصر لها في محاولة لفهم سبب الظلام. علينا فقط أن نستمع ونطيع. إن الظلال في حياتنا من أوضح العلامات التي تثبت أن الله معنا وأنه منهمك في العمل معنا. الظل هو ظل الله. إنه يريد أن يجتذبنا نحو علاقة أوثق معه. إنه يرغب في أن نسمع صوته بوضوح أكثر، إنه يريدنا أن نرى عجزنا الكلي، وأن نرى أنه بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. إنه يريد أن يأتي بنا إلى الدرجة التي تجعلنا لا نشك فيه بل نتبعه بلا قيد أو شرط. إنه يريد أن يأتي بنا إلى طاعة أكثر حرارة له ويريدنا أن نضع ثقتنا فيه.

وفي المرحلة الأخيرة نحن بحاجة أن نعرف أننا يجب أن نرحب بالظلال ونُخضع ذواتنا لله لأنه حينئذ يكون قريباً منا ويكون مشغولاً بنا كثيراً.

إن الظـــلام الذي يأتي من قِبـــل الله يساعدنـــا لكي نسلك في طريق روحي داخلي حيث يمكننا أن نسلك في الروح بنور الله في إنساننا الداخلي. في ذلك المكان نتعلم أن نعيش بالإيمان وليس بالعيان أو المشاعر، ونعيش في ثقة تامة في قوة الله الجديرة بالثقة والمعينة وليس في قوتنا الذاتية، وأن نعيش في اتضاع وليس في تعالٍ وغرور.

عندما تأتي الظلال، فعلى المسيحي أن يختار الصمت، وأن يُسلِّم انفعالاته لله وينتظر الله. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل العشرون
جثسيماني

لا يمكننا مقارنة تجارب جثسيماني الخاصة بنا بتجارب جثسيماني الخاصة بيسوع. إن ما عاناه يسوع في جثسيماني، لا يمكن لبشر أن يتحمله. ومع ذلك فإن الله يأخذ أبناءه في طريق مماثل وسوف نختبر شيئاً مما اجتاز فيه يسوع.

نادراً ما يأتي جثسيماني مبكراً في حياة المسيحي. إن جثسيماني ليس من اختيارنا أبداً. إنه اختيار الله لنا. إنه يأخذنا إلى جثسيماني بنفسه. إن جثسيماني لا يمكن تجنبه في حياة المؤمن.

ولكنه اختيارنا. نحن لا يمكن أن نرفض الذهاب إليه، ولكن ذلك سوف يعني أن حياتنا، سوف ينقصها، إلى حد كبير الثمر الروحي والقوة وسوف لا يكون لدينا التأكيد بأننا نفعل مشيئة الله.

يوجد دائماً عدد من الناس معنا في جثسيماني، أناس مختارون من الله ليكونوا معنا، وكل واحد منهم قد اختير لسبب معين.

لكل جثسيماني يوجد يهـــوذا ، يهوذا الذي يُقبِّل ويخون . إن يهوذا في أغلب الأحيان شخص مُقرّب منا، مختار من الله لخدمة هدف معين. إن الله يستخدم كل يهوذا ليبني ملكوته، ولذا فنحن لسنا بحاجة أن نشعر بالمرارة بشأن يهوذا الخاص بنا.

في جثسيماني الخاص بنا من المرجح أنه سوف يكون هناك بطرس الذي يريد أن يستل "سيفاً" لكي يحمينا من شكل من أشكال العنف. إن هذا الشخص عادة يستغل القوة البشرية. إن قطع أذن شخص كما فعل بطرس لا يفيد شيئاً. فالقوة البشرية والعنف سوف لا يحلان المشكلة.

كما خذل التلاميذ يسوع وهربوا، فإن البشر نظيرنا سوف يخذلوننا أيضاً.سوف نطلب المساعدة من الأصدقاء ــ كما أخذ يسوع معه التلاميذ الثلاثة الذين يمثلون الدائرة المقربة منه، ولكن في النهاية فإنهم هم أيضاً سوف "ينامون". أخيراً سوف يجري كل واحد بعيداً وسوف نترك وحدنا ــ الله ونحن فقط. لا تدينوا. دعنا نسترجع الأوقات التي نمنا فيها خلال تجارب جثسيماني الآخرين.

هناك حيثما نكون وحدنا مع الله، فإنه يأتي ليضع كأساً في يدنا، كأساً مرة. هناك كأس مرة في كل جثسيماني. إن الكلمة جثسيماني تعني معصرة الزيتون: هناك حيث يُسحق الزيتون ويتم استخراج الزيت منه. إن الله كثيراً ما يجعلنا نجتاز معصرة الزيتون لإخراج كل شكل من أشكال الذات من حياتنا، حتى لا يتبقى سوى مشيئته. هذا هو المكان الذي تقع فيه البذرة في

الأرض وتموت. هناك الحزن، والقلق، والعرق النازل كقطرات الدم: في جثسيماني يوجد العذاب، الصراع الشرس والحاد: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ." (مت٢٦:٣٨)

إن المعينين لجثسيماني سوف يحاولون دائماً البحث عن طريق آخر، إنهم سوف يصلون دائماً أولاً ويتباحثون مع الله، ويسألونه إن كان هناك طريق آخر. لقد سأل يسوع هذا السؤال مرتين. وهكذا سوف نفعل نحن. إن جثسيماني في أعمق أعماقها اختبار بين إرادة الله مقابل إرادتنا. إن هذا الاختبار سوف يحدد إن كنا سوف نصل إلى الهدف من خلقِنا. قرارنا في جثسيماني يؤثر على حياة آلاف الآخرين.

في وسط هذا الصراع المرير، يكون الله أبونا معنا. ذلك هو سر راحتنا. أبو ربنا يسوع المسيح نفسه معنا. في جثسيماني صرخ يسوع قائلاً "يا أبتاه..." توجد تعزية واحدة في جثسيماني، وهي أن الله الآب موجود هناك لأجلنا، ومعنا، وليس الشيطان أو البشر.

يبدو جثسيماني دائماً مرادفاً للفشل والهزيمة. إنه يبدو كما لو أنه لا شيء قد تحقق من ورائه، وأنه لم يخدم أي هدف. في هذا الصدد من المهم أن تقرأ، مرة أخرى، ما جاء في (١كو١: ٢٧-٣٠) : " بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ. وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً."

إن جثسيماني يحقق خلاص الجنس البشري من سلطان الخطية وقيود الشرير. إنه يؤدي إلى امتداد الملكوت. ولذلك لا يجب أن نفكر ملياً في ثمن جثسيماني، ولكننا يجب أن ننظر إلى النتيجة، والمكافأة، والثمار.

جثسيماني نهاية لطريق واحد، ولكنه بداية لطريق جديد. إنه، في نفس الوقت، النهاية والبداية. جثسيماني يقود دائماً إلى موت الذات، وإلى موت أكثر عمقاً مما يمكننا تصوره. إنه لا يبدو ممكناً، ولكن فيما بعد فإن حياتنا تأتي بالثمار. إنه لا يمكن أن يحدث بشكل آخر. بعد جثسيماني سوف نقبل حقيقة وحتمية الصليب، وأيضاً الطريقة الغريبة التي يعمل الله بها. لقد تغير طريقنا على نحو قاطع، وكلماتنا أصبحت أقل. لا شيء سوف يعود كما كان مرة أخرى.

في جثسيماني تتحطم إرادتنا. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الحادي والعشرون
العجز الكلي

على الرغم من غرابة ذلك، إلا أن العجز الكلي والكامل شرط لا غنى عنه، إذا أردنا أن نختبر قوة الله فينا. إن جزءاً كبيراً من عملنا والعديد من خططنا مبني على الإيمان بذواتنا وقدراتنا. وفي غالب الأحيان فإننا نبالغ في قوتنا وحنكتنا. إذا لم نفهم عجزنا الكلي، فإننا نواصل عملية البناء بقدراتنا البشرية الخاصة وننسب القصور لله، الذي يريد أن يستخدم قوته وفكره ليعمل فينا.

إن الصلاة المخلصة والسير المتواصل بتآلف مع الله يجدان أصدق تعبير عنهما في إعلان العجز الكلي والكامل. إن الصلاة التي تصعد لله كصرخة عاجزة ويائسة لطلب العون تحقق المزيد عن أي شكل آخر من أشكال الصلاة. الله أب كامل يأتي إلينا فوراً عندما ندعوه في عجز كلي. إن عجزنا لا يمكن أن يكون أبداً عائقاً بالنسبة لله، بل على النقيض من ذلك، فإنه يعتبره فرصة لتقديم العون لنا.

المشكلة بالنسبة لهذا العجز أن العالم يحتقرنا. ونحن نحاول جاهرين ألا نبدو عاجزين. إن آخر شيء نريده هو أن يعتقد الناس أننا بحاجة لشخص ما. وبالإضافة لذلك، فإن كل واحد منا لديه قدر من الكبرياء والتعالي في قلبه مما يجعلنا نعتبر الاعتماد على الغير وعدم المقدرة ضعفاً، ونحن نبذل كل ما في وسعنا لتجنب ذلك. نحن لا نريد أن نعترف بأننا لا نستطيع أن نساعد أنفسنا. ونحن لا نريد للآخرين أن يروا ضعفاتنا. ونحن معتادون على إخفاء نقاط ضعفنا عن الآخرين لدرجة أننا نعتقد أننا قادرون على عمل نفس الشيء مع الله. يمكننا أن نصر على إنكار ضعفاتنا. ولكن ذلك له عواقب لا يمكن تلافيها: نحن نسقط حقنا في قوة الله، ومعونته وتدخله لصالحنا.

إن الكلمة "عجز" تصف بعداً مختلفاً لنفس الظاهرة. أليست القوة هي التي يتوق إليها العالم ويتمسك بها، ويتزود بها ويستولي عليها؟ نحن نريد أن نحكم السيطرة. نريد أن نعتني بذواتنا، لأننا نعتقد أن ذلك جدير بالثناء. إن ذلك يعطينا الإحساس بأننا ممسكون بزمام الأمور، وهو إحساس زائف بالاستقلالية. ولكن القوة ليست ملكنا وهي لا تمت إلى أعظم مملكة أو حكومة على وجه الأرض أيضاً، ولا حتى لضد المسيح. القوة التي لدينا هي القوة التي يمنحها الله، والقوة التي لضد المسيح هي القوة المؤقتة التي يحصل عليها من الله. يجب علينا ألا نشغل ذواتنا بالقوة والسيطرة. القوة ملك لله، وإذا كنا ننتمي له، فنحن نحيا في ظل حضرة كلي القدرة. نحن نقرأ في (أف١:١٩) عن عظمة قدرة الله الفائقة نحونا نحن المؤمنين.

إن الاستقلالية الكلية تعطينا منظوراً آخر. كم نحن نتوق بشدة أن نكون مستقلين، نقف على أقدامنا ونعتني بذواتنا. وكم يصعب أن نتجه إلى الآخرين طلباً للعون وكم يصعب الاعتماد عليهم. كم يجرح ذلك كبرياءنا، وكم يذلنا. إن له تأثيراً سلبياً على مفهومنا عن ذواتنا. نحن نريد أن نفعل ما نريد بأي ثمن، وبالطريقة التي نريدها، وبأسلوبنا الخاص وفي الوقت الذي يناسبنا. في أعماق نفوسنا نريد أن نستقل عن الله، والمشكلة أننا مخلوقون لكي نعمل في اعتماد كلي على الله. لقد خلقنا الله هكذا من البداية. نحن ممثلو الله ومن خلالنا فهو يريد أن يحكم الأرض. إن الله لم يقصد أبداً أن نستولي على الأرض، ونخضعها، ونعيش عليها، وأن نفلحها ونحفظها، بمعزل عن الله. فمنذ البداية كانت خطته أن يعمل فينا. هل الأب يقلل من شأن طفل صغير لأنه عاجز، وضعيف ويعتمد على الآخرين؟ كلا، على النقيض من ذلك، فإن ذلك يُيقظ غرائز الأبوة لديه، ويبدأ عطفه غير المحدود في التحرك بداخله. إنه امتياز للأب لكي يدبر أمور طفله العاجز.

هــل نعتقد إن الأمر يختلف بالنسبة لأبينا السماوي؟ إن أقوى

جدل لنا أمام عرش نعمة الله يستند إلى عجزنا الكامل واعتمادنا الكلي عليه. لقد علمنا يسوع: أن الله يطوب المساكين بالروح، الذين يدركون احتياجهم له. أبونا لا ينعس ولا ينام. " لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ تَجُولاَنِ فِي كُلِّ الأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ" (٢أخ١٦:٩). إن الله كلي الرؤية. وكما أن الأم تكرس نفسها للعناية بأطفالها، فإن الله، في نعمته العظيمة، قد كرس نفسه للعناية بأولاده إلى الأبد. إن الله يرثي لضعفاتنا. فعن طريق المسيح أرسل لنا رئيس كهنة يرثي لضعفاتنا (عب٥). ولكن هناك مستوى أعمق من مجرد الإقرار بضعفاتنا. هناك الإعلان بوضوح وبلا خجل أننا عاجزون تماماً وبالكامل. يا له من هجوم ضار ضد كل أشكال الكبرياء والدعة بداخلنا.

إن الاعتماد الكلي على الله سوف يمكنه تماماً من فعل أي شيء يمكنه أن يفعله في الإنسان البشري. دائماً تكون خططنا، وأفكارنا، و"مساعدتنا" لله هي التي تتسبب في أكبر عائق لعمل قوة قيامة المسيح فينا. عندما نبدأ في اتباع يسوع كتلاميذه، نبدأ في الحال في العمل لأجل الله. ولكن فيما بعد ندرك أن تلك ليست فكرة جيدة ونبدأ في العمل مع الله. وفيما بعد أيضاً، وفي بعض الأحيان بعد فوات الأوان، نكتشف أن ذلك لا يصلح أيضاً. وعندئذ فقط نتعلم أننا يجب أن نسمح لله لكي يعمل فينا.

يعتقد المؤمنون في كثير من الأحيان أن النضج الروحي يعني أن نصبح أقوى وأكثر استقلالية. ولكن الصواب على النقيض تماماً من ذلك: النضج الروحي مساوٍ تماماً للاعتماد على الله. كلما ازداد اتكالنا على الله، ازداد نضجنا الروحي. ولذا، فإن الصلاة والعجز يسيران

معاً ولا يمكن فصل كل منهما عن الآخر. فالعاجزون فقط هم الذين يمكنهم أن يُصلوا صلاة حقيقية. قال اللاهوتي النرويجي: "إن عجزك هو أفضل صلاة لك"

العاجزون تماماً لا يطلبون العون بفتور. إنهم يصرخون بكل ما أوتوا من قوة، لأن ذلك كل ما يقدرون عليه. إنهم لا يصرخون قليلاً خوفاً من أن يسمعهم الناس ويتقولون عليهم شيئاً. إنهم لا يحاولون أن يكونوا أكثر وقاراً عندما يصرخون طلباً للنجدة. إنهم يصرخون ليُسمعوا ويُساعَدوا! إن العجز الحقيقي لا يترك مكاناً للكبرياء. إذا كنا لا نزال نمتلك ذرة من الكبرياء فينا، فنحن لم نصل بعد إلى نقطة العجز الكلي بعد.

ففي حقيقة الأمر فإن عجزنا هو الذي يفتح الباب للمسيح ويعطيه حق الدخول لتلبية احتياجنا. نحن نستمع كثيراً إلى المثل القائل: إن الله يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم. هناك شيء من الحقيقة نوعاً ما في هذه العبارة، ولكن من زاوية مختلفة، فهي أكذوبة كبرى. إن الذين يعتقدون إنه بمقدورهم أن يساعدوا أنفسهم لا يطلبون المساعدة من الله بسهولة وبالتالي لا يحصلون على المساعدة منه. العاجزون فقط هم الذين يطلبون من الله أن يساعدهم وهم الذين يحصلون على المساعدة منه.

إذا كان لا يزال لدينا القوة والطاقة حتى نملي على الله أي نوع من المساعدة يجب أن يعطيها لنا، فنحن أبعد ما نكون عن العجز ولم نستنفذ بعد كل خططنا. إن العاجز لا يستطيع أن يقرر الطريقة التي يمكن أن يساعد بها. العاجز قد استنفذ خططه وأفكاره. وعندما يحدث ذلك فإن الإله الكلي القدرة والحكمة يأتي لنجدتنا بحكمته الكاملة وتوقيته الصائب.

في أحيان كثيرة نبخس الله حقه لدرجة جعل مشكلاتنا أكبر من الله. يا لها من إهانة. يا لها من غلطة كبرى. يا لها من حماقة. إن الله كلي القدرة يبدأ يعمل فينا فقط هناك حيث نكون قد وصلنا إلى نهاية قدراتنا.

عندما يزداد عجزنا، تأتي قدرة الله لمساعدتنا. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الثاني والعشرون
الذين يخمعون (يعرجون)

نقرأ في سفر (التكوين٣٢:٢٥؛ ٣١-٣٢): "... وَلَمَّا رَأَى (الرجل) أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ... وَأَشْرَقَتْ لَهُ (يعقوب) الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ. لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا."

على المرء أن يحذر من أن يسلم نفسه لشخص لا يعرج. إن الشخص الذي يعرج هو شخص قد تقابل مع الله. إنه شخص قد نجح الله في حياته. إن الذين يعرجون قد تعلموا أن يكونوا أمناء مع أنفسهم والأمناء مع أنفسهم يعرفون أنهم بحاجة إلى الله. إنهم يصرخون إلى الله طلباً للرحمة والنعمة ويرفضون أن يواصلوا المسيرة بدون الحصول على بركته.

الذين يعرجون قد صارعوا مع الله. عندما ينتصر الله على شخص ما، وعندما ينجح في حياة شخص ما، فإن ذلك الشخص يعرج. لا يمكن لشخص ما أن يبقى على ما كان عليه من قبل بعد الصراع مع الله. وفي بعض الأحيان يتركك الله في طريقك الذي رسمته لنفسك سنين عديدة، ولكن في يوم ما، أو في ليلة ما، أسود الليالي بالنسبة لك، فإنه سوف يأتي ليتصارع معك.

وعند شروق الشمس، فإنك سوف تعرج. لقد فعل يعقوب ذلك.

عندما بدأ يعقوب يعرج فقط، أصبح في الإمكان وضع الثقة فيه. قبل اختبار فنوئيل لم يكن يثق بيعقوب أحد. فقد غش أباه، وحماه وأخاه. وفي أشد لحظات قلقه، انحنى ساجداً على الأرض ليقدم زوجتيه، وجاريتيه وأولاده كهدايا لإنقاذ حياته.

في تلك الليلة عندما تصارع الله مع يعقوب، سأل الله يعقوب عن اسمه. ولم يستطع أن يباركه الله سوى بعد أن تمتم وهو يهتز في إنهاك شديد قائلاً: "اسمي يعقوب، المخادع، الذي يمسك بالعقب، المتعقب". هناك تَعرَّف يعقوب على حقيقة ذاته وفهم أنه لا يستطيع أن يعيش بدون الله.

كانت هناك درجة في صراع يعقوب مع الله حتى إنه قاتل باستماتة لأجل حياته، ولكن في خلال ذلك تغيرت قبضته وبدأ يتعلق بالله، وهو ممسك به. وعند طلوع الفجر طلب الله من يعقوب أن يطلقه، ولكن يعقوب استمسك بالله ورفض أن يطلقه.

إنه لن يطلقك ولن يباركك، حتى تصبح أميناً معه وتطلب منه أن يباركك. إن المصارعة مع الله تأتي ببركة الله. وفيما بعد تتغير حياتك وتصبح بركة للآخرين.

فـــي جثسيماني صارع يسوع مع الآب. ونتيجة لصراعه مع

الله كان الآب مرئياً في آثار المسامير في يديه ورجليه، وطوال الأبدية فإن جميع الكائنات السماوية سوف تعترف به كالخروف الذي ذبح عن طريق الآثار الواضحة على يديه ورجليه. ولا حتى السماء لم تستطع أن تمحو آثار صراع الابن مع الآب.

كان على يوسف أن يقضي السنوات في سجن فرعون قبل أن يستخدمه الله. إن يوسف لا يمكن أن يكون بدون آثار القيود والحديد التي سحقت رجليه وعنقه (مز١٠٥: ١٧-١٨). إن هذه الندوب أنقذته عندما رأى أخوته مرة ثانية بعد سنوات عديدة. كانت هذه تذكاراً لصراعه مع الله، وبسبب ذلك استطاع أن يرحم إخوته.

إن يوسف الحالم كان لديه "مواعيد الله"، وكانت هناك "كلمة نبوية" متعلقة بحياته، ولكن بدون المعالم الإلهية في جسده، ما كان الله يستخدمه.

كثيراً ما نطلب من الله العون. وكثيراً ما نطلب بركته على حياتنا، وكثيراً ما نريد من الله أن يؤازرنا. نحن نفضل ألا يبارك الله الكنيسة الأخرى، والمنظمة الأخرى، والقادة الروحيين الآخرين أو الشركة التجارية الأخرى. إن الله يجب أن يباركني حتى يكون منظري جذاباً. وعندئذ، أستطيع أن أخفي معالم "المخادع" فيَّ، يعقوب الكامن في كل واحد فينا.

ولكن الله لا يمكن أن يفعل ذلك، لأن الله لا يمسح جسداً ــ جسد أي واحد. إنه لن يمسح جسدك. الله لا يبارك الجسد. إن بركة الله لا تخفي أي شكل من أشكال الذات. لله شروط خاصة لبركته وتوجد أيضاً نتائج محددة تتفق مع هذه الشروط: أولاً المصارعة مع الله، ثم الإقرار والاعتراف بخطايانا وضعفاتنا، ويعقب ذلك الألم المبرح عندما نضرب "على حق الفخذ على عرق النسا" بعد ذلك فقط تأتي بركة الله ومن ذلك الوقت فصاعداً، فنحن نخمع (نعرج). الذين تقابلوا مع الله سوف يخمعون.

الشيء الوحيد الذي يصلح الجسد له أن يحرق على مذبح الخضوع الكلي. في أحيان كثيرة نطلب من الله أن يمسح الجسد وأن يجعل روحه القدوس يصادق على خطط ومحاولات الجسد. إنه لا يمكن أن يفعل ذلك. إنه الله. إنه قدوس.

عندما يأتي الله "في الليل" ليتصارع معك، فهذا يعني أن يباركك. ومع ذلك، فقبل أن يباركك، فإنه يضطر أن يريك أعماق ذاتك. إنه يجب أن يُبرز لك "يعقوب المخادع" الذي بداخلك. عليه أولاً أن يريك الذات، الجسد.

فقط عندما نعترف بالجسد وننبذه يمكن لله أن يغير اسمك وشخصيتك. اقرأ (تك٣٢:٢٨) "... فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ»." في المصارعة مع يعقوب، غيَّر الله اسم يعقوب إلى إسرائيل، وهو يعني "إنه يجاهد مع الله" أو "أمير الله". عندما يتغير اسمك وشخصيتك، فإن سلوكك سوف يتغير أيضاً. إن سلوك يعقوب قد تغير.

الذين لا يخمعون مازالوا أقوياء في ذواتهم. إن عرق النسا من أصلب الأوتار في الجسم البشري عندما ضرب الله يعقوب على عرق النسا، فإنه كسر أصلب مكان في جسده. وقد كان لذلك تأثير روحي عليه. إن الله يريد أن يكسر أقوى جزء في حياتنا الروحية، لأنه عندئذ فقط ننكسر بحق. إن الانكسار وحده يجعلنا نفهم أن أقوى الجوانب فينا هي بالفعل العقبات التي تعوق الله عن العمل بقوة فينا.

لقد كان لبولس شوكة في الجسد. وكان يعقوب يخمع. إن الله سوف يجعلك تخمع لأنه يعرف ماهيتك. يمكنك بسهولة أن تستدير وتبدأ في الجري مرة أخرى، وتبدأ في عمل ما تفضله، وتبدأ في وضع ثقتك في نفسك. ولكن عندما تخمع، فإنه حتى التجربة لا تعد تُشكل مشكلة بعد ذلك، لأنك ببساطة غير قادر على المحافظة على قدرتك الذاتية كما كان الحال من قبل. إن شوكة بولس في الجسد قد منعته، إلى الأبد، من أن يتعالى، ومن
المُضي قدماً بقدرته الذاتية.

الذين يخمعون لا يعانون بعد من الكبرياء الزائفة. إنك تراهم كثيراً يمشون حولك هنا وهناك، رؤوسهم منخفضة وعيونهم مسدلة، ويمشون ببطء. كلماتهم ليست كثيرة، ويبكون بسهولة، ويمكن الاقتراب منهم، وهم لم يعد يعتقدون إنهم يعرفون كل شيء، وإجاباتهم ليست سطحية.

سوف يكون هناك الانكسار والتواضع، لأنه لا يوجد لديهم الشيء الكثير الذي يفتخرون به. يوجد لديهم القليل من القوة الطبيعية، لأن الجسد قد وُضع فوق المذبح. ولكن يوجد أيضاً شيء آخر فيما يتعلق بالذين يخمعون: حضور الله الذي لا يخفى على أحد يصحبهم.

الذين يخمعون نادراً ما يتحدثون عن أنفسهم لأنه لم يتبق لديهم الكثير الذي يتحدثون عنه، ولكن لديهم الشيء الكثير الذي يخبرونه عن الله. عندما يتكلمون، يكون لديهم الشغف للحديث عن يسوع.

يا صديقي، هل تخمع؟ هل آثار جهادك مع الله واضحة؟ الحقيقة إنك لا تستطيع أن تخفيها عن العالم. وبالإضافة لذلك، فعندما يراك العالم تخمع، فمما يثير الدهشة، إنهم لا يحتقروك، إنهم سرعان ما يعاملونك باحترام.

إن العالم يعرف بالفطرة متى تقابل شخص مع الله ومتى تحل بركة الله على ذلك الشخص. ومن تلك اللحظة فصاعداً فإنهم سوف يثقون فيك ويلتفتون إليك لأن القضية لم تعد متعلقة بشخصك وبسلامتك الشخصية.

في الطريق الآخر، يسير عدد كبير من المسافرين وهم يخمعون.

الفصل الثالث والعشرون
ميلاد قبل الأوان

الطريق الذي يسلك فيه المؤمن ليس طريقاً ممهداً. هناك أيام سيئة. لا شيء رائع طوال الوقت. في بعض الأيام نعاني كثيراً لدرجة أننا لا نريد أن نواصل المسيرة، ولدرجة أننا نفقد الرجاء، وأنه لم تعد لدينا الشجاعة لمواجهة الغد وأننا نبدأ في الشك حتى في وجودنا. بل ونبدأ الشك أيضاً في الشخص الذي صنعنا.

يمكننا أيضاً أن نستيقظ ذات صباح ونشعر أننا لم نعد في حالتنا الطبيعية لدرجة أننا نلعن اليوم الذي وُلدنا فيه.

إن ذلك لا يحدث لكل مؤمن، ولكنه يحدث على أي حال. مَن يرغب في أن يحقق أفضل شيء في الحياة، ومن يريد أن يحيا حياة طاهرة وأمينة، ومن يريد أن يفهم الحياة ولا يعتبرها رخيصة، يصل أحياناً إلى الدرجة التي تجعله يشك في الحياة ذاتها، وأكثر منها، حياته هو أيضاً. مثل هؤلاء الناس يريدون أن يلعنوا حياتهم. مثل هذه المشاعر "غير المسيحية" تحدث أكثر مما نعتقد. البعض ينكرونها. إنهم يعتقدون أن المؤمنين لا يجب أن يختبروا تلك الأحاسيس ولا يوافقون عليها في أنفسهم وفـــي
حياة الآخرين أيضاً.

ولكن دعنا نلقي نظرة على رجل تقي مثل أيوب. لقد قال الله عنه: " لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ." (أي١:٨). ثم نقرأ أيضاً: " وَإِلَى الآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ، وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأَبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ." (أي٢:٣). لم يقل أيوب ذلك عن نفسه. لقد قال الله عنه ذلك.

وفجأة يأتي "زمن رديء" في حياة أيوب. إنه لا يفهم ما يحدث. فجأة، كل ما كان ذا معنى لم يعد له معنى. لديه آلاف الأسئلة والإجابات. وفي حيرته يسب أيوب نفسه واليوم الذي ولد فيه: " بَعْدَ هذَا فَتَحَ أَيُّوبُ فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ، وَأَخَذَ أَيُّوبُ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ:«لَيْتَهُ هَلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ، وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ: قَدْ حُبِلَ بِرَجُل. لِيَكُنْ ذلِكَ الْيَوْمُ ظَلاَمًا. لاَ يَعْتَنِ بِهِ اللهُ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ يُشْرِقْ عَلَيْهِ نَهَارٌ... لِيَلْعَنْهُ لاَعِنُو الْيَوْمِ... لِمَ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّحِمِ؟ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ، لِمَ لَمْ أُسْلِمِ الرُّوحَ؟ " (أي٣: ١-١٢).

إن أيوب، دوناً عن كل الناس، رجل الله، يصل إلى طريق مسدود.

كان هناك أيضاً آخرون قد اختبروا نفس هذه المشاعر وأخبروا العالم عنها. يكتب بولس قائلاً.. " وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا." أو كما نقرأ في الـــ NLT .. " كأني ولدت في الوقت الخطأ" (١كو١٥:٨). اقرأ مزامير معينة لداود وسوف تسمع رجلاً يائساً ومكتئباً يتكلم.

ويلعن إرميا اليوم الذي ولد فيه: "مَلْعُونٌ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ! الْيَوْمُ الَّذِي وَلَدَتْنِي فِيهِ أُمِّي لاَ يَكُنْ مُبَارَكًا! مَلْعُونٌ الإِنْسَانُ الَّذِي بَشَّرَ أَبِي قَائِلاً: «قَدْ وُلِدَ لَكَ ابْنٌ» مُفَرِّحًا إِيَّاهُ فَرَحًا." (إر ٢٠: ١٤-١٥)

في (١مل١٩) ــ بعد واحدة من أروع المعجزات في تاريخ إسرائيل ــ يجلس تحت الرتمة، مملوءاً بالمخاوف والشكوك، طالباً الموت لنفسه.

سوف تأتي أيام سوف تشعر أنت فيها أيضاً بأن ميلادك أنت أيضاً كان ميلاداً في غير أوانه، وأنك ولدت في التوقيت الخطأ. ليس ذلك بغريب. إن ذلك لا يجلك أضعف من جميع المؤمنين.

عندما تختبر يوماً كهذا، عليك أن تتذكر أنه لا ينبغي أن تبقى مجمداً في هذا الوضع. تذكر أنه سوف يكون هناك نور أمامك، وربما المزيد من الفرح لك أكثر من فرح أولئك الذين لا يعرفون سوى النور والبهجة.

هناك العديد من الأشياء التي يمكن أن تجعلك تشعر أن ميلادك كان في غير وقته. في حالة أيوب حدث ذلك بسبب الكثير من الكوارث التي حلت به في حياته. وفي حالة إرميا حدث ذلك بسبب كل الرسائل السلبية التي اضطر أن يقدمها لشعبه ولأن شعبه لم يرد الاستماع إلى الله. وشعر بولس هكذا عندما أدرك عدم أهميته.

إن الشخص الذي يصاب بالشلل الفجائي بسبب حادثة، والشخص الذي يتعرض للهجر من قِبل شريك حياته أو من يخطف الموت منه طفلاً عزيزاً، كل هؤلاء سوف يتعرضون حتماً للصدمة. إن الألم النفسي منذ طفولتك ــ وتعرضك للاحتيال، والشعور بالرفض، والإذلال، والاعتداء، ومركب النقص بسبب عدم توفر الحب الايجابي والاعتراف بالقدر ــ يمكن أن يتسبب في ألم لا يحتمل، لدرجة أنك في النهاية تفقد كل رجاء. وهناك أسباب أخرى تشمل أنواعاً مختلفة من المعاناة، وعدم وجود المال، والأحوال المعيشية الصعبة، والمرض المزمن أو المؤقت، والألم الدائم.

يبدأ آخرون في الشعور بأن إخوتهم المؤمنين أكثر أهمية منهم وأن الله يفضل هؤلاء المؤمنين، وأنهم يعيشون دائماً في ظل شخص آخر يعمل وأنهم لا ينالون التقدير أو لا يحصلون على أي اعتراف بمكانتهم. بالإضافة لذلك يوجد أولئك الذين لا يفعلون ما خلقهم الله لأجله، أو لا يفعلون الأشياء التي يعتبرونها مثيرة.

هجمات الشيطان والاكتئاب يمكن أيضاً أن تؤدي إلى الشعور

بالكآبة والعجز. إن رثاء الذات المستمر والإحساس بالإساءة يعدان تربة صالحة لمشاعر السلبية واليأس.

في بعض الأحيان نصبح مدركين للإحساس الكامل بعدم الكفاءة، ونعتقد على حين غرة أن عملنا غير هام، وأن وجودنا ليس له أهمية، وأنه يمكن الاستغناء عنا، وأن وجودنا عابر وسريع الزوال، وأننا ضعفاء وأنه لا أثر لوجودنا في الحياة. يصدمنا ذلك الشعور فجأة. إن الإدراك العميق والغامر لخطيتنا يمكن أن يكون هو السبب، أو كثرة الإخفاقات، وفي بعض الأحيان فقدان وظيفتنا، وعدم تحقيق النجاح في وظيفتنا، وعدم تحقيق الأحلام وأن المشروعات التي نتبناها لا تحقق شيئاً من النجاح في نهاية المطاف.

إن خليطاً من كل تلك الأشياء يمكن أن يجعلك تفقد هويتك. وفي النهاية لا تعرف من أنت وما الذي تفعله هنا. ماذا تفعل عندما يكون هذا شعورك؟ لا تنكر هذا الإحساس. وفي كل مرة يحدث ذلك اسأل نفسك: ما الذي يجعلني أشعر بذلك؟ بداية حل المشكلة أن تعترف بها وتصوغها في كلمات.

من المهم أن تعرف أن الله يستجيب ويساعد مختلف الناس بطرق مختلفة. يجد البعض العون في فترة واحدة يتصادف أن يقرأها في كتاب ما. ويحتاج آخرون إلى نصائح مكثفة. ومع ذلك فهناك آخرون يكونون بحاجة إلى مساعدة إضافية على شكل علاج. أظهر الله لأيوب لوياثان، شيئاً أشبه ما يكون بالتمساح الضخم، وسأله عدة أسئلة متعلقة بهذا المخلوق انتزعت كل شكوك أيوب. إن الله لم يجب أيوب، ولكنه سأله فقط عدة أسئلة. أظهر يسوع أيضاً لبطرس أرق الأحاسيس في قلبه بأن سأله عدداً من الأسئلة وقد أعطى ذلك لبطرس الاستنارة لمواصلة السير في طريقه.

لقد تعلمت درساً هاماً أنا نفسي على مر السنين وذلك الدرس هو: في الأوقات العصيبة، أذهب إلى الله أولاً. إن رد الفعل الطبيعي أن نبدأ في أخذ بعض الفيتامينات، وأن نأخذ إجازة لمدة شهر أو نلجأ للأصدقاء، والناصحين، وعلماء النفس والأطباء النفسيين. لقد تعلمت أن أذهب وأجلس مع الآب أولاً، وأن أُسكّن نفسي أمامه، وأن أهدأ وألا أتحدث أو أسأل أسئلة ــ أن أجلس فقط وأن أركز عليه، وأن انتظر حتى يريني الطريق من هناك. قد يكون الطريق الذي أمامي زيارة للطبيب، والذهاب إلى طبيب نفسي، وأخذ إجازة لمدة شهر ــ أو عدم الحصول على إجازة. لقد تعلمت أن أنتظر الرب. انتظر. إنه يعرف مشكلتك. وفي النهاية سوف يهدأ قلبك. ابدأ بعبادته وشكره. وفيما بعد يمكنك أن تبدأ في أن تسأل الله عن عدة أشياء، شيئاً فشيئاً. ولكن، في نفس الوقت، اعلم أنه يعرف احتياجاتك. يجد الكثيرون أنه من الفائدة لهم أن يدونوا مشاعرهم وأفكارهم في مذكرات شخصية. إن ذلك كثيراً ما يجلب الوضوح ويساعدهم للتنفيس عن خلجاتهم

خلال هذه الأوقات علينا أن نتذكر ألا نتوقع "الاختبارات"، والأحلام، والرؤى، وظهور الملائكة، ونبياً أو صوتاً مسموعاً. من الطبيعي أن يستخدم الله بعضاً من هذه، أو أي شيء، أو

أي شخص يتكلم إليك، ولكن ليس ذلك ما يجب أن تتوقعه. الله لن يصمت. إنه سوف يتكلم وأنت يجب أن تصغي وتطيع. ربما هو يأمرك لكي تطلب العون. حينئذ افعل ذلك ولكن حينئذ فقط. إن القرار المندفع لكي تهرول إلى الناس طلباً للمساعدة، يمكن أن يسلبك من قدر كبير من البركة وعملية التطهير الهامة.

بالنسبة لأبناء الرب فإن الإجابة يمكن أن توجد دائماً على المستوى الأعمق، في علاقتهم مع يسوع. لقد أتى يسوع في ملء الزمان. جاء في الوقت المناسب ــ وذلك يبطل عدم ملاءمة وقت ميلادك. عندما تقام إلى حياة جديدة مع المسيح (٢بط١: ٢-٤)، فإن العتيق يفسح الطريق للجديد، فإن الله يجعل كل شيء جديداً. وأنت كمؤمن فأنت الآن مستتر مع المسيح في الله (كو٣: ١-٣). في المسيح أنت تشارك في ملئه وبره. إنه الإجابة على مشاعر الخطية التي تستحوذ عليك، والشعور بضآلتك وسرعة زوالك. هو الحياة. هو الحياة الأبدية. إنه يعرف أن هذه الحياة ما هي إلا وقتية، وأن عهداً جديداً، ألا وهو سماء الله الآب سوف يأتي. إنه الشخص الذي يعطي الإنقاذ دائماً: وكمعين لنا في وقت القلق فإنه قد جرب كثيراً. إنه سوف يجيب عندما نصلي في اسمه. عندما تشعر بالضعف، فهو الصخرة، والملجأ، والبرج الحصين، والملاذ الآمن. إن نعمته كافية. عندما تواجه الهجمات الشيطانية، والتجربة، فإن يسوع هو الوحيد الذي كسر قوة الشيطان وهو يحملك معه في موكب نصرته.

عندما تسمع صوت الله أخيراً، وعندما يهمس برفق في أذنك أو حتى عندما يجعل واحداً فقط من مواعيد كتابه المقدس حياً فيك، فإن انفعالات رتمتك تزول ويشرق النور بداخلك بعد حلول الظلام.

إن قوة الإنجيل تكمن دائماً في الانكسار، وفي الضعف، وفي عدم الجاذبية، وعدم القوة، وفي الأشياء التي يعتبرها العالم جهالة. تلك هي الطريقة التي انتقل بها الإنجيل من قوة إلى قوة عبر العصور وحقق الانتصار واحداً وراء الآخر، ونجاحاً وراء نجاح.

الطريق الآخر هو طريق الرحمة. فلترحم نفسك. إن الله يفعل ذلك.

الفصل الرابع والعشرون
كثيرون سوف يرجعون إلى الوراء

" فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، إِذْ سَمِعُوا:«إِنَّ هذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟» مِنْ هذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ." (يو٦: ٦٠، ٦٦).

في إنجيل (يوحنا ٦) يتحدث يسوع لتلاميذه الاثنى عشر ولكثيرين غيرهم ممن تبعوه. وبينما كان يفسر الجانب الروحي للإنجيل لهم، رجع كثيرون إلى الوراء لأنهم لم يكونوا مستعدين أن يتبعوه أكثر من ذلك. إنهم لم يريدوا أن يرتبطوا به بعد ذلك. يقول الكتاب إنهم رجعوا إلى الحياة التي كانوا يحيونها من قبل.

نفس الشيء يحدث اليوم: كثيرون يتبعونه، ولكنهم يتركون خياراتهم مفتوحة لئلا يحدث شيء ما. وعندما يصبح هذا الخيار كثير المطالب، فإنهم يرجعون. سوف يرجع الناس إلى الوراء حتى اليوم الأخير. نحن نقرأ عن ذلك في سفر الرؤيا. سوف يأتي وقت فيه يرجع الناس إلى الوراء أكثر من أي وقت مضى من قبل وسوف يفضون ارتباطهم بيسوع، يخبرنا الكتاب المقدس هذا.

لماذا يرجع الناس إلى الوراء؟ كان عذر التلاميذ الذين رجعوا إلى الوراء هو أن "كلامه صعب من يقدر أن يسمعه (يطيعه)؟". لقد شعروا بالاستياء.

لماذا؟ لأنه قال إنهم يجب أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه. كان هذا إشارة لموته، وللصليب، وللموت القاسي. لم يكن ذلك مقبولاً لتلاميذه، لأنه كان يعني أنه كان هناك صليب ينتظرهم أيضاً، وهم لم يكونوا يريدون المشاركة في طريق الصليب، مسيرة العار. كانوا يريدون الخبز المعتاد والمعجزات، ولكنهم لم يريدوا أن يأكلوا جسده. قال يسوع أيضاً إن الحياة الأبدية لن تعطى للجميع: إن الآب يحب أن يجتذب هؤلاء أولاً. لم يحب التلاميذ ذلك أيضاً، لأنه كان يعني أنهم سوف لا يكونون فيما بعد مالكين لزمام حياتهم وخلاصهم.

في العهد القديم كان الناس في الأساس، "يجبرون" الله على مساعدتهم، لأنهم برغم كل شيء، كانوا يأتون بالذبائح وكانوا يعتقدون أنه بسبب ذلك، كان على الله أن يساعدهم.

ولكن يسوع حرمهم من الفرصة لتدبير خلاصهم. إن ذلك قد جعلهم عاجزين. إنهم لم يريدوا أن يكونوا تحت رحمة الله. ولهذا السبب استاءوا ورفضوا أن يستمعوا إليه فيما بعد.

في (لو٤: ٢٥-٢٧) نقرأ كيف أن اليهود غضبوا من يسوع واستاءوا منه. قارن ما يحدث هنا بالأحداث الموصوفة في إنجيل يوحنا، الأصحاح السادس. يسوع يشير إلى إيليا الذي اعتنت به امرأة غير إسرائيلية، ونعمان السرياني الذي شُفي من البرص. غضبت الجماهير

عندما تحدث يسوع إليهم عن ذلك: الله كان إلهاً لهم، وهم وحدهم لهم "الحق" فيه. كيف يعطي يسوع إلههم إلى الأمم؟

كانت مطالب يسوع في تناقض مباشر مع تقاليد آبائهم ومعتقداتهم الخاصة. إنهم ببساطة لم يفهموا البعد الروحي للإنجيل. ولهذا السبب انصرفوا بعيداً عنه. لم يريدوا أن يسألوا عما كان يعنيه ذلك. لم يكونوا يائسين. لم يكونوا يبحثون حقاً عن النور والحق. إنهم لم يكونوا قلقين بشأن شيء لم يكونوا يعرفونه بعد.

لم يكن الله إلههم الوحيد. كانت هناك أصنام في قلوبهم. كانوا يريدون ديانة من صنع البشر. في (١صم٨) نقرأ كيف أن بني إسرائيل جاءوا إلى صموئيل وقالوا له: "اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب".

إن الذين يهربون من الله يطلبون أن تعطى لهم ديانة خاصة وصنم خاص ليعبدونه كما يريدون. إنهم يريدون أن يعبدوا الله بسبب المزايا التي يحصلون عليها من وراء هذه العبادة، ولكنهم لا يريدون أن يكونوا مختلفين عن العالم. إنهم يريدون أن يتمسكوا بكل شيء يمتلكونه والله في نفس الوقت. ولكن أن يتركوا كل شيء لكي يعبدوا الله؟ إنه كلام صعب.

لماذا يكره الناس يسوع، ولماذا يغضبون منه؟ لأنهم أشرار وأعمالهم تأتي إلى النور عندما يكونون قريبين من يسوع، ولأن يسوع يطلب منهم القيام بأشياء معينة والسبب الحقيقي الذي أتى بهم إليه كان الحصول على مزايا منه، ولخدمة أغراضهم الخاصة.

لاحظ أن يسوع لا يجري أبداً وراء الناس. إنه لا يغير من مطالباته أو يتنازل عن مبادئه، لأجل أي شخص، ولأجلك أنت أيضاً. إذا لم تكن قد وصلت أبداً إلى النقطة التي تقول فيها لنفسك: إني أتساءل إذا كنت على استعداد لأن أمشي في هذا الطريق، فأنت في الواقع لم تسمع حقاً ما يقوله يسوع.

هل تعرف أن يسوع يمكن أن يرى قلبك؟ إنه يعرف متى تكون لك صورة التقوى، ومظهر الصلاح، وبمعنى آخر متى تتصرف كما لو كنت متديناً، ولكنك تنكر قوة الديانة. (٢تي٣:٥)

أناس كثيرون يجلسون في كنائسنا اليوم قد نأوا بأنفسهم بعيداً عن يسوع منذ مدة طويلة. لماذا يذهبون إلى الكنيسة؟ ما الذي يجذبك إلى يسوع؟ معجزاته؟ قدرته على إعطائك الخبز اليومي؟ قدرته على جعل الأشياء تمضي على ما يرام؟

هل أنت على استعداد أن تشرب دمه، وتأكل جسده؟ هل أنت على استعداد أن تشرب من الكأس التي شرب منها؟ هل أنت على استعداد أن تصلب معه، لكي تصبح واحداً معه؟ ليس هناك طريقة أخرى لكي تصبح جزءاً منه. فهل سوف تستاء أنت أيضاً؟

رسالة الكتاب المقدس واضحة: يسوع وحده يكفي! إن يسوع ويسوع وحده يكفي. لا شيء ولا أحد غيره. هل ذلك ينطبق علينا أيضاً؟ بل وأكثر من ذلك: هل هذه رسالتنا إلى العالم؟ هل يستطيع العالم أن يرى أن يسوع كافٍ لنا؟ أم ما الذي يرونه؟

إن أولئك الذين رجعوا إلى الوراء رجعوا إلى الحياة التي كانوا يحيونها من قبل، ككلب عاد إلى قَيئِه. هذا ما يعلمنا إياه (٢بط٢: ٢٠-٢٢). نعم، هناك أناس بدأوا يحبون العالم ثانية وعادوا إليه. اتبع يهوذا أيضاً يسوع لفائدته الخاصة، وعندما أحس أنه لا يوجد شيء آخر يكسبه، رجع إلى الوراء.

إن إتباع الرب يتطلب منك كل شيء. كل شيء. إنه يتطلب قلبك. إنه يتطلب منك أن تسلك الطريق الضيق، والطريق الضيق أضيق مما نريده أن يكون.

لمن ينتمي قلبك؟ هل يمتلك يسوع قلبك؟ هل تتبع يسوع؟ أم تتبعه من بعيد؟ هل تتقدم إلى الأمام مع يسوع أم سوف ترجع إلى الوراء مع أولئك الذين لا يريدون أن يمشوا معه ثانية؟ هل تريد أن تعود إلى الوراء إلى حياتك الماضية؟ لقد سأل يسوع تلاميذه الاثنى عشر: هل تريدون أن تمضوا أنتم أيضاً؟ وبمعنى آخر، هل سوف تختارون أن تذهبوا مع الأغلبية أم أن تكونوا غير شعبيين وتمشوا معي؟

هل سترجع إلى الوراء تاركاً هذا الطريق الآخر، أم هل ستواصل المسيرة مع يسوع؟

الفصل الخامس والعشرون
متى أريد أن أحب ؟

" وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ ونَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا." (رو٥:٨)
"لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِه." (يو١٥:١٣)
" أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا." (أف٥:٢٥).

وضع يسوع حياته لأجلنا ونحن بعد خطاة. لقد أحبنا أولاً، قبل أن نعرفه أو نحبه. إن الحب الذي يكنه الله لأجلنا، يطلب منا أن نضع حياتنا لأجله. أعلن الآب عن حبه لنا عندما وهب ابنه ليموت بديلاً عنا. هذا هو الحب الحقيقي. إن محبة الله لنا قد كلفته حياة ابنه. إذا أردنا أن نحب بمثل هذا الحب، فإن ذلك سوف يكلفنا "حياتنا". هذا هو ما تكلفه يسوع.

جميعنا لدينا حب كامن في قلوبنا، ولدينا القدرة على الحب. ولكن ذلك حب طبيعي وهو ليس محصناً ضد الأنانية. إن الأنانية دائماً، في وقت أو آخر، تنتصر على الحب الطبيعي. إن الحب الإلهي يزدهر في جو من التواضع والانكسار.

ولكن لكل مشكلة بشرية، أوجد الله حلاً لها. إن رده على الحب الطبيعي المنقوص للجنس البشري نوع جديد من الحب: الحب الإلهي، المحبة الأخوية. إنه ليس حباً بشرياً وهو ليس مؤسساً على أحوال بشرية، وأفضليات أو على انحياز ما. هذا النوع من الحب أقوى من أي شكل من أشكال الذات وكل نوع من أنواع المقاومة، بغض النظر عما إذا كانت هذه المقاومة نابعة من الكيان الإنساني أو نابعة حتى من الشيطان نفسه. هذا هو الحب الذي يمكننا من أن نحب أعداءنا أيضاً. إنه حب غير قابل للفناء وهو غير مشروط. إنه حب دائم.

كيف يكتسب الإنسان الطبيعي هذا الحب الإلهي الجديد؟ فقط عن طريق الميلاد الثاني. عندما نولد ثانية من الله، فإنه يسكب هذا النوع من الحب في قلوبنا بشكل خارق للعادة، بالروح القدس (رو٥:٥). نحن لا يمكن أن نولده في ذواتنا. إنه حب يأتي بقدر كبير من الحرية: أنا لست مضطراً أن أنتج هذا الحب ذاتياً، إنه مُعطى لي. ولكن هذا الحب يأتي معه بالمسئولية: لأني آخذ هذا الحب مجاناً، فليس لي عذر إن لم يكن واضحاً في حياتي. إني كمؤمن لست مديناً لأحد بشيء، سوى أن أحب الآخرين، كل البشر نظيري، جميعهم (رو١٣:٨). مجاناً أخذت ومجاناً يجب أن أعطي.

يعلمنا الكتاب المقدس أن: الله محبة، عندما يسكب الله الآب، بالروح القدس، المحبة الأخوية في قلوبنا، فإنه يسكب نفسه في قلوبنا. إنه غير قابل للزوال ولا يقهر، ومحبة الله غير مشروطة وغير محدودة. إن محبة الله لا يمكن فهمها، إنها غير "منطقية". إنها تحتوي على عنصر لا يمكننا فهمه. توجد رحمة في محبة الله، لأن محبة الله راسخة في الصليب. إن

الروح القدس يعلن عن الله في قلوبنا كأبا الآب، التي تعني آب، وهي كلمة تحمل معنى الحميمية. إنها تصور عطف الله ورعايته.

ترسي محبة الله قاعدة: " هذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ." (يو١٥:١٢) أنظر إلى الكلمة "كما" في هذه الجملة. هذه هي القاعدة التي أرساها الله. لقد أرانا الله قاعدة محبته في يسوع. فكر في ذلك: الله فيَّ وأنا في الله وبسبب ذلك، أصبح غير قابل للهزيمة، لأن الله الذي لا يقهر يحيا فيَّ.. ولذا، ليس هناك مبرر للهزيمة.

المحبة الأخوية، والمحبة الإلهية، دائماً تعمل، وهي تعمل في كل مكان. إنها تعمل في كل أنواع العلاقات: في الزيجات، بين اليهود والعرب، بين البيض والسود، محبة أعدائك، بين المسيحيين من مختلف الطوائف، نعم بغض النظر عن الشخصية والخلفية. وهي مؤثرة بالمثل في جميع البشر. الظروف لا يمكن أن تغيرها، وهي لا تصبح أقل إذا تغير الشخص الذي تنسكب المحبة تجاهه. إنها تؤدي دورها جيداً بالتساوي بين الرجال والنساء والأطفال. إن اللغة والثقافة أو التحيز العرقي لا يحدها.

في كثير من الأحيان يتم الخلط بين المحبة والعاطفة، والإحساس الجيد، واللحظة الرومانسية. ولكن محبة الله، هي اختيار في المقام الأول، وليست عاطفة. عندما يعيش شخصين خاطئين معاً لمدة طويلة بما فيه الكفاية، فإنهما يصلان إلى نقطة لا يعد فيها حب كل منهما للآخر شيئاً طبيعياً، إنه يصبح خياراً. لدينا الخيار أن نطيع وصية الله بأن نحب. وعندما يأمرنا الله بأن نحب، فإنه يقدم لنا المحبة أيضاً ــ إنها ليست شيئاً يجب أن نولده في مكان ما بداخل أنفسنا.

أن تحب حباً غير مشروط، فأنت بحاجة في معظم الأحيان أن تتخلص من التحامل في قلبك، مراراً وتكراراً. إن الحب غير المشروط يتوقع منك أن تموت عن خياراتك، واحتياجاتك، ونواحي بغضك، وأوجه سخطك، وتظلماتك، وأن تختار قاصداً أن تحب الآخرين وأن تمارس الحب للآخرين، وأن تضع حبك موضع التنفيذ.

إن محبة الآخرين تعني محبتهم على الرغم مما يفعلون. هذا ما فعلــه الله. فقد أرسل ابنه لك على الرغــم من خطاياك . إن
محبة الله مبنية على الصفح. إن المحبة تتضمن المغفرة دائماً.

إنها ليست محبة بنسبة ٥٠ %. المحبة لا تقول أبداً: إذا قمت بدورك، سوف أقوم بدوري. لقد أحبنا الله أولاً. الحب غير المشروط يحب أولاً. إنه ليس استجابة لمحبة واحترام أو لموقف شخص آخر. إنه ليس مبنياً على صفات الشخص الآخر ولا على الفوائد التي تجنيها من العلاقة معه. إن الحب غير المشروط يريدك أن تتخلص، بصفة أساسية، من عقبات الأفكار

والانفعالات والانطباعات السلبية والتحيز. وهو لا يصر حتى على تقديم الاعتذار لتفعيل المحبة.

قرأنا في (كو٣:١٤): " وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ." إن بولس يدعوها الطريق الأكثر روعة (١كو١٣:١).

الصليب أعمق تعبير عن الحب. إنه المكان الذي قدم فيه الآب ابنه فدية لأجلنا. ليس هناك حب أعظم من أن تضع حياتك لأجل أحبائك. وقد فعل يسوع ذلك على الصليب. إن إنجيل يسوع المسيح يتم تعريفه بكلمة محبة. إن الحق، والبر والقداسة أشياء هامة، ولكن بدون المحبة لا يمكن لأي منها أن يحررنا.

لأننا بشر، ولأننا منهارون، ولأنه توجد خطية، وبسبب الكراهية والعنف، ولأن إثم العالم يسبب الثورة في قلوبنا، فنحن بحاجة أن نتعلم أننا يجب أن نحب أولئك الذين يكرهوننا والآخرين، الذين يلحقون بنا الأذى ويسيئون إلينا. المحبة وحدها تقهر العالم، والخطية والكراهية، والعنف، والمرارة، والإثم.

في النهاية، ليس من المهم أن نعرف مَن كان على صواب أو ما هو الحق، ولكن المهم أن نعرف إن كنا نحب أم لا. المحبة عملية: إنها تغفر مراراً وتكراراً، إلى ٧٧ مرة. إنها تقدم يد العون، والمواساة، والتشجيع، وهي متاحة وهي لا تدين. المحبة الإلهية ينتج عنها الأفعال دائماً.

تبدأ المحبة بالكلمات، ولكنها تُبرهَن بالأفعال. إن أفعال المحبة لا تحتاج دائماً إلى الكلمات، ولكن كلمات المحبة تحتاج دائماً إلى الأفعال. ولهذا أكد الله محبته بالكلمات وبعمل الصليب.

المحبة تأتي بالرجاء إلى العالم ــ وليست التكنولوجيا، والعلم، والسياسة، و "الحق"، والنجاح، والإنجازات أو "القانون والنظام". المحبة مثل إضاءة مصباح في الظلام. إنها تطرد الظلام، وتعطي الرجاء، وهي تقوي وتوجد طريقاً جديداً في المواقف المستحيلة.

محبة الله غير مشروطة، وعلى الرغم من كذا وكذا، ولأجل الإنسان. اختيار هذا النوع من المحبة وممارستها عملياً، هو الطريق الآخر.

الفصل السادس والعشرون
أنا لست ...

" فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ." (رو١٢: ١-٢).

" وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ، إِذْ لَنَا هذِهِ الْخِدْمَةُ كَمَا رُحِمْنَا لاَ نَفْشَلُ." (٢كو٣:١٨ ــ ٤:١).

" يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ." (يو٣:٣٠).

يقول يسوع مراراً وتكراراً: أنا... أنا هو الماء الحي. أنا خبز الحياة، أنا هو النور، أنا هو الطريق، والحق، والحياة، أنا هو الراعي الصالح، أنا مصدر كل ثبات وتشجيع. أنا الحكمة، أنا الحب. أنا الكائن، والذي كان، والذي يأتي.

قضى موسى ٤٠ سنة يرعى الغنم في الصحراء، حتى لم يتبق شيء من أحلامه وخططه. ولكن يوماً ما رأى عُلَّيقة مشتعلة وتحدث الله إليه. سأل موسى الله: من أنت؟ أجاب الله: أنا... تصور موسى وهو ينحني إلى الأمام ليسمع الله بصورة أفضل. وكل ما يقوله الله هو: "أهيه الذي أهيه. ثم تأتي وصية الله: أخرج شعبي من مصر. وماذا كان رد موسى: لا أقدر. وإذا ترجمناها، فهي تعني إن موسى يقول: أنا لست. وكأن موسى يقول: أنا لست لائقاً لأقود شعبك من مصر. أنا لست قادراً على الحديث بشكل جيد. أنا لست قادراً على مواجهة الجيش المصري. يارب، بعد ٤٠ سنة في البرية أنا لست قادراً على عمل أي شيء، من فضلك أرسل شخصاً آخر.

في اللحظة التي يعلن فيها الله نفسه لنا بالقول: "أنا هو" يكون رد فعلنا الفوري هو: "أنا لست" كان ذلك هو اعتراف يوحنا المعمدان. جاء القادة الدينيون إلى يوحنا المعمدان وسألوه: "من أنت؟" هل أنت النبي؟ هل أنت إيليا؟" أجابهم بالقول: "أنا لست إيليا. أنا لست النبي، أنا لست المسيا". ثم نقرأ كيف أن يوحنا المعمدان رأى يسوع ماراً به في اليوم التالي فقال: "هذا هو حمل الله" أنا لست... هو... وفي مناسبة أخرى قال يوحنا المعمدان: "الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه. هو (الذي قال أنا هو، الذي يقدر) سيعمدكم بالروح القدس ونار"

عندما وصل يعقوب إلى مخاضة يبوق وسمع أن أخاه عيسو

كان في الطريق إليه، صلى إلى الرب وقال: "صغير أنا عن ألطافك". فجأة وصل هذا المحتال الكبير إلى النقطة التي يدرك فيها أنه عاجز تماماً، وأنه لا شيء، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لكي يساعد نفسه أو يدافع عن نفسه وأنه بحاجة الآن إلى شخص ما، شخص ما يكون قادراً على تقديم العون له.

يصرخ بولس في (غل٢:٢٠) "... أَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ." ما يقوله بالفعل هو: "لست أنا بعد، ولكن أهيه فيَّ الآن، والحياة التي أحياها الآن، أحياها بقوة أهيه".

تبدأ حياة جديدة فينا حين نصل إلى النقطة التي نقول فيها: "أنا لست... لست أستطيع شيئاً، لا أستطيع أن أفعل ذلك، ولا أعرف كيف، وليست لديَّ خطة. الخطوة التالية هي أن نعرف أنه هو. أنا لست، ولكنه هو. كم مرة تقول، ليس هناك من يساعدني. لا أعرف ما أفعل. إني وحيد. لا أستطيع المضي قدماً. أريد مرساة. ليس لديَّ خطة. من سيساعدني؟ لا شيء حقيقي. موقفي متعذر. من سيفعل ذلك؟ من أين ستأتي الأموال؟ لا أحد يستمع لي. لا أحد يهتم. مَن الذي يمكنني أن أثق فيه؟ رؤيتي تفوق إمكانياتي.ألا يمسك بي أحد؟ إني متعب جداً. أنا لا أعرف ما يتوقعه الله مني. أنا لا أعرف كيف أفعل ذلك. لقد وصلت إلى طريق مسدود.

لأن الله هو، فهو يقدر، ولأني أنا لست، فأنا لا أقدر. إن إجابة الله على كل أسئلتنا وألمنا بسيط جداً: أنا هو. ولهذا السبب يجب أن نعترف ببساطة: لست قادراً على عمل ذلك، ولكن كل شيء مستطاع لديه. أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك، ولكنه يقدر. أنا لا أعرف كيف ولكنه يعرف. ليست لديَّ خطة، ولكن لديه هو. أنا لست الحل وليس لديَّ حل، ولكنه هو الحل ولديه الحل. لا أستطيع مساعدة نفسي، ولكنه الشخص الذي يستطيع أن يساعدني.

ألا نريد جميعاً أن نكون مشهورين؟ ومع ذلك، ما الذي نقدمه للعالم لكي يعرف من أنا؟ أنا لست الجواب وليس لديَّ جواب لاحتياجات العالم. عملنا أن نقول ما قاله يوحنا المعمدان: "هوذا حمل الله" متى نصل إلى النقطة التي نختار فيها أن نكون غير مهمين، وأن تكون خدمتنا في الظل، الخدمة التي يزيد هو فيها ونحن ننقص، الخدمة التي نبتعد فيها عن الأضواء حيث يكون يسوع في الوسط. هل نحن على استعداد أن نصل إلى المرحلة التي يكون فيها الصِغر أفضل من الكِبر، حيث لا نزداد قوة، بل نكون أكثر ضعفاً؟

ولكننا مغرورون وكبرياؤنا وكرامتنا تجعلان من الصعب علينا أن نصل إلى النقطة التي نكون فيها على استعداد لنقول: أنا لست. إن الصليب وحده يجعل ذلك ممكناً. هناك فوق الصليب أموت عن ذاتي. هناك أصل إلى نهاية ذاتي وقدراتي. إن نقاط ضعفي هي نقاط قوتي، لأنه حينما أنا ضعيف ولا أساوي شيئاً، فإن قوة الله يمكن أن تعمل فيَّ بلا إعاقة. هناك قوة في الضعف: إن قوة الله تعمل حين لا تكون القوة البشرية عائقاً في الطريق. فقط عندما أنقص، فإنه هو يزيد.

مشكلتنا هي قوتنا! ومشكلتنا تظهر عندما نقول: "أنا... أنا أستطيع... أين نضع ثقتنا؟ في مواهبنا، وإمكانياتنا، ومعرفتنا، وإنجازاتنا، وعلمنا، ومن نعرفهم؟ إن قوتنا البشرية دائماً تقف عائقاً في طريق عمل الله. " حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ." (٢كو١٢:١٠). قوة الله تكمل في الضعف، لأن الله يختار الضعفاء ليخزي بهم الأقوياء (١كو١: ٢٧-٣٠) لقد تخلى يسوع عن كل شيء وأخذ طبيعة عبد. لقد أضعف نفسه إلى المنتهى. لقد كان يرقد عاجزاً مقمطاً ومضجعاً في مذود. في مزمور٢٢ نقرأ أنه قيل عنه: أنا دودة لا إنسان. لقد كانت أضعف لحظات يسوع وأكثرها عجزاً تلك التي كانت على الصليب.

لا أحد يريد أن يكون ضعيفاً. لا أحد يريد أن يكون بلا قوة، عاجزاً في هذا العالم حيث يتم فيه استغلال الضعفاء وحيث يطأهم الناس تحت الأقدام. إن القاعدة التي يتبناها العالم أن أكون قوياً، وأن أكون ذا بطش، وأن يكون لديَّ المال لأشتري ما أريد في الوقت الذي أريد، وأن أكون متحكماً، وأن أكون أكثر قوة ونفوذاً. إن محك العالم هو النجاح. العالم يعتبر الحب، والصفح، والهدوء ضعفاً. ومع ذلك فإن الكتاب المقدس يقول إن الودعاء يرثون الأرض. إنجيلنا هو إنجيل الاتضاع، والانكسار والصفح، وذلك في تناقض صارخ مع إنزال العقاب، والانتقام، والقوة والسلطة.

فكر في ذلك: ما الفارق الذي تحدثه قوتنا البشرية أو ما هي الإضافة التي تضيفها قوتنا البشرية إلى القدرة الكلية لله؟ هل الله يحتاج حقاً لقوتنا؟

عندما نريد أن نقوم بعمل الأشياء بأنفسنا، فإن ذلك يكون كالسباحة إلى الوراء إلى الشاطئ ضد التيار. إنها تنهك قوانا. إذا أردت أن تخلص، يجب أن تكف عن الصراع وتسمح للتيار أن يأخذك ــ هذه هي فرصتك الوحيدة للبقاء على قيد الحياة.

هذه فكرة بسيطة وكل من يريد أن يفهمها، سوف يفعل ذلك. الله كل شيء... أنا لست شيئاً. أن تعيش بقوة الله الذي قال أنا أهيه الذي أهيه هو الطريق الآخر.

الفصل السابع والعشرون
ما هو الثمن الذي عليك أن تدفعه؟

الخلاص الذي أتي به يسوع كلفه حياته. لقد مات على صليب اللعنة، خارج أبواب المدينة، حيث كان البرص، والنجسون، والمجرمون والمنبوذون يعيشون ويموتون. لقد دفع الثمن بالكامل.

ما الثمن الذي يتحتم عليك أن تدفعه لأجل الإنجيل؟ ما الذي عليك أن تدفعه لاتباع يسوع المسيح؟ ما الذي تكلفك إياه مسيحيتك؟ ربما تقول: "ولكن هل يجب أن تكلفني شيئاً؟ ألم أتسلمها مجاناً؟ هل مازال عليَّ شيء لأدفعه؟" الإجابة إن قبولها لا يكلف شيئاً. لا شيء أنت مدين به لأجل ما عمله المسيح على الصليب لأجلك. ولكن عندما تبدأ في المعيشة بحسب الإنجيل، يتحتم عليك أن تدفع الثمن. الثمن الذي تدفعه لأجل الإنجيل ليس لأجل قبولك له، بل لأجل انتشاره، لأجل الممارسة العملية لتعاليمه.

قال الأمريكي مارتن لوثر كنج: "إذا لم يكتشف المرء شيئاً يموت لأجله، فهو لا يستحق الحياة التي يحياها". عندما علق المصلح مارتن لوثر مبادئه الـــ ٩٥ على باب الكنيسة في ويتنبرج، قال: "هنا أقف، لا أستطيع أن أفعل غير ذلك". كان ما يعنيه هو: "طالما أنا على قيد الحياة، سوف أعيش مدافعاً عنها، حتى وإن كان ذلك يعني أنه يتحتم علىَّ أن أموت لأجلها"

إذا أردت أن تشن حرباً، عليك أولاً بحساب النفقة. هل أنت على استعداد لكي تموت لأجل قضيتك؟ إذا لم تكن كذلك، لا يجب أن تبدأ في شن الحرب. يكتب ديتريتش بونهوفر في كتابه "ثمن التلمذة": "عندما يدعو المسيح إنساناً، فهو يأمره بأن يأتي ويموت".

عند اعترافنا بالإيمان، فالكلمات التي نقولها ونرددها، ليست بالضرورة ما نؤمن به. كلا، الأشياء التي تهمنا حقاً هي تلك التي نفكر فيها على الدوام، وهي تلك التي ننفق عليها مالنا والأشياء التي نكون على استعداد لنموت لأجلها ــ هذا ما نؤمن به حقاً.

إن إنجيل يسوع المسيح يثير دائماً روح المقاومة. دائماً وبلا استثناء، على الرغم من الرسالة الرائعة للنعمة، والغفران، والمصالحة والحياة الفضلى التي تسير في ركابه، وبغض النظر عن حياتك التي تتسم بالحب والرحمة والانكسار أو القداسة، ففي أغلب الأحيان فإن تلك الخصال في المسيحيين المؤمنين، وليس دائماً ضعفاتهم وخطيتهم، هي التي تثير حنق الآخرين وغضبهم.

إن الدعوة دائماً تجلب المواجهة، وجميع المسيحيين المؤمنين يعيشون بموجب دعوة. إن حياة جميع المسيحيين الحقيقيين تقود دائماً إلى الثورة. إنهم يثورون ضد كل أشكال الخطية، والعنف، والظلم والألم وأيضاً ضد أولئك الذين يتسببون فيها. الثائرون يجب دائماً أن يقاتلوا

لأجل قضيتهم، أن يأتوا بالعدل حيث يكون الظلم، وأن يأتوا بالسلام حيث يكون الصراع، وأن يأتوا بالرؤيا حيث يكون اليأس، وأن يأتوا بالشفاء حيث يوجد الألم، وبالمحبة والغفران حيث الكراهية والمرارة، وأن يأتوا بالحرية حيث يكون الناس مقيدين ومستعبدين. إن ذلك يتكلف دفع الثمن، الثمن الذي يكون قليلون على استعداد لدفعه.

ما هو عمل الكارز (وكل مسيحي) اليوم؟ كان كيس مونك Kees Monk خادماً دانماركياً وواحداً من قادة حركة المقاومة الدانماركية أثناء الحرب العالمية الثانية. وفي إحدى الليالي في يونيو سنة ١٩٤٠ أتى به الألمان من بيته وأطلقوا عليه الرصاص. وبهذه المناسبة كتب هذا الكارز ما يأتي: "ما هو عمل الكارز اليوم؟ هل أقول الإيمان، والرجاء، والمحبة؟ إن ذلك يبدو جميلاً. ولكني أقول: الشجاعة. كلا، حتى تلك ليست محفزة بما فيه الكفاية للتعبير عن كل الحقيقة. مهمتنا هي الاندفاع دون ما نفكر في المخاطر. ما ينقصنا كمسيحيين، بكل تأكيد ليس علم النفس والأدب. نحن ينقصنا الغضب المقدس. إن الغضب المقدس ــ الاندفاع دون التفكير في المخاطر يأتي من معرفة الله والجنس البشري. إنه القدرة على الغضب والثورة عندما تكون العدالة مغلوبة على أمرها في الشوارع، والكذب يعدو في سباق عبر الأرض. إنه الغضب المقدس بشأن الأشياء الخاطئة التي تحدث في العالم، والغضب بسبب تخريب أرض الله وتدمير عالم الله. إنه الثورة عندما يموت الأطفال الصغار من الجوع بينما موائد الأغنياء مكدسة بالطعام. إن ذلك الاندفاع دون حساب للمخاطر يأتي بسبب الغضب نتيجة للقتل الأحمق للكثيرين بينما يموت عدد كبير من الناس بسبب الحرب. إنه غضب ضد الدعة والرضا عن الذات. إنه يعني البحث دون هوادة عن الاندفاع الذي يحفز ويسعى لتغيير العالم حتى يتطابق مع معايير معرفة الله... وعليك أن تتذكر أن: شارات الكنيسة المسيحية كانت دائماً الخروف، والسمكة والحمامة ــ ولكنها لم تكن في يوم ما الحرباء."

يصف الكتابان "يسوع يخطط" وكتاب فوكس عن "الشهداء" كيف أنه خلال الـــ ٢٠٠٠ سنة الماضية، فقد أكثر من ٦٩ مليون مسيحي حياتهم كشهداء لأجل الإنجيل. هناك أمثلة عديدة: يوحنا المعمدان قُطعت رأسه. يسوع صُلب. استفانوس رُجم. أُعدم الرسول يعقوب حوالي عام ٤٤ م. سُجن الرسول فيلبس في سنة ٥٤م وصُلب في فريجية. ذهب الرسول متى إلى إثيوبيا حيث سُمر على الأرض وقطعت رأسه في سنة ٦٠م. رُجم يعقوب، أخو يسوع أو أُلقي به من فوق سطح الهيكل في سنة ٦٦م، والرسول أندراوس، أخو بطرس صُلب في إديسا على صليب على شكل حرف x، ومُزق مرقس الرسول إلى قطع على يد سكان الأسكندرية لأنه حذرهم من احتفال ديني تكريماً لوثن.

صُلب سمعان بطرس في وضع مقلوب لأنه حسب نفسه غير مستحق لأن يصلب مثل يسوع. تم الزج ببولس في سجن في روما لسنوات عديدة ومن المرجح أنه حُكم عليه بالموت

وقُطعت رأسه في ٦٦م، وصُلب الرسول يهوذا في إديسا، بلاد ما بين النهرين، في سنة ٧٢م. ترجم الرسول برثولماوس إنجيل متى إلى إحدى اللغات الهندية، ولكنه عُذب فيما بعد وصلب. تم تعذيب الرسول توما في الهند على يد الجمهور الغاضب، واخترقت الرماح جسده ثم أُلقي به في فرن مشتعل. نُفي الرسول يوحنا إلى جزيرة بطمس حيث كتب سفر الرؤيا. ومن المرجح أنه كان الرسول الوحيد الذي لم يمت ميتة قاسية. ولكن يُقال إن وعاءً من الزيت المغلي قد سُكب عليه. ومن المرجح أن
لوقا الإنجيلي قد شُنق على شجرة زيتون في سنة ٩٣م.

إذن ما هي تكلفة أن تكون مسيحياً؟ الثمن هو الطاعة، الطاعة لمشيئة الله باتباعه حيثما يقودنا. عندما يمشي يسوع، فإنه دائماً يمشي نحو الجلجثة. وإذا سرت معه، فإنه يأخذك أيضاً إلى الجلجثة. الثمن هو ثمن أن تكون تابعاً له. الثمن أن تنكر نفسك، أن تقول لا لنفسك ونعم لاحتياجات العالم. آخرون يصبحون هامين، وآخرون يُشار لهم بالبنان. هذا هو الثمن. هذا هو ثمن المعروض للإنجيل. إن ثمن الإنجيل أن تتحمل مسئولية التأكد من وصول الإنجيل إلى الناس. يطالب عدد كبير من الناس بأن تعود فائدة الإنجيل عليهم، ولكنهم على غير استعداد أن يتحملوا مسئولية الذهاب إلى الآخرين ومشاركة الإنجيل معهم. إنه سوف يكلفك أن تدعو عدوك "صديقاً"، كما دعا يسوع يهوذا بذلك حتى النهاية في جثسيماني، بعد أن خانه يهوذا بقبلة. إنه يكلفك أن تصفح، وأن ترحم، وأن تحب بلا شروط، على الرغم من كذا وكذا، ولأجل هذا الشخص أو ذاك، وعلى حساب راحتك وصحتك ومالك.

مَن يضع يده على المحراث لا يصح أن ينظر إلى الوراء وإلا فهو ليس جديراً بأن يكون تلميذاً. ومَن يرغب في أن يجد حياته يجب أن يهلكها أولاً.

لذا، أريد أن أسألك: هل الإنجيل الذي تحياه يكلفك شيئاً؟ من المحتم أن يكلفك الكثير إذا أردت أن تتبع الرب يسوع بكل كيانك، وإذا حملت صليبك وتبعته.

فهذا هو الطريق الآخر.

الفصل الثامن والعشرون
يسوع غير المحبوب

يحظى يسوع بتقدير عظيم، فرجال السياسة يقتبسون أقواله، والسياسيون في مختلف الدول يحضرون الخدمات الكنسية وينتمون في الغالب لإحدى الكنائس المسيحية، وينظر علماء النفس إلى العظة على الجبل نظرة احترام وتقدير، ويشير الباحثون في العلوم الإنسانية إلى حياته، وعطفه على المرضى، والفقراء، والمضطهدين والمحتاجين. ويأخذ الناشطون في المجالات الإنسانية الكتاب المقدس في اليد ويبرزون لنا نقده اللاذع للنظام القائم في عصره. تستفيد الأحزاب السياسية بصفة منتظمة من الأشياء التي قالها ويشير محررو الصحف إلى أحداث حياته. ويذكر الكُتَّاب الدنيويون شيئاً عنه في قصصهم. كثيرون ينظرون إليه كحالم رقيق، وكرجل مجرد من الأنانية كان يمتلك حكمة بالغة، وعطفاً وحباً ــ رجل صالح لم يلحق الأذى بأحد قط. يعجب الناس به لأنه كان على استعداد لأن يهب حياته لأجل قضيته. كثيرون يجعلونه مثلاً أعلى.

ومع ذلك فمعظمنا انتقائيون بشأن إيماننا به. إن الحديث عنه والإشارة إلى تعاليمه، في أغلبه، هو الشيء المألوف لدينا، ولكننا انتقائيون ومتحاملون حين نقتبس أقواله. إن رجال السياسة يكررون غالباً ما قاله لمجرد أن يُنظر إليهم كمسيحيين. يشير علم النفس الإنساني إلى سلوكه ويضع عظته على الجبل في مرتبة رفيعة، ولكنه يعاني من مشكلة فيما يتعلق بوجهة نظرة عن الخطية وفساد الجنس البشري. يشير المتخصصون في العلوم الإنسانية إلى حياته وأعماله الصالحة، ولكنهم يتخطون بحذر الجوانب التي تتعامل مع العلاقة الشخصية معه وأسلوب حياته المقدسة. يبرز الناشطون لنا سلوكه تجاه النظام القائم، ونقده اللاذع له، وللمؤسسة الدينية في عصره، ولكنهم يفضلون أن يتجاهلوا المعنى الحقيقي للصليب، ووداعة يسوع، وتواضعه، ونفوره من العنف. لدى الكثيرين من الكُتاب الدنيويين شيء يقولوه عنه، ولكنهم يتجنبون الخوض في موضوعات مثل التجديد، والميلاد الثاني، والتسليم الكلي لله.

إن هذه الظاهرة ليست جديدة. نحن نقرأ في (يو٢-٦) كيف حوَّل يسوع الماء إلى خمر، وشفى المرضى، وبارك الطعام ومشى على الماء، وقد اتبعه جمهور غفير من الاتباع، ولكن عندما عرفوا في (يو٦: ٤٧-٦٨) أن جسده هو الطعام الحقيقي وأن دمه هو الخمر الحقيقي، صاحوا قائلين: "إِنَّ هذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ (يفهمه) ؟" ما يقولـــه الآن يصعب علينا فهمه، فكيف يمكن لأحد أن يقبله؟ واستاءوا من أقواله.

نحن جميعاً إيجابيون بشأن كلمة الفداء ونحب أن نقبل يسوع كمخلصنا. ولكن، عندما يدعى أيضاً، "رباً" وإذا كان لابد للرب أن يملك على حياتي، فإن قليلين يكونون على استعداد لقبولها.

إن الكلمة اليونانية مقابل رب هي Kurios والتي تعني حرفياً، رئيس، وسيد أو مالك. وفي سياق الكلام فإنه الشخص الذي يحكم، وهو الرئيس، وهو الذي يصدر الأوامر، وهو الذي لديه العبيد كرعاياه بالإضافة إلى ملكيته للعبيد. أن يكون لك مخلص فهذا شيء رائع، ولكن كونك عبداً تنتمي إلى سيد يصدر لك الأوامر؟ فهذا شيء غير محبوب. إن يسوع يطالب بأن يكون الرب، والسيد لحياتنا. إنه لا يريد فقط أن يخلصنا من الخطية. إنه يريد أيضاً أن يكون الشخص الذي يوجه حياتنا حتى نتمم إرادة الله الكاملة. ولهذا السبب يستاء الناس. يمكن أن يخلصني من خطاياي، نعم، ولكني أريد أن اختار لنفسي ما أريد أن أفعله بحياتي، فأنا أريد التحكم في دفتر شيكاتي، وأريد أن أستقر على طموحاتي الخاصة وأحلامي والطريقة التي أحقق بها ذلك. أريد أن أقرر لنفسي ما هو صواب وما هو خطأ، وما أفعله بوقتي، وأن أختار شريك الحياة الذي أريده وأريد أن أختار مهنتي بنفسي. عندما يريد يسوع أن يمشي أمامي ويريني الطريق، فعندئذ يصبح غير محبوب.

يكون يسوع محبوباً عندما يكون عطوفاً ورحيماً. ولكن عندما يأتي كالقاضي ليدين ويعاقب على الخطية، وعندما يتوقع حياة مقدسة، يستاء الكثيرون. إننا نكون ممتنين حين تُغفر خطايانا عن طريق نعمته، ولكن ليس عندما ينبغي علينا أن نقلع عن تلك الخطية. نحن نتوقع المغفرة بسبب وجود علاقة آثمة مع شريك حياة شخص آخر، ولكننا نستاء إذا كان المتوقع منا أن نضع حداً لتلك العلاقة.

نحن نعترف بوجود أخطاء، ولكننا نستاء حين تدعى تلك الأخطاء خطية. نحن نغلف الخطية بكلمات "لطيفة". إن الزنا أصبح يدعى النوم سوياً، والتدليس أو الغش قد أصبح مهارة تجارية. وقد أصبحت الأكاذيب والأكاذيب البيضاء فنون البيع. وما هو كبرياء طبقاً للكتاب المقدس، يُعد تلميعاً للذات أمام العالم. وعندما تنسحق ذاتي وأشعر بالحزن على نفسي، ألقى باللائمة على سلوك شخص آخر. وعندما يطلق على ذلك اسم الخطية، يصبح المسيح غير محبوب.

تحدث يسوع كثيراً عن السماء وعن ملكوت السموات. إن معظمنا يشعر بالإثارة فيما يتعلق بالسماء ويؤمن بها. إن البعض ممن يجدون أنه من السهل عليهم الإيمان عندما يتحدث الكتاب المقدس عن السماء، يجدون أنه يصعب عليهم الإيمان عندما يتحدث نفس الكتاب المقدس عن جهنم. إن الدراسة الشاملة لكلمات يسوع في العهد الجديد توضح أنه تحدث عن جهنم أكثر مما تحدث عن السماء. لماذا؟ لكي يجعل الناس يدركون حقيقة جهنم ولكي يحذرهم منها. في العديد من الكنائس يوجد أناس يستاءون عندما تذكر جهنم. ويقولون: "كلا، تحدث لنا عن يسوع، وعن محبته، وعطفه ورعايته. نحن نعيش في العصور الحديثة، وليس من المناسب أن تتحدث عن جهنم" إن نفس الكتاب المقدس الذي يتحدث عن السماء يتحدث أيضاً عن جهنم.

فإذا آمنا بالواحدة، فعلينا أيضاً أن نقبل الأخرى. إن الله لا يقدم التنازلات التي تتفق مع مطالب المجتمع، والمجتمع العصري.

طالما أن يسوع يعطي الحياة الأبدية، وطالما إنه يجعل الحياة حلوة ويعطي الحياة الأفضل، يكون من المناسب أن تكون مسيحياً. وعندما ننضم إلى كنيسة "لطيفة" ويمكن أن نكون مؤمنين وسط شعبنا، فهذا رائع. عندما نخلص ويمكن أن نعني شيئاً للآخرين ونقودهم إلى يسوع، فمن الرائع أن تكون مسيحياً. ولكن عندما يتوقع منا يسوع أن نحب الناس خارج إطار لغتنا وأولويات ثقافتنا وأن نعبد جنباً إلى جنب معهم، يستاء عدد كبير منا. إذا استطعنا أن نرتل بفرح في الكنيسة وكان كل شيء يمضي بطريقة ورعة و "منظمة"، وفقاً "للطريقة التي نشأنا عليها"، فكل شيء على ما يرام. ولكن إذا كان الناس يرفعون أيديهم في الهواء، ويرنمون ترانيماً بلغتهم الأصلية، ويأتون بجيتار إلى الكنيسة، وحين لا يرتدي الواعظ رباط عنق، وحينما يتم تقدير عمل المرسلين في الدول الأخرى، أو حينما يدعونا الرب للمساهمة المادية أو حتى أن نذهب بأنفسنا إلى حقل مرسلي، فنحن لا نحب الذهاب إلى الكنيسة مرة أخرى ونشعر بالاستياء. وفجأة، لا يصبح يسوع محبوباً لدينا فيما بعد.

نحن نبدأ اجتماعاتنا بالصلاة، ولكن عندما يتحتم علينا أن نحل المشكلات، يتم تحذيرنا بأن نكون "عمليين وواقعيين" وألا نقحم الكتاب المقدس في كل شيء. وفجأة، نضع الكتاب المقدس في إطار مختلف عن الحياة، ونصبح مسيحيين لهم تفكير ورؤى مزدوجة.

يكون الكتاب المقدس محبوباً عندما يطلب مني أن أحب زوجي، ولكنه يصبح غير محبوب عندما يطلب مني نفس الكتاب أن أطيعه، لأنه يتوقع مني أن أموت عن الذات. (أف٥: ٢١-٢٣)

يكون كل شيء على ما يرام عندما يصفح الآخرون عني من جهة آثامي، ولكنه لا يكون كذلك عندما يطلب مني يسوع أن أصفح، إلى ٧٧ مرة في اليوم، عن نفس ذلك الشخص الذي يثير سخطي ويستفزني. من الرائع أن أتبع يسوع، ولكن يكون من المزعج حين يطلب مني أن أحمل صليبي وأتبعه. إن الصليب دائماً يجرح المشاعر لأنه يؤدي إلى الموت الدموي الأليم. وهذا يجعل يسوع غير محبوب.

عندما يستجيب يسوع لصلواتي، وعندما يعطيني الحياة الأفضل (يو١٠:١٠ب)، ويزودني بالطعام، والكساء، والوظيفة، والمنصب المتميز، وعندما أعامل بعدل ويكون كل شيء على ما يرام معي، يكون يسوع محبوباً. عندما أحصل على علاوة في المرتب، وأستطيع أن اشتري منزلاً أقضي فيه الإجازة، وأتمكن من شراء سيارة ثانية، وعندما يحقق أولادي الإنجازات ويجعلوني أفتخر بهم، يكون يسوع محبوباً. عندما يأخذ الآخرون عني فكرة جيدة، ويعجبون بقدراتي، وعندما أحصل على ترقية، وأنال هدايا جيدة، وعندما أنال التقدير بسبب ما أقوم به

من أعمال، يكون يسوع محبوباً. ولكن عندما أصلي لعدة سنوات ولا أحصل على استجابة، وعندما تفوتني الترقية، وعندما أصاب بمرض خطير، وعندما تضطر عائلتي لتقليل المصروفات حتى يمكن الموازنة بين الإيرادات والمصروفات في نهاية الشهر، وعندما لا يحصل أولادي على المركز الأول ويحصلون على المركز الثاني والثالث، وعندما لا يقدرني الآخرون نظير الجهد الشاق الذي أبذله وعندما لا يحترمون شخصي، سرعان ما يصبح يسوع غير محبوب.

يكون يسوع محبوباً عندما أحصل على وظيفة جيدة، وأمتلك منزلاً بديعاً ويكون لديَّ العديد من المقتنيات. يكون يسوع محبوباً عندما أنصح الناس في عالم العمل وتفلح النصيحة وعندما استمتع نتيجة لذلك بالمزيد من المركز والتقدير. يكون يسوع محبوباً عندما يكون لديَّ ما يكفي لأعطي الآخرين، ولا أحتاج أن أطلب شيئاً من أحد وعندما لا أكون مديناً لأحد بشيء. ولكن يسوع يصبح غير محبوب عندما أفقد وظيفتي، وعندما يزحف الفقر عليَّ واضطر لبيع سيارتي وأثاثي حتى لا أتضور جوعاً، وعندما يموت طفلي وعندما لا أقنع بالإجابات على صلواتي طلباً للنجاة. يكون يسوع غير محبوب بنوع خاص عندما اضطر أن أبتلع كبريائي وأطلب من شخص آخر قائلاً له: "من فضلك ساعدني، من فضلك ارحمني" نحن على استعداد لوضع نقودنا في طبق العطاء عندما يُمرر علينا في يوم الأحد، ولكن عندما يطلب منا يسوع تقديم عشورنا لعمله، وحتى يمكن تقديم المساعدة للفقراء والمحتاجين، فهو غير محبوب. يوماً ما جاء شاب يجري إلى يسوع، وخر على قدميه أمامه مقدماً هذا السؤال: "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" أوضح له يسوع الإجابة واستجاب الشاب إلى حد معين. ولكن عندما مضى يسوع ليقول له: "اذهب، بع كل مالك واعط الفقراء، ثم تعال اتبعني" استاء، وحزن، واستدار ومضى بعيداً. كان يسوع محبوباً إلى حد معين، ولكنه أصبح كثير المطالب.

عندما يساعدني يسوع في التغلب على بؤسي، فهذا شيء رائع. وعندما أحتاج للمال فيساعدني ويخفف أثقالي، وعندما أكون مريضاً ويتدخل الله بطريقة معجزية ويشفيني، وعندما تُسرق ممتلكاتي وتعود إليَّ، وعندما لا يكون هناك مخرج ويفتح الله الباب لي، يكون يسوع محبوباً. ولكن هل نحن على استعداد لأن نتصرف بحسب الطريقة التي تصرف بها أيوب عندما سُرقت كل مواشيه ومات كل أولاده في ريح عاصفة؟ "أاللخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟"

عندما يأتي الاضطهاد ويتواصل يوماً وراء الآخر وأصلي ولكن لا نجاة، وعندما أكون مريضاً ولا أشفى (على الرغم من حقيقة أن جميع الذين يمارسون "الشفاء بالإيمان" قد صلوا لي)، وعندما لا يحبني الناس لأنني مؤمن، ويسخرون مني ويضطهدونني، بل ويسبونني ويذلوني، يكون يسوع غير محبوب. في غالب الأحيان نبدأ حينئذ في أن نسلك طريقاً آخر،

ونسكت، ولا نشهد علناً للمسيح ولا نرفع شعارنا المسيحي. قليلون هم الذين يفهمون ويقبلون كلمات يسوع حين قال: "طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ." (مت٥: ١-١٢) إن بعضاً من أقوى الأدوات بين يدي الله أولئك الناس الذين كان عليهم أن يتحملوا الألم الجسدي الرهيب. إن سميث ويجل ورث Smith Wiggel worth، الذي صلى لأجل شفاء الآخرين وشهد معجزات فائقة أجراها الله على يديه، كان عليه هو نفسه أن يتحمل الألم والمرض. وهناك ديفيد برينارد David Brainard، والذي كان شاباً يصلي بقوة ويعمل وسط الهنود الحمر، عاش حياته القصيرة بجسد عليل وفي النهاية مات في التاسعة والعشرين من العمر. وهناك أيضاً هدسون تايلور، مؤسس "إرسالية الصين الداخلية"، الذي عرف المرض، والألم، والموت واليأس، ولكنه واصل عمله. وهناك اثنان من أعظم المبشرين على مر العصور، تشارلس سبرجن والكسندر ماكلارن، قاسى كلاهما توتراً عصبياً حاداً، ومع ذلك فقد استخدمهما الله بقوة.

في غالب الأحيان يقول لنا أبونا "نعم"، ويعطينا ما نطلبه، ويوجد بالقرب منا عندما نطلبه، ويفتح لنا الباب حين نقرع عليه. ولكن في بعض الأحيان نطلب الحكمة ولا ننالها بحسب الكيفية التي نريدها بها. وعندما نصلي يبدو لنا أن الله لا يستجيب، أو عندما نصلي لأجل شيء ما يعطينا الله شيئاً آخر. في أوقات كهذه، لا يكون يسوع محبوباً لدينا. وفي أغلب الأحيان نكون متمردين، ونمتلئ بالأسئلة والشكوك ونترك المشروعات والمهام التي يكلفنا السيد بها. إن كان الله يقول "نعم"، فله الحق أيضاً أن يقول "لا".

عندما نختار يسوع فنحن نعطى "الحزمة" بكاملها. إن إناساً كثيرين يريدون التعامل مع يسوع والكتاب المقدس بالطريقة التي يتعامل بها الأطفال مع تورتة الكريز ــ فهم يلتقطون كل الكريز ويتركون الباقي. نحن نريد أن نأخذ ما نحبه، ونترك الباقي! يكون يسوع محبوباً حين يكون هناك الحديث عن التاج، ولكن يكون غير محبوب عندما يسبق التاج الصليب. لا يمكن ليسوع أن يحيا في قلب منقسم. إنه يحب أن يستولى على كل القلب، وإلا فليس هناك مكان له. هل قلبك بالكامل ملك له؟ المسيحية ليست مجموعة من القواعد والمبادئ الأخلاقية. إنها صلة بيسوع الحـــي المُقام . فأن تكون مسيحياً فإن ذلك لا يعني
فكرة فلسفية وعدد قليل من الأوامر والنواهي.

إن اتباع يسوع، أيضاً عندما لا يكون محبوباً، هو الطريق الآخر.

الفصل التاسع والعشرون
لا تعثر

في (مت١١:٦) يقول يسوع لتلاميذ (رسل) يوحنا المعمدان، ومن ثم ليوحنا المعمدان نفسه: " وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ." إن يوحنا المعمدان في السجن حيث يسمع عن كل ما يفعله يسوع. وفي وحشته، حيث كاد اليأس أن يفتك به، يتساءل إن كان الله قد تخلى عنه وإن كان الرجل الذي عمده في نهر الأردن هو المسيا أم لا. إنه يرسل رسولاً ليسوع: "أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟" ويرد عليه يسوع بالإشارة إلى ما جاء في (إش٦١: ١-٤). وهو يرسل الرسالة التالية ليوحنا المعمدان: "العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون". تضم هذه الإجابة كل ما قيل في (إش٦١: ١-٤)؛ ولكن يسوع يترك جانباً هاماً ألا وهو أن المأسورين سوف يُطلقون. لم يذكر يسوع ذلك. فقد كان يعلم أن يوحنا سوف تقطع رأسه، ولهذا السبب ترك يسوع عامداً هذا الجانب الهام. في ضوء ذلك، ما قاله يسوع ليوحنا يصبح ذا مدلول أكبر: "لا تعثر".

توجد كلمتان يونانيتان تترجمان بمعنى "عثرة": إحداهما Skandilizo/ Skandalon والأخرى Proskomma. في اللغة الإنجليزية تترجم هاتان الكلمتان بمعنى "يُجرح، ويلحق به الأذى، وإساءة، وعثرة، وعقبة، وحجر صدمة."

يسوع هو حجر الزاوية المختار. إنه الأساس الذي بنيت عليه كنيسة المسيح. وفي نفس الوقت، هو أيضاً الحجر الذي يمكن أن يصطدم به الناس، أو يعثروا ويسقطوا. في (رو٩: ٣٢-٣٣) نقرأ هذا القول: "إِنَّهُمُ اصْطَدَمُوا بِحَجَرِ الصَّدْمَةِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَا أَنَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ، وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى."

ونقرأ أيضاً في (١بط٢: ٧-٨) إن هذا الحجر هو أهم حجر في البناء كله، على الرغم من حقيقة أن البنَّائين قد رفضوه:

" لَكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةُ، وَأَمَّا لِلَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ، فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ، هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ وَحَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ. الَّذِينَ يَعْثُرُونَ غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْكَلِمَةِ، الأَمْرُ الَّذِي جُعِلُوا لَهُ."

ونقرأ في (لو٢٠:١٨) أن هذا الحجر يمكن أن يرضض ويسحق: " كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!." حيثما يرفض الناس يسوع كالصخرة، رأس الزاوية، فإن ذلك سوف يقودهم إلى الدمار. في (لو٢:٣٤) يقول سمعان لمريم، أم يسوع: " هَا إِنَّ هذَا (الطفل يسوع) قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ... لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ."

إن الصليب هو مصدر هذه العثرة. الصليب هو أعظم عثرة (١كو١:٢٣). إنه يبطل كل حكمة بشرية، والتقيد بحرفية النصوص والفداء على أساس الأعمال والاستحقاق البشري. إنه يسقط كل اجتهادات للحصول على الخلاص.

كان إعلان المسيح المصلوب عثرة، حجر صدمة، وإساءة لليهود. كان الصليب شجرة ملعونة ــ علامة لعنة الله على الشخص. ولذلك فإن حقيقة موت يسوع على الصليب كانت تعني أن لعنة الله قد استقرت عليه. وجه اليهود هذا السؤال: "كيف يمكن للخلاص أن يأتي من قِبل رجل كهذا؟". إنهم لم يفهموا أن المسيح أخذ لعنتهم ووضعها على نفسه. كان الصليب شائناً بالنسبة ليهود ومازال يعثرهم.

ولكن ليس اليهود فقط هم الذين عثروا. فاليونانيون بمدارسهم الفكرية الفلسفية "المتقدمة" قد عثروا أيضاً. أعلن بولس إنجيل يسوع المصلوب في أثينا، وقد سخر منه اليونانيون، مع أن آخرين قالوا إنهم أرادوا أن يسمعوا أكثر منه فيما بعد (أع١٧:٣٢). اعتقد اليونانيون أن هذا الإنجيل هراء وحماقة. أليس الحال هكذا اليوم؟ ألا يزال الناس يهزأون "بحماقة" الصليب؟.

في (يو٧: ٣-٥) نقرأ إن إخوة يسوع قد عثروا، حتى إنهم لم يكونوا يؤمنون به بل إنهم سخروا منه. إن أهل بيته، نعم، إخوته لم يؤمنوا به. لقد عثروا في يسوع. فقد اصطدمت عائلته بحجر الصدمة. ومع ذلك، نقرأ فيما بعد أن يهوذا ويعقوب بدأ يتبعان يسوع. كان كاتبا رسالتي يهوذا ويعقوب في الكتاب المقدس اثنين من إخوة يسوع. كم يحدث كثيراً أن عائلاتنا تعثر في يسوع. يصعب جداً أن نمارس إيماننا في وسط محيط العائلة. فعندما نشهد كيف أن يسوع يساعدنا حين نصلي، وأنه يحررنا من خطايانا وأننا ولدنا ثانية، وأننا أصبحنا أناساً مختلفين، فإن أفراد العائلة يتعثرون بهذه "الديانة" الجديدة ويقولون بسهولة شيئاً كهذا: "لا تحاول أن تجبرنا على الإيمان بيسوع فالكتاب المقدس ما هو إلا أحد كتب القصص. ربما كان يسوع رجلاً صالحاً، ولكن الحياة تسير بنا على ما يرام بدونه، شكراً."

لقد عثر أهل الناصرة، حيث نشأ يسوع. فنحن نقرأ في (مر٦: ١-٦) ما يأتي: " وَجَاءَ (يسوع) إِلَى وَطَنِهِ... وَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ، ابْتَدَأَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ. وَكَثِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا بُهِتُوا قَائِلِينَ:«مِنْ أَيْنَ لِهذَا هذَا؟ وَمَا هذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ حَتَّى تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَّاتٌ مِثْلُ هذِهِ؟ أَلَيْسَ هذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هُهُنَا عِنْدَنَا؟» فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ». وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ. وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ."

من يريد أن يستمع إلى ابن نجار؟ إنهم لم يستطعوا أن يتعرفوا على المسيا في يسوع، ابن مريم. وحتى اليوم، يستخدم يسوع آلات بشرية ضعيفة "عادية" والناس لا يتعرفون عليه فيهم.

مَن يريد الاستماع إلى طفل مولود في مذود للبقر؟ يعلن يسوع كثيراً عن نفسه في ومن خلال أناس لا مركز لهم حتى يمكنه أن يمتحن قلوبنا. إن العطاشى لا يهمهم شكل الإناء، طالما ينسكب الماء منه. نحن نقرأ في (غل٤:١٤): "وَتَجْرِبَتِي الَّتِي فِي جَسَدِي لَمْ تَزْدَرُوا بِهَا وَلاَ كَرِهْتُمُوهَا، بَلْ كَمَلاَكٍ مِنَ اللهِ قَبِلْتُمُونِي، كَالْمَسِيحِ يَسُوعَ." إن الله يريدنا أن نقبل رسله كما نقبل يسوع المسيح نفسه. نحن حريصون جداً على الاستماع إلى ما يقوله متكلم أجنبي ونتأثر بالمعلومات التي يدلى بها شخص هام. ومع ذلك فنحن نرفض أن نستمع عندما يؤنبنا إخوتنا أو أخواتنا، وحتى طفلنا، وزوجتنا أو زوجنا أو يحاولون أن ينصحونا. كم نعثر بسهولة!

لقد عثر الفريسيون في (مت١٥: ٨-١٢) لأن ما قاله يسوع وفعله كان مضاداً لفهمهم للناموس واعتقادهم أن الجنس البشري عليه أن يساهم في نعمة الله: " يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. ثُمَّ دَعَا الْجَمْعَ وَقَالَ لَهُمُ:«اسْمَعُوا وَافْهَمُوا. لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَقَالُوا لَهُ: أَتَعْلَمُ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمَّا سَمِعُوا الْقَوْلَ نَفَرُوا؟."

كان يسوع صخرة تعثر فيها القادة الدينيون في عصره، لأنه قال لهم الحقيقة. لقد تظاهروا بأنهم يحبون الآب، ولكن ديانتهم كانت تتكون من سلوك يتسم بشدة التمسك بالأشياء الملموسة، كانوا يتمسكون بحرفية الناموس. وقد أوضح يسوع أنه كان يريد أن تكون العبادة نابعة من القلب، وليست مجرد كلمات فارغة خالية من المعنى ــ وقد أعثرهم ذلك.

هناك الأشياء الكثيرة في حياتنا التي تعد مجرد أشياء مظهرية. كم نتجادل كثيراً بشأن التقاليد الموجودة في كنائس معينة، والترانيم التي يجب أن يترنم الناس بها، ومعتقدات "كنيستنا" والقواعد والممارسات الأخرى للكنيسة. كم يسهل أن نرى نفوسنا في الفريسيين، والصدوقيين والكتبة فيما يتعلق "بطرقنا الكنسية" التقليدية، وطائفتنا، وقواعد كنيستنا، ومراسم كنيستنا وطريقة تأدية تلك المراسم. لدينا جميعاً "بقرات مقدسة" ونحن ندافع عنها بشدة ونحميها: نحن نتجادل بشأن التكلم بالألسنة، والمعمودية، ووجود الشياطين وكيفية إخراجها، وطول المدة التي يجب أن يستغرقها الترتيل في الخدمة التعبدية، وعما إذا كان يجب أن يكون لدينا مجموعات صغيرة في داخل الكنيسة وعما إذا كان من الواجب أن يزورنا الراعي في البيت، ومتى سيحدث المجيء الثاني وما هو الدور الذي سيلعبه اليهود في آخر الأيام. نحن جميعاً ندافع عن قضيتنا ووجهة نظرنا بحماس شديد وفي كثير من الأحيان كما لو كانت الحياة الأبدية تتوقف عليهما.

هل أعثر إذا طلب مني يسوع أن أترك هذا الأمر أو أن أغير رأيي؟ هل يمكنني السكوت عندما أكون مع إخوة أو أخوات يختلفون معي بشأن موضوع يكون من الواضح "بلا جدال"

أنه غير كتابي؟ هل أنا قادر على أن أظل أحبهم وأظل أنظر إليهم نظرة تقدير واحترام، بأكثر من تقديري لنفسي؟ أم إنني أتعثر، وأعطي ظهري لهؤلاء المؤمنين وأنضم إلى كنيسة جديدة؟

كم نتعثر بسهولة إزاء نعمة الله في المسيح يسوع. كم نتعثر عندما يرحم المجرمين، وعندما يمطر على الأخيار والأشرار وعندما ينجح الشرير ويفلح الدنيء! وهناك الذين يتعثرون من النعمة نفسها، مثل اللاهوتي الهولندي منذ عقود قليلة مضت، والذي تعثر بشأن "مقادير" نعمة الله: لقد قال ذلك الرجل بازدراء "Geef mijn portie maar aan Fikkie" "اعطِ حصتي من هذه النعمة إلى الكلب".

لقد عثر تلاميذ يسوع بشأن معاناة سيدهم. لقد كانت معاناته في تناقض صارخ مع فكرتهم عن ملكوت الله ومجيء المسيا. كان أقل ما توقعوه منه أن يحررهم من النير الروماني ــ وليس المسيا الذي كان يبدو أنه ملعون من الله وأنه سيموت على صليب كشخص فاشل. لم يكن بإمكانهم أن يفهموا المعنى الروحي لألمه. عندما تعثر بطرس في (مت١٦:٢٢) بسبب ما قاله يسوع عن ألمه وصلبه، عرف يسوع أن كلمات بطرس كانت خارجة مباشرة من الشيطان. التفت يسوع إلى بطرس وقال له: " اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ." (مت١٦:٢٣).

كم نعثر بسهولة عندما نواجه الألم ولا تأتي صلواتنا بتخفيف الألم الذي كنا ننشده ونرجوه. كم مرة تعثرنا عندما قدمنا كل ما
لدينا لله، لنكافأ "بالأوقات العصيبة، والألم، وسوء الفهم".

في (مت٢٦:٣١) يقول يسوع: " كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ." لقد تركه كل تلاميذه الإثنى عشر في تلك الليلة، خانه يهوذا وأنكره بطرس. تخرج الكلمات بسهولة، ولكن الأفعال أكثر صعوبة، مثل كلمات بطرس حين وعد قائلاً: " وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ (تركك الجميع: skandalizo: تعثروا فيك) فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا." (لا أتركك: skandalizo: لا أعثر فيك) (مت٢٦:٣٣). ومع ذلك، فبعد ساعات قليلة فإنه هو وكل الآخرين تركوا يسوع وعثروا فيه.

نحن نقرأ في (مت٢٤: ٩-١٠) أنه قبل المجيء الثاني للمسيح سوف تتعرض الكنيسة للاضطهاد. " حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي. وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا." يخبرنا الكتاب المقدس أن الناس سوف يتركون الإيمان، لأنهم سوف يعثرون بسبب الألم الوشيك. إن الناس يفضلون أن يكونوا جزءاً من الاتجاه السائد حتى لا يشعرون أنهم "خارجه". هناك أناس يفضلون التساهل تجاه التعاليم الكاذبة على إتباع يسوع.

من المحتم أنه سوف يكون هناك اضطهاد. نحن نقرأ في (يو١٦: ١-٢): " قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ لاَ تَعْثُرُوا. سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلّهِ."

يصل يسوع أيضاً إلى النقطة التي يقول فيها إن الذين يُضطهدون محظوظون: " طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ." (مت٥: ١١-١٢).

توجد العديد من الأمثلة في التاريخ عن أناس يرجعون إلى الخلف ولا يتبعون الرب يسوع عندما تكون هناك علامات اضطهاد. إنهم يعثرون بسبب الاضطهاد.

في (مت١٣: ٢٠-٢١) يتحدث يسوع عن الناس الذين يسمعون الإنجيل، والذين يفرحون به ويقبلونه، ولكنهم يعثرون عندما يكون هناك حديث عن الاضطهاد والظلم: " وَالْمَزْرُوعُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَحَالاً يَقْبَلُهَا بِفَرَحٍ، وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ إِلَى حِينٍ. فَإِذَا حَدَثَ ضِيقٌ أَوِ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ فَحَالاً يَعْثُرُ." يشعر الناس في أغلب الأحيان بالفرح بشأن كل البركات والمزايا لكونهم مسيحيين، ولكنهم لا يشعرون هكذا بشأن الثمن الذي يتحتم عليهم دفعه ليصبحوا مسيحيين حقيقيين. يقرر بولس بوضوح تام أن جميع الذين يريدون أن يأتوا بثمر في حياتهم سوف يُضطهدون. كثيرون لا يعملون حساب النفقة. إن الفرح، والسعادة، والنجاح، والصحة الجيدة عادة تأتي في ركاب الصلاة، والمعجزات ــ من المؤكد أن ذلك هو الشيء المتوقع، وليس الصليب! يكتب بولس إلى أهل (رومية ٨:١٧) " فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ." إن الألم جزء من ميراث الله لأبنائه.

يحذرنا يسوع في (يو١٦:١) لكي لا نعثر. عند تسليط الضوء على الذات، وعندما نبدأ في التعرف على ضعفاتنا وندرك أننا كثيراً ما نفشل ونخطئ، يكون هناك العزاء في الكلمة بأن يسوع قد أعد العدة لمواجهة ضعفاتنا. لقد جعل في الإمكان بأنه لا حاجة بنا لأن نعثر. لقد صلى يسوع لأجلنا، لكي يرسل الآب الروح القدس ليسكن فينا ويمكننا من أن نحيا حياة روحية، وأن نحمل صليبنا ونتبعه (يو١٤:١٦). وقد استجيبت تلك الصلاة في يوم الخمسين. فالذين يسكن فيهم الروح القدس، الوسيط، لن يعثروا، لأن قوة الروح القدس سوف تكون في متناول أيديهم. الذين يعيشون في علاقة وثيقة مع الرب المقام لن يعثروا بسهولة، لأن قوة قيامة يسوع المسيح، سوف تكون في متناول أيديهم في كل لحظة. الذين يعرفون الآب حقاً لن يعثروا، لأنهم يفهمون محبة الآب ويجلونه بأكثر مما يقدروا "ذواتهم".

في (فيلبي١:١٠)، فإننا كتلاميذ ليسوع نُحذر لئلا نعثر، وأن نكون بلا لوم، حتى لا نعثر أحداً وأن نكون أنقياء. يقول يسوع بوضوح تام:

" وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ. وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!" (مت١٨: ٦-٧).

في (رو١٤:١٣ و٢٠-٢١) يحذرنا الرسول بولس ألا ندين بعضنا البعض: " فَلاَ نُحَاكِمْ أَيْضًا بَعْضُنَا بَعْضًا، بَلْ بِالْحَرِيِّ احْكُمُوا بِهذَا: أَنْ لاَ يُوضَعَ لِلأَخِ مَصْدَمَةٌ أَوْ مَعْثَرَةٌ. لاَ تَنْقُضْ لأَجْلِ الطَّعَامِ عَمَلَ اللهِ. كُلُّ الأَشْيَاءِ طَاهِرَةٌ، لكِنَّهُ شَرٌّ لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَأْكُلُ بِعَثْرَةٍ. حَسَنٌ أَنْ لاَ تَأْكُلَ لَحْمًا وَلاَ تَشْرَبَ خَمْرًا وَلاَ شَيْئًا يَصْطَدِمُ بِهِ أَخُوكَ أَوْ يَعْثُرُ أَوْ يَضْعُفُ."

في (١كو٨:٩و١٣) يحذرنا بولس لكي نعتني بالمؤمنين الأضعف وألا نضع حجر عثرة في طريقهم: " وَلكِنِ انْظُرُوا لِئَلاَّ يَصِيرَ سُلْطَانُكُمْ هذَا مَعْثَرَةً لِلضُّعَفَاءِ. لِذلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْثِرُ أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْمًا إِلَى الأَبَدِ، لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِي."

يعلمنا (١كو٩:١٢و١٩)، أننا كمؤمنين لدينا الحرية لنفعل أشياء معينة، ولكن بشرط أن الأشياء التي تسمح لنا حريتنا بأن نفعلها، لا تجعل الآخرين يعثرون في الإنجيل.

" إِنْ كَانَ آخَرُونَ شُرَكَاءَ فِي السُّلْطَانِ عَلَيْكُمْ، أَفَلَسْنَا نَحْنُ بِالأَوْلَى؟ لكِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ هذَا السُّلْطَانَ، بَلْ نَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيْءٍ لِئَلاَّ نَجْعَلَ عَائِقًا لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ. فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ."

كل تلميذ ليسوع، يعلن رسالته ويتبعه، من المحتم عليه أن يتسبب في إغضاب الآخرين. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الثلاثون
الأتباع

" وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، اسْمُهُ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ:«اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ." (مت٩:٩)

" حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ:«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ " (مت١٦: ٢٤-٢٦).

عندما يدعوك يسوع فإنه يدعوك لتكون تلميذاً. التلاميذ لا يمسكون بزمام القيادة. إنهم يتبعون. وأن تقول إنك تؤمن ولكنك لا تتبع، فهذه ليست تلمذة كتابية. المسيحية بدون تلمذة (أن تتبع المسيح) هي دائماً مسيحية بلا مسيح. لا يستطيع أحد أن يتبعه باختياره الخاص. تبدأ التلمذة عندما تسمع صوت يسوع يقول "اتبعني". الذين يصيحون تابعين للمسيح، يجب أن يتعلموا أن يصغوا لصوت واحد فقط. " خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي" (يو١٠:٢٧). عندما تتبعه، عليك أن تتجاهل كل الأصوات الأخرى، بما فيها صوتك أنت أيضاً.

"اتبعني" كانت الكلمة الأولى والأخيرة التي قالها يسوع لبطرس (مر١:١٧؛ يو٢١:١٩). إن نفس يسوع الذي دعا يوحنا ويعقوب، وبطرس وأندراوس ومتى والآخرين، مازال اليوم يدعو الناس لكي تتبعه. إنه يدعو الناس من كل مناحي الحياة. خذ حالة الإثنى عشر على سبيل المثال. إن يسوع يدعو رجال وسيدات الأعمال، وصيادي السمك، والعمال، والأكاديميين، والمهندسين، والسياسيين، والنساء، والرجال، والأطفال والناس عبر اللغات، والفواصل العرقية والثقافية. إنه يدعو الناس العاديين. وأنت تقرأ هذا اليوم، فهو يدعوك أيضاً. إنه لا يطالبك باتباعه، لك الخيار. واختيارك له نتائج.

<u>إنه يدعوك ويعطيك وصية محددة:</u> إنه يريد أن يجعلك "صياداً للناس". لقد فعل ذلك مع الإثنى عشر. إنه يدعوك لكي تهب حياتك لمساعدة المحتاجين. إن هذه الدعوة لا تنصب في المقام الأول على تلبية احتياجاتك الخاصة، وتقدمك الوظيفي، وتقديرك لذاتك أو كرامتك الشخصية. أنت مدعو لأجل تنمية ملكوته.

<u>التلمذة الحقيقية أصولية (أساسية) دائماً</u>، ويجب أن يكون التلاميذ أتباعاً أصوليين (أساسيين) ليسوع. لا يمكنك أن تتبع يسوع بقلب منقسم. عندما يدعوك، فهو يطلب منك أن تترك كل شيء فوراً لكي تتبعه. ليس هناك مجال للتفاوض. هناك شيء قاطع في الكلمة "اتبعني". إن هذا الأمر غير قابل للتفاوض والأخذ والرد.

إن يسوع يدعوك وفقاً لشروطه الخاصة: إنه يعطيك التكليف. إنه يحدد الأجندة ــ والناس في هذا العصر لم يعتادوا ذلك بسهولة. ليس من الممكن أن تتبعه لساعات معدودة فقط ــ إن الدعوة ليست قاصرة على أيام الآحاد فقط. لا يمكنك أن تختاره حينما يروق لك ذلك، عندما تكون مستريحاً لوصاياه وعندما تكون الظروف مواتية. لا توجد أيضاً "عقود مختلفة وفوائد أو ميزات هامشية" يمكنك أن تتفاوض بشأنها أو تغيرها إلى صفقة تلبي احتياجاتك ويسهل استخدامها. إتباع يسوع يحرمك من الإمساك بزمام المبادأة، واتخاذ القرار، ومن كل حقوقك. إنها تحرمك من الأحقية في التفاوض. ليس هناك مجال "للإدارة المشتركة". أنت تتبع أجندته: هو الأجندة نفسها. أنت لا تتبعه للحصول على التعويض. أنت تتبعه لأنه هو الله.

هناك وصية واحدة فقط: "اتبعني". ليس هناك تفسيرات أو تفاصيل. ليست هناك خرائط إيضاحية. أن تتبع يسوع يعني أن تتخذ خطوة في اتجاه محدد وهذا وحده يحدد مسارك. وهذا المسار لا يتغير في مرحلة لاحقة، فلن يكون هناك المزيد من الحرية في تقدمك في الطريق. لا يمكنك، عندما تصبح أكثر نضجاً روحياً، أن تقرر لنفسك ما تريد أن تفعله والكيفية التي يمكنك أن تفعله بها.

عندما يدعوك يسوع، فتلك مسألة علنية: إنه يدعوك علناً لكي تتبعه علناً وجهراً. لا توجد وظائف خاصة لمسيحيين يقومون بخدمات خاصة. لقد مات يسوع عنك في الجهر ولم يستحِ منك. إنه قرار شخصي ولكنه عمل علني، لكي يراه الجميع.

إتباع يسوع شأن شخصي: كل فرد مُلزَم بأن يقوم بالاختيار الخاص به. العلاقة مع يسوع هي علاقة بين اثنين فقط. أنت مدعو دائماً كفرد، وأنت تختار دون أن تستشير أباً، أو أماً أو إخوة أو أخوات أو أصدقاء.

عندما يدعوك يسوع لتتبعه، فإنه يعطيك صليباً: إنه يدعو الناس ليموتوا عن الذات وليس هناك استثناءات. لا يمكنك أن تتبعه بطريقة أخرى. إن المسيحي بلا صليب هو مسيحي كاذب وليس تلميذاً ليسوع.

أن تتبع يسوع يعني أن تدخل في علاقة عميقة وحميمة مع يسوع المسيح: إن الرؤية الكلية للتابع هي يسوع نفسه وليس شيئاً آخر. يسوع نفسه في مركز الاهتمام. إن هذه التبعية ليست مشروعاً، أو نظاماً، أو فلسفة أو مجموعة من القواعد الأساسية. كل شيء يدور حوله، كما تدور الكواكب حول الشمس.

نحن نعيش في مجتمع تتركز فيه الجوائز الكبرى على القادة: ولكن يسوع يريد أتباعاً. إنك تبدأ علاقتك بيسوع كتابع وهذا لن يتغير.لا يمكنك أن تصبح قائداً إذا لم تكن تابعاً في المقام الأول. إن القادة الذين ليسوا أتباعاً يصبحون دكتاتوريين، ويدمرون حياة الناس الآخرين وفي غالب الأحيان تكون تصرفاتهم حمقاء لأن ذواتهم فقط هي البوصلة والمرجع.

أتباع يسوع المسيح لديهم ضمان واحد فقط: يسوع نفسه. لا توجد شبكات أمان أخرى. إن الأتباع مثل البهلوانات الذين يؤدون بدون شبكة أمان. يوجد دائماً عنصر مجهول في التلمذة. في الواقع فإنك لن تكون مستعداً استعداداً حقيقياً للطريق الذي أمامك. إن الطريق جديد دائماً، وغير مألوف، إنه طريق لم تسلكه من قبل. إذا أردت أن تتبع، فأنت بحاجة أن تثق في شخصية الشخص الذي تتبعه. فقط عندما تزيل كل شبكات الأمان، وتغلق كل الأبواب الخلفية، وتحرق كل الجسور من خلفك، فإنك سوف تختبر ملء وفرح كفايته التامة. إذا حاولت أن تواصل القيام بعملك الروحي بقوتك الذاتية، فإن ذلك سوف يعوقك عن اختبار معجزات الشفاء، والآيات، والعجائب، والقوات، ومواهب الروح القدس. من الأسباب الرئيسية لغياب قوة الكنيسة وقوة أتباع يسوع اليوم، أنهم يعتمدون بأكثر مما ينبغي على قوتهم وخططهم الشخصية. ينتظر منا أن نتخلى عن كل شيء ولا نكدس تدابير وقائية للحالات الطارئة فيما لو حدث كذا وكذا.

في بعض الأحيان يريد الناس أن يتبعوا المسيح، ولكنهم يشعرون بالخوف. إنهم يخافون المصاعب، ويخافون الرفض، والفشل والثمن الذي سوف يدفعونه. إتباع يسوع بسيط جداً: كل ما عليك أن تمشي خلفه. إنه إتباع محرر: إنه يخلصك من كل مسئولية. فأنت لا تكون مضطراً لاتخاذ القرار في المسيرة. ولست مضطراً لمراقبة عقارب الساعة. إن توفر المال، والأماكن، والوقت والكيفية ليست مسئوليتك.

يسوع هو الرب، والسيد، والملك، والحاكم. لديه الكلمة الأخيرة في كل شيء. تأتي كلماته كأوامر، ووصايا، وليست كتوصيات أو اقتراحات. إنه ينتظر منا أن ننفذ أوامره بغض النظر عن الثمن أو العواقب. لقد قدَّم المثل وأرسى المبدأ بحياته الخاصة. إن الطاعة والتلمذة، وإتباعه، تؤدي دائماً إلى الصليب، وإلى موت كامل عن الذات، والحرص على المصلحة الشخصية وتمجيد الذات.

إن كل من يتبعه يصبح صياداً للناس، ويقبل ملكوت الله، ويتصالح مع الله، ويصبح صديقاً لله، وتكون له علاقة حميمة مع الله، ويكون لديه قدوم إلى عرش النعمة، وتكون له الحياة الأبدية، وينال حماية الله، وينال نعمة فوق نعمة ويدعى إبناً لله.

أن تتبع يسوع يعني أن تُسلِّم مقاليد حياتك له. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الحادي والثلاثون
الذين يريدون أن يكونوا أولاً

نقرأ في (مت ٢٠: ٢٦- ٢٨) :

" فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا. كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ."

وبمعنى آخر، من يريد أن يكون عظيماً، يجب أن يكون خادماً، ومن يريد أن يكون أولاً، يجب أن يكون عبداً.

في (في٢: ٥-١١) يكتب بولس أنه ينبغي أن يكون لنا نفس الفكر الذي في يسوع: " فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ."

لقد أخذ طواعية صورة وطبيعة عبد وأصبح بشراً سوياً. لقد فعل ذلك ليصالح العالم مع الله، وليحرر الناس من قيود الشيطان ومن عبودية الخطية. لقد باعه يهوذا الإسخريوطي بثلاثين من الفضة، وهو السعر السائد للعبيد في ذلك الوقت. لم يسع يسوع جاهداً للحصول على المركز الأول ــ بل على النقيض من ذلك. لقد اختار أدنى مركز، مركز العبد.

في العالم نعتقد أن الطريق إلى أسمى مستوى في الوجود البشري يكمن في النجاح، والرخاء، والتقدم، والنصرة، والمركز. لقد أتى يسوع ليعلمنا النقيض من ذلك تماماً: كل من يضع نفسه يرفعه الله. من يضع حياته، يربحها. وبالاختصار: الطريق إلى الصعود هو الطريق النازل.

تأمل لحظة حياة عبد. العبيد لا يحتلون مركز القيادة، إنهم يُقادون. العبيد لا يصدرون الأوامر، بل يتلقون الأوامر. العبيد ليست لديهم سلطة، وليست لهم حرية شخصية. العبيد لا يخططون لمستقبلهم. العبيد أناس بلا كرامة، وأسماؤهم لا تحمل أي أهمية. إنهم موجودون لأداء العمل واتباع الأوامر. يتجاهل جميع الناس نواياهم. إنهم لا يتخذون قرارات هامة. ليست لديهم حقوق، أو مرتبة أو شهرة أو مركز. مشاعرهم ليست بذي أهمية، وليس من المفروض أن يبكوا أو يشعروا بالحزن.

العبد ليست له إرادة ذاتية، أو رجاء لمستقبل آخر أو أفضل. لا يكون العبد عبداً صالحاً إلا إذا نفذ أوامر سيده في طاعة مطلقة. مرتبة العبد تأتي في أدنى مراتب البشر. ليس للعبيد مركز قانوني. لا تعني شهادة العبد أي شيء مطلقاً أمام منصة القضاء. إذا كان هناك سوء فهم، فمن المسلم به أن العبد هو المخطئ. ليس للعبد حقوق أو امتيازات شخصية. ليس للعبد أي حق في تدبير أي أمر يتعلق به. ليس للعبيد الحق في تقديم الشكر والاعتراف بالفضل. لا يحصل العبيد على أي ترقية. ليس لمفاهيم الاستحقاق، والأهمية أو الميراث أي علاقة بالعبيد.

العبد أيضاً لا يرقى إلى مرتبة الخادم. الخدم يعملون لمدة زمنية محددة بأجر يتم الاتفاق عليه. إنهم أحرار وملك لذواتهم. ولهم حقوق محدودة. ليس للعبيد رأي، أو أجر وليس لهم حقوق.

في (لو١٧: ٧-٩) يشرح يسوع مركز العبد:

" وَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى، يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْحَقْلِ: تَقَدَّمْ سَرِيعًا وَاتَّكِئْ. بَلْ أَلاَ يَقُولُ لَهُ: أَعْدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ، وَتَمَنْطَقْ وَاخْدِمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ، وَبَعْدَ ذلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ؟ فَهَلْ لِذلِكَ الْعَبْدِ فَضْلٌ لأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ؟ لاَ أَظُنُّ."

من أحد الجوانب فإن كل مؤمن، وكل تابع ليسوع المسيح مندوب عن الإله الحي. لدينا السلطة للسيطرة على خليقته، وأن نعملها ونعتني بها. نحن ملوك، وكهنة وأنبياء. لقد حصلنا على السلطة من الله لكي نربط (نعلن عدم المشروعية) ونحل (نعلن المشروعية) على الأرض، والسلطة للكرازة بالإنجيل، وطرد الشياطين، وشفاء المرضى، وإقامة الموتى، وعمل المعجزات، وأن ندوس على الحيات والعقارب وأن نأخذ الإنجيل إلى أقاصي الأرض.

لقد أعطانا الله الآب، نحن ممثليه، أسمى مركز وكللنا بالمجد والكرامة. ولكن لأن الله يعرفنا ويعرف طبيعتنا، فقد أعطانا أيضاً أدنى المراكز، ألا وهو رتبة الخادم والعبد. فكِّر ملياً في الأمر: في نفس الوقت ملك وعبد، كاهن الله العلي وخادم، نبي الله وعبد وضيع.

الله يعرف الجنس البشري. إنه يعرف كيف أننا نصبح بسهولة متغطرسين ومتكبرين، والله يقاوم المستكبرين. إن مركز العبد فقط هو الذي يخلصنا من خطر مقاومة الله لنا. ربما نبدأ في التفكير بأنه حيث أن الله قد أعطانا مثل هذا المركز الهام يمكننا أن نؤدي عمله بقوتنا الشخصية. وعندئذ ننسى إن أتى شكل من أشكال الذات، بغض النظر عن مدى قداسة وتكريس تلك الذات، لا يمكن أن تعمل عمل الله.

يوجد مبدأ روحي يجب أن نعير الالتفات إليه، حتى إننا يجب

أن ندرسه عن قرب وينبغي أن نطبقه بكل تدقيق. وهذا المبدأ هو: كلما ازداد عمق وقوة تقدم نمونا الروحي، قل المركز الذي يجب أن نظهر به أمام الله وأمام البشر نظيرنا. عبر يوحنا المعمدان عن ذلك بالقول: " يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ." (يو٣:٣٠). توجد حقيقة

روحية قوية متضمنة في هذه الكلمات، الأعظم والأعمق مما تبدو لأول وهلة. في (مت١١:١١) يقول يسوع عن يوحنا المعمدان "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ." لقد فهم يوحنا ذلك عندما جاء المسيا، وكان عليه (يوحنا) أن ينقص والمسيا يزيد. بمفردنا نبدو "في ازدياد"، ولكن في حضرة الله، ندرك مقدار محدوديتنا وعدم أهميتنا. في حضرة الله وفي خدمة الله فإن الذات والـــ "أنا" يجب أن تنقص وتصلب. عندئذ فقط يمكن لحياة المسيح المقامة أن تعمل فينا.

عبيد المسيح يتطوعون، لا شيء يفرض عليهم. كم هو لافت للنظر أن المسيحيين يجدون أنه من الصعوبة أن يقبلوا أنهم عبيد وخدام المسيح. ولكن عندما نبدأ في الفهم بأننا إما أن نكون عبيداً للمسيح أو عبيداً للخطية، والشيطان، والذات، حتى يصبح الاختيار أكثر سهولة. إن يسوع هو الذي جاء لكي يعلمنا أن نحمل نيره " اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ." (مت١١: ٢٩-٣٠) ولكن الشيطان، والخطية والذات سادة قساه، وسائقي عبيد بلا رحمة لا يعرفون سلاماً ولا يظهرون رحمة أو وداعة. في هذه الحياة هناك احتمالان فقط: أن نكون عبيداً للمسيح أو عبيداً للخطية. جاء المسيح ليحررنا من عبودية الخطية (يو٨:٣٦)، وأن نكون أحراراً لكي نطيع الله في المسيح وأن نفعل ما هو صواب (رو٦: ١٦-١٨).

جاء الرب يسوع إلى العالم كخادم، وكعبد وعن طريق ذبيحة نفسه الكاملة كسر سيطرة الشرير على الجنس البشري وصالحنا مع الله. عندما يدعونا يسوع لنكون تلاميذه، فإنه يطلب منا أن نفعل نفس الشيء بنفس الطريقة التي وضع بها حياته، فقد أخلى نفسه وأخذ طبيعة العبد، علينا نحن أيضاً أن نضع حياتنا، وننكر ذواتنا ونصبح خداماً وعبيداً. إنه مستحق أن يطلب منا ذلك لأنه دفع الثمن بدمه. نحن ننتمي له. إنه فادينا، وربنا، وسيدنا.

كل من يريد أن يكون أولاً في ملكوت الله، يجب أن يأخذ مركز عبد. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الثاني والثلاثون
لا أريد أن ...

الله يسكن مع المنكسري القلوب: " لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ، سَاكِنُ الأَبَدِ، الْقُدُّوسُ اسْمُهُ: «فِي الْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ، وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ، لأُحْيِيَ رُوحَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَلأُحْيِيَ قَلْبَ الْمُنْسَحِقِينَ." (إش٥٧:١٥) يفهم المنكسرون ما جاء في (مت٥:٣) "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" وهم يعرفون معنى (مز٣٤:١٨) ومزمور (١٤٧:٣): " قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ. يَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ."

الانكسار هو العملية الروحية التي يجريها الله فينا ليحدث انكسار قلوبنا. تلك هي العملية التي يصلحنا الله فيها عن طريق الروح القدس حتى تصبح إرادتنا هي إرادته. بالنسبة لأغلبية الناس تعد هذه عملية مذلة، أو مؤلمة، وصعبة. ولكن لا يمكن تفاديها إذا كنا جادين بشأن اختبار بركة الله والرغبة في أن نحمل ثمر الروح.

تعيش في كل واحد فينا "الأنا" المليئة بالكبرياء. تلك الكبرياء، وتلك الذات فينا لها عدة أوجه. إنها مستقرة بعمق فينا بأكثر مما ندرك. نحن لا نستطيع أن نرى "الذات" بأنفسنا. في بعض الأحيان تمضي الأسابيع، والشهور بل والسنون في حياة المسيحي دون أن نلاحظ تلك الأشكال المختلفة "للذات" في حياتنا. ولكن عندما يفتح روح الله أعيننا، نلاحظ ذلك. تعمل الذات دائماً ما تريده، وتقاتل من أجل حقوقها، وهي مسلحة بالدفاع عن النفس، وترفض الاستسلام، وتبحث عن فخرها.

ومن الناحية الأخرى يبدو الانكسار على طرفي نقيض من ذلك: الانكسار يعني السجود أمام الله، والتخلي عن الإرادة، والحقوق، وعدم محاولة تبرير الذات، وتحمل الظلم، وعدم الإصرار على عمل الأشياء وفقاً لما يريد الإنسان وإتمام ما يطلبه الله. الانكسار يؤدي بالمرء إلى أن يموت عن التفاخر بالمعرفة الذاتية، وعن الحقوق الذاتية، والحكمة البشرية، والرغبات، والطموحات.

الانكسار يعني أن أضع حياتي، وقراراتي، ومستقبلي بين يدي يسوع وأعهد إليه بكل هذه. إنه يمنحني قدراً كبيراً من الحرية! فأنا لا أضطر لأن أحقق خلاصي بنفسي، وأن أضع خططي الخاصة، ولكني أستطيع أن أترك كل شيء في يدي أبينا الذي يهدي طريقي بالحكمة والفهم. إنه يقودني في هذا الطريق، ويحميني.

ولكن المعركة مع الذات شديدة الوطيس: فعلى المستوى الأعمق فهي صراع على السيطرة ــ ليس إلا. إن الذات تريد أن تقرر لنفسها بشأن كل شيء في الحياة، وتتبع ما تريد، وتفعل

ما تشاء، وتنهمك في أنشطتها الخاصة. تعيش الذات لكي تبقى بمنأى عن الأذى ولأجل الرضا عن النفس. تلاحظ الذات بشكل سلبي احتياجات العالم ولا تحرك ساكناً بشأن ذلك. تجد الذات أمانها في الممتلكات، والرصيد المتضخم في البنوك، وتقرر الذات مقدار ما تعطيه، والمكان الذي تقدم فيه ما تعطيه، ووقت العطاء، ولمن تعطي. تحدد الذات بنود وشروط التقدمة.

تشعر الذات دائماً بالتعرض للأذى والظلم، وتثور، وتقلق، وتمتلئ بالغيرة والحسد، أي بالمرارة والانتقاد للآخرين. تؤكد الذات إنها دائماً تعرف ما هو أفضل، ويعني ذلك التصلب والعناد، وتحجر القلب، ويصبح الاقتراب منها شديد الصعوبة وهي لا تحب أن تقتسم الفراغ المحيط بها مع شخص آخر. إنها نفس الذات التي تعاني من القلق، والخوف، والاكتئاب لأنها لا تفعل ما تريد. إن الذات أيضاً تتسم بالجبن، والخجل والتحفظ.

الدواء الوحيد لهذه الذات غير المنكسرة هو الصليب. لا شيء آخر يمكن أن يكون مؤثراً. إن انكسار القلب ليس شيئاً يحدث مرة واحدة فقط ــ إنه عملية يومية. ونحن نعتبره مذلاً بقدر
كبير، فمن المستغرب إلى حد كبير ألا نقاتل لأجل ذواتنا.

تعلمنا الإعلانات التجارية عن كل ما يتعلق بحقوقنا، ومدى أهميتنا، وما يجب أن نمتلكه، وأننا نستحق فقط كل ما هو أفضل وبالتالي فنحن الجديرون بالحصول عليه. ولهذا السبب فإن المؤمنين سوف لا يشعرون بالراحة في هذه الحياة، وحتى اليوم الأخير فيها، لأن المؤمن له خيارات مغايرة. المؤمنون يختارون ما هو مضاد للذات، وهم يختارون ما هو مضاد لإرادتهم حتى يفعلوا مشيئة الله ويرضوه.

الانكسار من اختيارنا وهو نتيجة لعمل الله فينا في نفس الوقت. إننا يجب أن نفضل إرادة الله دائماً، ويومياً، ومراراً وتكراراً. إن عملية الاختيار هذه تأتي بالألم والدموع. يوجد نوعان من الألم. أحدهما ألم الخسارة ــ أن نشعر بالحزن بسبب ما نتخلى عنه أو نخسره. ولكن هناك نوع ثان من الألم، وذلك هو الألم الذي نختبره عندما ندرك ما يسببه ذلك لله عندما نُصر على إتباع مشيئتنا الذاتية، وعندما نحاول أن نمسك بزمام قيادة حياتنا وعندما ندرك مقدار الضرر الذي يسببه سلوكنا.

يعبر الانكسار عن خصاله في اللطف أو الوداعة. في اللغة اليونانية، تترجم كلمة "وداعة" أيضاً بمعنى القوة المقيدة أو المحتجزة. إنها لا تعني أنه ليست لدينا قوة، بل تعني فقط أن تلك القوة تحت السيطرة، فهي مقيدة. انكسار القلب لا يعني أنه ليست لدينا إرادة، بل تعني أننا نختار إرادة الله بإرادتنا.

يكشف الانكسار عن حياة الله فينا. وعلى الرغم من أن ذلك قد يبدو غريباً، إلا أن حياة الله تصبح واضحة فينا عندما نكون ضعفاء، وعندما نشعر وكأننا قصبة مرضوضة وفتيلة مدخنة،

وعندما يكسر الله أوانينا الخزفية. وعندئذ، وأكثر من أي وقت مضى، فإن العبير الإلهي يفوح منا مثل رائحة بتلات الورد المسحوقة. عندئذ يبدأ الزيت ينسكب من الآنية الخزفية.

الانكسار يعني أننا قد وصلنا إلى نقطة العجز الكلي والكامل، إلى النقطة التي لا يكون لدينا فيها المزيد من الخطط أو النصائح لأنفسنا. عندما يحدث ذلك، يجب أن نعرف ونفهم أن الله الآب قد أوصلنا إلى تلك النقطة. عندما نصل فقط إلى نقطة فقدان الرجاء الكلي، واليأس، والعجز نصبح راغبين في عمل مشيئة الله. من الضروري في غالب الأحيان أن "نحطم" و "نعصف" بكل شيء حولنا لكي نصل إلى النقطة التي نبدأ فيها في أن نفهم أن طريقنا وسبيلنا يؤدي إلى الدمار والموت، ولن يأتي بالثمر الروحي.

إن الجسد، والإنسان "العتيق"، والطبيعة "القديمة"، والذات، تجد قوتها في هذه الكلمات: أستطيع وأعرف كيف. لا تعرف الذات كيف تصيح قائلة "يا يسوع، يا ابن داود، ارحمني!" الانكسار يعترف قائلاً: لا أستطيع ولا أعرف كيف...

يأتي الانكسار عندما يخترق الله القشرة الصلبة "للذات" فينا، حتى تظهر الذات أمامه، وهي عارية وقابلة للعطب، نعم إلى الحد الذي نصرخ فيه قائلين: يارب افعل بنا ما تريد، افعل إرادتك. عندما نصل إلى هذه النقطة فقط يظهر الله محبته ونعمته لنا بالكامل.

عندما تفقد الذات، فأنت لا تفقد شيئاً ذا قيمة. الذات عديمة الجدوى، وعاجزة. وكلما ازداد تقدمك في طريق انكسار القلب، ازداد إدراكك لحقيقة أن الذات منفرة تماماً وغير مقبولة.

إن عملية الانكسار شبيهة بعملية ترويض الحصان. فالحصان البري يمكن ترويضه لدرجة أنه يمكن لشخص ما أن يركب على ظهره ويوجهه في الاتجاه الذي يريده الراكب. والراكب، وليس الحصان، هو الذي يقرر إن كان الحصان يجب أن يقف، أو يمشي، أو يسرع أو يخب أو يعدو. في أغلب الأحوال يمكن ترويض الخيول من أحد الجوانب فقط. وهذا يعني على سبيل المثال أنه يمكنك أن تمتطي الحصان من الجانب الأيسر على سبيل المثال. وإذا حاولت أن تمتطيه من الجانب الأيمن، فإنه لن يقف ساكناً. بنفس الطريقة، توجد جوانب في حياتنا لم يتم ترويضها بعد. نحن نسمح للرب بأن يتكلم إلينا بشأن أشياء معينة، ولكن في جوانب أخرى لا ندعه يتدخل في حياتنا على الإطلاق. بالنسبة للبعض منا فإن هذا الجانب هو المال، وبالنسبة لآخرين فإنه المكان الذي يعيشون فيه، أو المركز أو أطفالهم. هل هناك مثل هذا الجانب في حياتك؟

لا يمكن للخزاف أن يستغل الصلصال الاستغلال الأمثل إلا إذا كان ليناً وطيعاً. فإذا كانت هناك أشياء صلبة أو قطع من الحبيبات الرملية الخشنة في الصلصال فإنه لا يصلح للاستعمال. إذا كانت هناك قطع صلبة في الصلصال لا يمكن تشكليه. إنكسار القلب يعني أن نُخضع مشيئتنا لله إلى الدرجة التي يمكن فيها أن يشكلنا ويصوغنا كما يريد. إنكسار القلب لا

يؤدي بالشخص أبداً إلى البحث عن فائدته الشخصية، بل البحث عن مشيئة الله وما يرضيه ــ تماماً كما يتشكل الصلصال في يدي الخزاف.

ما الذي يعوق الانكسار؟ إن الإيمان بالذات وبقدراتها، المتأصل في الكبرياء، أكبر حجر عثرة. السبب الثاني هو عدم إدراك مدى تغلغل فسادنا. ثالثاً هناك أيضاً عدم قدرتنا على فهم مقدار اختلاف الله وملكوته عنا، وعجزنا عن سبر غور عظمته وسلطانه. إن تقدمنا في طريق إنكسار القلب يتحقق عندما نبدأ في فهم سلطان الله بشكل أفضل. ولا أعني هنا المعرفة العقلية للحقيقة الجامدة التحليلية بأن الله صاحب السيادة المطلقة، بل المعرفة المتولدة عن الاختبار العملي.

هل نستطيع أن نؤمن بأن الله، إلهنا، يسيطر سيطرة تامة حتى على توافه الأمور في حياتنا؟ وكما يعرف ويتحكم حتى في عدد الشعيرات على رأسي، فهو يعرف أيضاً ما يتعلق بكل مرة تعرضت فيها للظلم. إنه المتحكم في كل ما يتعلق بزوجي أو زوجتي والأطفال. إنه ملكي وإلهي على الرغم من ألمي، والسرطان الذي في جسدي، وموت طفلي...

يسمح الانكسار لله أن يستخدم أي شيء في حياتي، طالما أن ذلك يؤول لمجده، وطالما أن ذلك يقربني إليه، وطالما إني آتي بالمزيد من الثمار وأعرفه بشكل أفضل.

المؤمنون المنكسرون هم أناس بمقدورهم احتمال الظلم، وسير الميل الثاني مع شخص ما، واعتبار الآخرين أهم من ذواتهم، وعدم تقدير ذواتهم بأكثر مما يجب. إنهم يعطفون على الآخرين ويتعاملون بلطف مع الضعفاء والمتعثرين.

هناك موضوع ختامي مؤلم يتعلق بنوع الأداة التي يستخدمها الله ليكسرنا. إنها عادة ليست الأداة التي نفضلها. غالباً يختار الله المؤمنين الآخرين لتحقيق ذلك الانكسار. إن الخزاف يعرف بالضبط ما هو الإزميل الذي سوف يحدث الإتقان الضروري لخلق الجمال الذي يريده في التمثال الذي ينحته. وكما أن الخزاف يستخدم عادة فرناً أشد حرارة من تلك التي كان من الممكن أن يختارها الوعاء، لو أتيح له ذلك الاختيار، فإن الله يختار أيضاً الأداة أو العملية التي نكرهها أو نخاف منها أشد ما يكون.

ولكنه ما أبداً يرتكب أي خطأ. إن الله دائماً يكسرنا لخيرنا ولفائدتنا. يالها من بركة لا توصف أن الله، في نعمته الغنية، يعمل هذا لأجلنا.

أن أفعل مشيئة الله، وأن أسمح له بأن يحطم إرادتي ويختار إرادته، فذلك هو الطريق الآخر.

الفصل الثالث والثلاثون

التلاميذ الذين على شاكلة يهوذا

" وَأَمَّا أَسْمَاءُ الاثْنَيْ عَشَرَ رَسُولاً... وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ الَّذِي أَسْلَمَهُ." (مت١٠: ٢-٤)
" أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، الاثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!." (يو٦: ٧٠)

منذ عدة قرون مضت رسم ليوناردو دافنشي لوحة العشاء الأخير. أول الشخصيات التي رسمها كان يسوع. أخذ دافنشي يجوب الشوارع عدة أيام، بحثاً عن شخص يشبه يسوع. وأخيراً وجد الوجه "الكامل" ــ شاب مرح ومفعم بالحيوية. وبعد ذلك رسم التلاميذ، واحداً وراء الآخر. وأخيراً، بعد ما يقرب من عشرين سنة بدأ الرسم من جديد، مازال كان عليه أن يرسم الشخصية الأخيرة، يهوذا الإسخريوطي.

مرة أخرى أخذ يجوب الشوارع لعدة أشهر بحثاً عن نموذج مناسب. في يوم ما سار في شارع خلفي ورأى رجلاً في ثياب قذرة ومهلهلة، رجلاً تستطيع أن ترى على وجهه آثار حياة مدمرة. عندما نظر إليه الرجل، عرف ليوناردو دافنشي على الفور: هذا وجه يهوذا. بعد أن رسم شخص يهوذا، سأله الرجل إن كان لم يتعرف عليه بعد وكانت الإجابة بـــ: لا. قال الرجل: "أنا نفس الشخص الذي استخدمته منذ عشرين سنة مضت لرسم شخص يسوع." وقف دافنشي مذهولاً وسأله: "ماذا حدث لك؟" كانت إجابة الرجل: "سمحت للمرارة والخطية بالدخول إلى حياتي."

يهوذا! اسم لا نريده. لا أحد يريد أن يكون يهوذا. يهوذا واحد في تاريخ الجنس البشري كاف. ومع ذلك، وحتى يومنا هذا، مازال هناك الكثيرون الذين يشبهون يهوذا والكثيرون من التلاميذ الذين على شاكلته.

إنهم في كل طائفة، وكل بلد، وكل قارة. إن التلاميذ الذين على شاكلة يهوذا في الغالب تلاميذ واعدون. إنهم يحصلون في العادة على تقارير جيدة عندما يكون هناك تقييم أو اختيار لهيئة العاملين ــ في تقييم القيادة من المرجح أن يكون لهم ملف متميز في الناحية القيادية. يبدو أنهم أهل للثقة وغالباً ما يكونون مسئولين عن موضوعات هامة مثل الشئون المالية. لا يبدو الأمر كما لو أنه يجب إعطائهم الفرصة، كلا، كل شيء يشير إلى حقيقة أنهم مختارون بالفعل ليكونوا أعضاء في فريق العمل.

وهكذا اختير يهوذا الاسخريوطي جنباً إلى جنب مع الأحد عشر الآخرين بعد أن قضى يسوع ليلة في الصلاة. لابد أنه كان يبدو أهلاً للثقة لأنه كان مسئولاً عن الشئون المالية. وقد أرسل مع الآخرين ليعلن الإنجيل. لقد قام بعمله خير قيام: أخرج الشياطين، وشفى المرضى، ورأى الناس يتوبون، وأجرى وشهد المعجزات، وصلى

وبشر وقدم النصائح. تماماً كبقية التلاميذ. وكالآخرين، اُختتن واعتمد. لقد كان من جميع الأوجه يتكلم ويتصرف كتلميذ مسيحي ومكرس.

وشأنه شأن الأحد عشر الآخرين ترك كل شيء خلفه، وودع العائلة والأصدقاء وتبع يسوع. وفي إحدى المرات كثيرون من أتباع يسوع تركوه لأنهم قالوا " إِنَّ هذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ!" (يو٦:٦٠). ولكن الاثنى عشر لم يتركوا يسوع، بل بقوا معه ــ وكان يهوذا واحداً منهم. حتى النهاية آمن الجميع به، ووثقوا فيه وشاركوه في كل شيء.

لقد كان ملماً بالمعرفة ــ فإن أفضل معلم، يسوع نفسه، كان معلمه. ولكن كان ذلك بلا فائدة. إن معرفته لم تغير قلبه. كانت له صورة التقوى، وليس قوتها. كان بإمكانه أن يتظاهر بالمحبة دون أن يلحظه أحد. لقد كان هناك عندما أطعم يسوع الأربعة آلاف والخمسة آلاف، ورأى بعينيه كيف كان العرج يمشون ثانية، والعمي يبصرون من جديد، والموتى يقومون والبرص

يطهرون. ولكن ولا معجزة من تلك المعجزات غيرت قلبه.

كيف عامل يسوع يهوذا؟

لم يُظهر يسوع أبداً بأي طريقة أنه كان يعتقد في وجود مشكلة تتعلق بتلميذه، لا بكلمة واحدة أو بالصمت، أو بنظرة ذات مغزى، أو بتوزيع العمل، أو بالتكليف بالمسئوليات أو ما شابه ذلك. لم يقم يسوع بفضح يهوذا. لقد اعتمد عليه تماماً كما كان يعتمد على الآخرين. وفي خلال الليالي الكثيرة التي صلى فيها يسوع، من المرجح أنه كان يصلي أيضاً ليهوذا. ولكنها كانت صلوات بلا نتائج. لقد ضلل يهوذا الجميع، فيما عدا معلمه.

لقد سمح يسوع ليهوذا بأن يحمل كيس النقود. فقد كان "وزيراً للمالية". كان يسوع يعرف أن يهوذا كان يسرق المال ومع ذلك لم يتوقف عن الصلاة لأجله، والوثوق فيه ومشاركته نفس أسرار الإنجيل التي كان يشرك فيها الآخرين. كان يهوذا يحصل على نفس القدر من الحب كالآخرين. وفي العشاء الأخير غسل يسوع رجلي يهوذا كما غسل رجلي بطرس، ويوحنا وأرجل الآخرين. وحتى في جثسيماني، بعد أن سلم يهوذا يسوع بقبلة، كان يسوع لا يزال يدعوه "صاحباً".

تعلم يهوذا جيداً على يد المعلم الكامل وقبل قوة الروح

القدس. لمدة زادت على ألف يوم كان يسوع يتحدث معه، ويحبه، ويعلمه، ويوبخه ويشجعه. شأنه شأن الآخرين حصل يهوذا على نعمة فوق نعمة من يدي معلمه. ماذا كان رد فعل يهوذا؟ أصبح قلبه أقسى بمرور الأيام. ولمدة تزيد على ثلاث سنوات كان يقاوم الروح القدس يومياً، ويحزنه وأخيراً أزاحه بعيداً عنه.

لم يستطع يهوذا أن يتصور الأبدية. لقد سمح للفرصة أن تتخطاه، مراراً وتكراراً. هل كانت هناك أوقات كان فيها على وشك الإنهيار؟ أعتقد ذلك. ولكنه لم يفعل. بعد أن سرق ذات مرة ولم يحدث شيء، فعل ذلك مراراً وتكراراً. لقد احتقر كل فرصة للفداء، والاعتراف، والتوبة. لقد استبدل بالغنى السماوي كنوز العالم. أما حقيقة أن يسوع كان يضع ثقته فيه لم تغير من الأمر شيئاً.

أخيراً ذهب إلى رؤساء الكهنة وتفاوض بشأن ثمن تسليم معلمه لهم ــ ثلاثون من الفضة كان ثمناً كافياً ليسلم ابن الله. لم يكن يفكر كثيراً في يسوع لدرجة أنه باعه بثمن العبد. لقد رفع عقبه على ابن الله: " أَيْضًا رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!" (مز٤١:٩؛ يو١٣:١٨).

كيف يمكن لشخص ما أن يكون في حضرة يسوع طوال هذه
المدة ويتمكن من ارتداء قناع كاذب دون أن يفتضح أمره؟ إن يهوذا الحقيقي لم يظهر سوى معدنه الحقيقي بعد جثسيماني بوقت قليل. هنا يكمن السر: الصليب يكشف ما هو مخبوء في حياتنا! قبل جثسيماني كان بإمكان يهوذا أن يتظاهر بما هو على خلاف الحقيقة، ولكن عندما تمت مواجهته بالصليب وطريق الصليب، فما كان مخفياً في قلبه تعرض لضوء النهار.

انتبه جيداً: لقد صعد يهوذا إلى جثسيماني. إنه لم يدخل البستان مع يسوع. لقد امتحن الله قلوب التلاميذ في جثسيماني وعرف يهوذا أنه لن يتمكن من النجاح في الامتحان. كل من يدخل جثسيماني سوف يتحتم عليه أن يحمل الصليب ولم يكن يهوذا مستعداً لذلك. كان يريد تاجاً، وليس صليباً! لقد كان حاضراً عندما قال يسوع: " إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي." (مت١٦:٢٤). ظل ذلك القول محفوراً في مخيلته وفي ليلة العشاء الأخير عرف أن الوقت لحمل الصليب قد حان ــ وهو لم يكن مستعداً لذلك.

توجد لحظة فاصلة يستولي فيها الشيطان على قلب المرء إذا قاوم بعناء الحق، وروح الله والإنجيل. هذا ما حدث ليهوذا. فبعد سنوات عديدة من رفض نعمة فوق نعمة بإصرار، سيطر الشيطان عليه ودمره (يو١٣:٢٦). في العشاء الأخير، في ليلة ما قبل صلبه، بذل يسوع محاولة أخيرة للوصول إلى قلب يهوذا. كان ترتيب الجلوس بحيث يحتل يهوذا مكان الصدارة. لقد كان يسوع يعرف من قبل مؤامرة يهوذا، ومع ذلك حاول مرة أخرى أن يصل إليه. كان يهوذا أول من تناول قطعة الخبز من يد يسوع. أخذ الخبز للمرة الأخيرة ــ ثم واصل ببساطة حياة الغش والرياء. ما حدث في تلك الليلة كان يحدث كثيراً وأخيراً: دخله الشيطان. لقد انتهى زمن النعمة بالنسبة ليهوذا.

كان هناك شيء مختلف في قلوب التلاميذ الآخرين، لأنه على الرغم من أنهم كانوا قد تشتتوا بعد تلك الليلة المرعبة، إلا أنهم عادوا، وقد كانوا هناك (على الأرجح كلهم) عندما

صلب يسوع. وبعد الصلب تقابل يسوع معهم وأوضح لعقولهم كل شيء حتى فهموا كل ما كان يحدث. وفي دخيلة نفوسهم كان إتباع يسوع يعني دائماً ما هو أكثر من المال أو التاج. ولهذا السبب وجدوا الحق، يسوع نفسه.

خسر يهوذا كل شيء، لأن الذات، والتاج والمال كان الدافع الخفي في قلبه. كان في قلبه الطمع، والجشع، وكان مرائياً، وخائناً محتالاً. عندما فهم أن يسوع سوف يموت حقاً، شعر بالندم لأجل ما "خسره"، وأنه أضاع وقته ولم يكن بمقدوره تعويض ما ضاع. لقد ندم على عواقب أفعاله، وليس على شره، وخطيئته وقساوة قلبه. كان هذا هو الفرق بينه وبين التلاميذ الآخرين.

السؤال هو: ما مقدار ما فيك وفيَّ من شخصية يهوذا؟ ألا نسلك نحن أيضاً، في بعض الأوقات، نفس الطريق الذي سلكه يهوذا؟ الطريق الذي تصبح فيه الذات والمكاسب الشخصية آلهتنا؟ كانت حياة يهوذا هي حياة التظاهر الكاذب والمظهر الخادع. ألا ينطبق ذلك كثيراً على حياتنا؟ كانت حياة يهوذا هي حياة الرياء، والجشع، وعدم الأمانة، والخيانة. إلى أي حد يمكن أن يقال ذلك عنا؟ كان اختبار يهوذا صاعقاً ومسبباً للصدمة ــ كان اختباراً أحمق لدرجة لا يمكن أن يصدقها عقل، وحياة ضائعة. ومع ذلك، فما عدد الخيارات المسببة للصدمة التي نتخذها في كثير من الأحيان؟ هناك خيارات قاسية وظالمة، وخيارات أنانية، وخيارات تتسم بالعناد، وخيارات لا تكرم الله. ولكن لا تجرؤ أن تدعونا تلاميذاً على شاكلة يهوذا!

إذا كنا جادين فيما يتعلق بيسوع ورسالته، فنحن بحاجة أن نفحص قلوبنا بعناية. هل قلوبنا لا تتقسى في الكثير من الأحيان عندما نسمع الإنجيل وألا نتجنب طريق الصليب في بعض الأحيان؟ ألا نتجنب بقدر المستطاع جثسيماني الذي يعده الله لنا وألا نبحث عن طريق أكثر سهولة ــ حتى إن كان الله يعتقد أنه من الضروري لنا أن نجتاز في "معصرة الزيتون"، وأن يرسلنا لكي نجتاز في جثسيماني، حتى يمكن تنقية دوافعنا، وأفكارنا، وعقولنا وأعمالنا؟

قال يسوع: اخترت الاثنى عشر وواحد منكم شيطان. يالها من كلمة قاسية. يالها من فكرة كئيبة. إن المرء ليتساءل عن عدد من هم على شاكلة يهوذا في كنائسنا اليوم!

هل يمكنك أن تتعرف على شيء ما من يهوذا في قلبك؟ تعال إذن ليسوع. تُب واعطِه قلبك، وهو سيحررك. لا تخف من طريق الصليب ولا تحاول تجنب الصليب.

قال يسوع: " فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا." (مت١٦:٢٥). هذا هو الطريق إلى الحياة الأفضل. وفي نفس الفقرة قال يسوع: " لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (مت١٦:٢٦).

هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الرابع والثلاثون
خارج سور المدينة

" فَإِنَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ الْخَطِيَّةِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِيَدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. لِذلِكَ يَسُوعُ أَيْضًا، لِكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ. فَلْنَخْرُجْ إِذًا إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ. لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ." (عب١٣: ١١-١٤)

ما هو السور المشار إليه في (عب١٣)؟ هل هو سور روحي قد أقامه الله مبدئياً لكي يفصل بين ما هو طاهر وما هو نجس. في العهد القديم لم يكن يُسمح بدخول أي شيء نجس إلى داخل محلة الإسرائيليين. كان كل شيء أو كل شخص نجس يُلقى به خارج المحلة وفيما بعد خارج سور المدينة. ولابد أن يبقى في الخارج. كانت كل أنقاض المدينة يُلقى بها خارج سور المدينة وتحرق هناك، والذين لم يكن مسموحاً لهم بدخول المدينة كانوا يضطرون للبقاء خارج السور ــ وكان البُرص أيضاً يعتبرون نجسين.

لقد مات يسوع المسيح خارج سور المدينة (أورشليم) وقد مات لأجل الذين كانوا يعيشون خارج السور (الباب): كالمنبوذين، والمحتقرين والمرفوضين، وغير المرحب بهم، والملعونين، ومن أجل الذين بلا أسماء وبلا كرامة. خارج الباب كان يعيش أولئك الذين كانوا تحت لعنة، لعنة الله. كان يُسمح لهم فقط بدخول المدينة حين كانت تُرفع تلك اللعنة. (١كو٦: ٩-١٠) يصف الناس الذين كانوا يعيشون خارج السور.

يوجد عدد كبير من الناس خارج السور في وقتنا أيضاً. في الواقع فإن السواد الأعظم من الجنس البشري يعيش "خارج" السور. لقد أقاموا لأنفسهم بالفعل مدينة خاصة بهم وهم يعتقدون أنهم الوحيدون الذين يعيشون بداخل سور المدينة!

ما الذي يمكن للمرء أن يفعله لكي يُسمح له بالدخول إلى داخل سور المدينة؟ الصليب فقط يستطيع أن يحمل لعنة الخطية، ويجعل دخول المدينة متاحاً مرة أخرى.

في يوم ما حمل يسوع صليباً وخرج به إلى خارج الباب تجاه النجسين والملعونين، بغرض حمل هذه اللعنة وهذه النجاسة لتكون عليه. استطاع الصليب أن يطيح بباب المدينة. استطاع الصليب أن يمزق حجاب الهيكل الذي كان يؤدي إلى الأقداس إلى نصفين ولهذا السبب أصبح لدينا الآن حق الدخول إلى الله.أصبح باب المدينة مفتوحاً. لقد مكننا يسوع من الدخول إلى المدينة مرة أخرى.

نعم، إن الباب مفتوح، والذين هم موجودون بالفعل في الداخل، يمكنهم الآن الخروج إلى الخارج ودعوة الذين في الخارج إلى الدخول، ويمكننا أن نخرج ونخبر الناس عن الخلاص.

يمكننا أن نخبرهم أنه ليس من الضروري بعد الآن أن يموتوا في يأس خارج بـــاب المدينـــة، وأنه يوجد مكان بالداخل. هذا ما دعانا الله لأجله: أن نخرج ومن زوايا الـــشوارع والطـــرق والسياجات ندعو الناس إلى الدخول. إن الله يرسلنا لنتلمذ كل الأمم. إنه يدعونا لنـــذهب إلـــى أندية المخدرات والقمار، والكازينوهات، وإلى جيراننا، وإلى الفقراء في العـــشوائيات، وإلـــى الشباب المترف بسياراتهم الفاخرة وجداول أعمالهم المكدسة، وإلى السماسرة وإلى الـــشحاذين. يجب دعوة الجميع ليأتوا ويعيشوا داخل المدينة. إن موت يسوع على الصليب قد فتح الأبواب.

ولكننا الآن قد بنينا أسواراً جديدة، أسوارنا الخاصة بنا. أسواراً للراحة، وأســـواراً لحمايـــة خصوصيتنا، وراحتنا، وأسواراً تخفي التحيز، وعدم المحبة، ونفاقنا. كثيـــرون قـــد أحـــاطوا ذواتهم بأسوار اجتماعية وثقافية وبأسوار اللغة والإثنية، ودون إدراك منـــا، قـــد بنينـــا أيـــضاً أسواراً جديدة في الكنيسة، لجعل المسيحيين في الداخل والعالم الهالك في الخارج.

هل بنيت أسواراً حول حياتك، وجدراناً تستبعد الآخرين وتسمح فقط لمجموعة صغيرة مـــن "المختارين" بالداخل؟ أسواراً تفصلك عن الخطاة؟

لهذا السبب يأتي يسوع إلينا مرة أخرى اليوم، حاملاً صليباً على كتفيه، ولهذا الـــسبب فإنـــه يجتاز من خلال "أبواب" تلك الأسوار الجديدة التي تفصلنا عـــن جيراننـــا، وعـــن الملعـــونين والمنبوذين في مجتمعنا. إنه يمشي تجاه الناس الذين حمل لعنتهم منذ ما يزيد على ألفي ســـنة مضت، وهو يسألنا إن كنا على استعداد أن نذهب معه.

علينا أن نتذكر أن كل واحد فينا عاش ذات مرة خارج السور. هل نسينا كـــل مـــا يتعلـــق بذلك؟ هل نسينا كيفية المعيشة خارج السور كبشر ملعونين، كمنبوذين؟ هل نـــسينا معنـــى أن نكون قد فقدنا الرجاء؟ هل نسينا الخوف؟ والألم، واليأس، والاحتقار؟ أن نعيش حياة بـــلا إلـــه وحياة الهجر من الله؟ حياة نعاني فيها من ألم الخطية وخزيها؟ هل نحن الآن قد وضعنا أنفسنا في المركز الذي يتيح لنا أن نشير بأصابع الاتهام إلى الآخرين ــ هل نعتقد أننا أفـــضل قلـــيلاً (أو كثيراً) من الذين يعيشون خارج السور؟

لقد دفع يسوع الثمن لكي يمشي من خلال باب المدينة ويذهب
إلى الملعونين خارج المدينة. وبالمثل، فإن ذلك سوف يكلفنا أيضاً شيئاً، في الواقـــع إن ذلـــك سوف يكلفنا حياتنا لكي نذهب إلى المخلوقات المحتقرة خارج السور. سوف يتعـــين علينـــا أن نموت عن نفورنا من أناس كهؤلاء، ومن خطيتهم وحياتهم الفاسدة. ســـوف يتعـــين علينـــا أن نذهب ونعيش وسطهم. لقد عاش يسوع وسط الزناة والعشارين. فكيف ننكص عـــن أن نفعـــل ذلك؟

عندما ذهب يسوع إلى المنبوذين، لم تستطع المؤسسة الدينية أن تفهم ذلك. لقد نعتـــوه بأنـــه أكول وشريب خمر. ولكن يسوع مضى في طريقه، غير عابئ بما فعلوه أو بما فعلـــه النـــاس

خارج السور. لقد مضى في الطريق برغم ما فعلوه. لقد ذهب على حسابه الخاص. لقد ذهب لأنه كان مدفوعاً بإرادة أبيه ومحبته للناس. إن الذين خارج السور لم يفهموا أيضاً لماذا أتى إليهم. إن الجماهير في الجلجثة عيروه، وسخروا منه، وأبغضوه وفي النهاية رفضوه.

وسوف يكون الحال هكذا على الدوام. سوف يكون هناك دائماً في الكنيسة أناس لن يستطيعوا أن يفهموا لماذا نحن بحاجة أن نذهب إلى أولئك الذين في خارج سور المدينة وبالمثل، سوف يكون هناك دائماً أناس خارج سور المدينة لن يستطيعوا أن يفهموا نوايانا الحسنة. ولكن بعضهم سوف يفهم ويؤمن. إن ذلك جيد بما فيه الكفاية. لقد فهم قائد المئة، وكذلك فعل اللص على الصليب.

الوصية أن نخرج من باب المدينة ونذهب لنبحث عن الضالين، والنجسين. هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الخامس والثلاثون
الأعمال غير المثمرة

" لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ، لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي." (يو ١٥:١٦).
" فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ... يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ (تؤدي للموت) لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!" (عب ٩:١٤).

هل تحمل حياتك الروحية ثمراً يدوم ؟.

إننا كمسيحيين، نعرف أن علينا أن نعمل من أجل الرب. فيجب أن نعمل أعمالاً صالحة. فكثيراً ما يعمل الناس عمل الرب من أجل الرب، لكن بدوافع خاطئة. وحين يكون الدافع خاطئاً فإن الأعمال التي نعملها " الأعمال الصالحة"، تصير أعمالاً ميتة. وهذه الأعمال لا تحقق أي شيء، وليست مقبولة لدى الله. فيجب أن ننجو من الأعمال الميتة ونتطهر منها ونرفضها ونستنكرها. الموضوع في المقام الأول ليس هو الصواب والخطأ؛ وليس هو مسألة أن ما أفعله هو فعل خاطئ أم لا. بل المهم هو الدافع وراء ما أفعل. وبتعبير آخر، كيف يرى الله ما أفعل ؟؛ وأي عمل من أعمالي الصالحة يعتبر عملاً ميتاً في نظر الله ؟.

هناك فرق بين الخطية والأعمال الميتة. فالخطايا أعمال أعملها في معصية للرب. وتقع تلك الأفعال تحت حكم الله ودينونته. والنتيجة أنني قد أسير في طريق الهلاك. أما الأعمال الميتة فأمور لا يحظرها الكتاب المقدس ولا يمنعها. لكنها أمور أقوم بها بدافع خاطئ، أو بمبادرة ذاتية. إنها ضياع للقوة والطاقة بلا معنى وبلا فائدة. ولا يسر الله بتلك الأعمال. فمثلاً، قد أؤدي صلوات شكر بانتظام، أو أشترك في الكنيسة وفي أنشطتها، أو أقوم بعمل روحي وأقود الناس إلى الرب يسوع. وربما أشترك في الأعمال الخيرية وفي خدمة المحتاجين والمرضى والمشردين والمسنين. لكن لو أنني انشغلت بأمور لم يطلب الله مني عملها، أو لو أن الدافع في قلبي خاطئ؛ فكل أعمالي إذن هي أعمال ميتة. فما شكل الأعمال الميتة؟. وهل يمكن أن أدان بسبب تلك الأعمال أو أصير مذنباً بسببها؟.

لو أنني أعمل عملاً من أجل الرب، لكن الدافع عندي ليس أن أكرم الرب يسوع، أو أن أمجده، فأعمالي إذن ميتة. فإذا عملت أموراً من أجل منفعتي الخاصة أو لمصلحتي الشخصية وليس لتمجيد الله، فأعمالي هذه ميتة. ولو أنني قمت بعمل من أجل الرب، لكن اهتمامي ليس إرضاء الله أو الناس، فأعمالي إذن ميتة. وحينما أؤدي ما أعمله لمجرد أن يراني الآخرون وأنال المديح منهم، وليس من أجل تمجيد الله وتسبيحه، فحينئذ تكون هذه الأعمال ميتة.

وعندما أقوم بما أعمله من أجل منفعتي الخاصة أو لمصلحتي الذاتية، فأعمالي إذن أعمال ميتة. وعندما يكون الهدف الأساسي لعملي هو نتيجة العمل وليس الله، وعندما يكون اهتمامي الرئيسي هو التحقيق والإنجاز أو حتى التفاخر بأنني عملت أكثر مما عمله أي شخص آخر، فحينئذ تكون أعمالي ميتة. وحينما أعمل من أجل الرضا الذاتي ومن أجل افتخاري الشخصي، فأعمالي ميتة.

حين أعمل أساساً نحو غاياتي ومقاصدي، وحين يكون اهتمامي الأول هو مقدار العمل وليس موقفي منه أو نوعية العمل، فستكون أعمالي حينئذ أعمالاً ميتة.

وعندما أعمل من أجل الرب، لكن ليس بإيمان، فيمكن تصوير أعمالي أنها ميتة. وحين أعمل من أجل الرب، لكن حسب نظام العالم ومبادئه، أو حسب اعتبارات أدبية للناس، فحينئذ تصبح أعمالي ميتة.

وإذا قمت بالعمل بسبب الإحساس بالواجب أو بدافع الواجب،

وليس لأن العمل يعطيني بهجة ويملؤني سروراً، فعملي هذا ميت.

وإن عملت بدون أن أموت أولاً عن ذاتي، أو إن حاولت أن أتجنب الصليب في العمل، أو لو لم يكن الصليب نقطة إنطلاقي للعمل، أو إن عملت حسب رؤيتي وتفكيري، وليس حسب إرادة الله؛ فتكون أعمالي حينذاك أعمالاً ميتة.

وإن كانت أفضل أعمالي معمولة بدافع من الذات، لكانت أمام الله كالنفاية. وإن كانت أعمالي أؤديها بقوتي وليس بقوة وقدرة الروح القدس، فهي حينئذ ميتة، والثمر الذي تحمله ثمر مؤقت يفنى ولا يدوم.

وحينما أحاول أن أعوض أعمالي السيئة بأعمال صالحة، وأحاول بذلك أن أكسب نعمة الله ورضاه وفضله، فأعمالي هذه ميتة.

وحين أحاول أن أكتسب الخلاص بأعمالي الصالحة، فهي إذن أعمال ميتة. وإن كان الدافع أو الحافز لأعمالي هو الخوف من العقاب، فحينئذ تكون تلك الأعمال ميتة.

وعندما أسمح لأعمالي أن تصير صنماً أو إلهاً أعبده، فهي أعمال ميتة. وإن جعلتني أعمالي أهمل أسرتي، أو حين يصبح ما أعمله مجرد وظيفة وليس دعوة من الله أستجيب لها، تصير

أعمالي هذه ميتة.

وعندما تأخذ أعمالي مكان الصلاة والشركة مع الله والسير معه والعلاقة اللصيقة معه، فأعمالي هذه أعمال ميتة.

وإذا صارت أعمالي أهم في نظري بكثير من أعمال الآخرين، وإذا ازدريت أعمال الغير واعتبرتها وضيعة، فأعمالي هذه إذن ميتة.

وحينما يصبح الناس أقل أهمية عندي من العمل الذي أؤديه، فعملي هذا ميت.

وحين أريد أن أعمل "أعمالاً عظيمة"، قد يصبح من المهم بالنسبة لي أن أؤديها أنا بنفسي، وليس أحد غيري، فحينئذ تصير أعمالي هذه ميتة. وإذا بدأت بالظن والتفكير في أهميتي الشخصية بسبب ما أقوم به أو بسبب ما يصنعه الله من خلالي، فحينئذ تصبح أعمالي ميتة.

وحين تحل أعمالي محل الطاعة للآب، فهي إذن أعمال ميتة.

فما هي الأعمال الصالحة إذن ؟

الأعمال الصالحة أعمال تمجد الله وتصدر دائماً عن الصليب وتتبع منه. الأعمال الصالحة أعمال تمجد الله الآب، وتخدم القصد الذي خلقني من أجله. الأعمال الصالحة تتولد عن المحبة للآب والعلاقة الوثيقة معه والسلوك معه. وكل ما أعمله يجب دائماً أن يكون من الله. كما يجب أن أعمله بمساندة منه وفي عمل مشترك معه، ولا يمكن فصل ذلك عنه.

الأعمال الصالحة تصدر عن قلب شاكر ممتن، قلب مملوء بكل عطايا الله لي. وهكذا، فإن كل ما أعمله لا أعود أعمله بعد من أجل اكتساب شيء أو لإثبات أمر؛ لكن أعمله كنتيجة للشكر والامتنان لله.

فلنعمل كل ما يمكن لأيدينا عمله، ولا نحتقر يوم الأمور الصغيرة البسيطة (زك ٤:١٠). وعندما نعمل أعملاً صالحة، فلابد أن نسمح للرب بأن يعملها من خلالنا، ونتذكر أنها مملكة الله، وبناء الله ، وحقل الله. فهذا إذن الطريق الآخر.

الفصل السادس والثلاثون
وقت أن نبقى صامتين

من الأشياء اللافتة للنظر فيما يتعلق بحياة يسوع حقيقة أنه في العديد من المواقف، لم يجب على الأسئلة الموجهة له، ولكنه آثر الصمت. ما معنى هذا الصمت؟ ما الذي نتعلمه اليوم كتلاميذ ليسوع من صمته؟

نحن نعيش في عصر المعرفة العظمى. فالجميع وكل من هب ودب يكتبون ويتحدثون ويتبادلون وجهات النظر. ولكن بعض أهم الفقرات ذات المغزى في الكتاب المقدس تصف المواقف التي لا يتحدث فيها يسوع ابن الله الكلي المعرفة.

نحن نقرأ في (يع٣:٢): "*لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْثُرُ فِي الْكَلاَمِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ، قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ أَيْضاً*." وفي سفر الجماعة (جا٣:٧) نقرأ "لِلسُّكُوتِ وَقْتٌ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتٌ." هناك مثل يقول: إن كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب. في (إش٥٣:٧) يقال عن يسوع: " ... كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ."

إذا أردنا أن نتبع المسيح المصلوب. هناك العديد من الدروس الهامة التي نحتاج أن نتعلمها من صمته.

لقد ظل صامتاً بشأن البركات التي حصل عليها الآخرون من حياته. نحن نقرأ في (مر٨:٢٦) أن يسوع قال للرجل الأعمى الذي شفاه في بيت صيدا: " لا تدخل القرية ولا تقل لأحد في القرية" وفي (مر٧:٣٦) نقرأ كيف أن يسوع، بعد شفاء الأصم الأعقد، قد أوصى الجمع ألا يقولوا لأحد. قال إشعياء ما يأتي عن المسيا الآتي: "لا يصيح ولا يرفع في الشوارع صوته". كان يسوع يقوم بعمله ويتحدث قليلاً جداً. وعلى الرغم من ذلك، فكلما أمر الناس ألا يتحدثوا عما فعل، كانوا يعلنون أكثر وأكثر عن أعماله. قال يسوع بوضوح تام في (يو١٧:١ و١٧: ٤-٥) أنه جاء لكي يمجد الآب. كان ذلك هو غرضه. إنه لم يأتِ لكي يجذب الانتباه لنفسه. لقد اختار الآب أن يمجد الابن ولكن يسوع ما مَجّد نفسه أبداً.

علينا أن نحذر من تمجيد أداة بشرية استخدمها الله. علينا أن نركز على تمجيد الله، لا الناس. وإذا كنا نحن أنفسنا تلك الأدوات، أو نحن كذلك الآن، فمن الأهمية بمكان أن نصمت. كم يسهل علينا أن نتحدث عن حالات كنا فيها بركة للآخرين!

يعلمنا الكتاب المقدس أن اليد الواحدة لا يجب أن تعرف ما تفعله اليد الأخرى. ومع ذلك فنحن في أغلب الأحيان نتحدث تحت شعار "الشهادة"، بينما الدافع الحقيقي هو إرضاء ذواتنا، ويفلت منا الزمام ويؤدي ذلك إلى الافتخار وخطية الكبرياء. دع أولئك الذين نالوا البركة أن

يشهدوا إذا أرادوا ذلك، ولكن علينا أن نحذر الحديث عن أعمال الله العظمى إذا كنا متداخلين فيها شخصياً.

ظل يسوع صامتاً في المواقف الصعبة والحساسة. في (يو٤: ١-٣) نقرأ أن الفريسيين لاحظوا أن يسوع كان له تلاميذ أكثر من يوحنا المعمدان. كان هذا موقفاً صعباً وحساساً. لما سمع يسوع ذلك لم يقل شيئاً، ولكنه ترك اليهودية وعاد إلى الجليل. إنه لم يدافع عن مركزه. لم يحاول أن يوضح أنه أعظم وأكثر أهمية من يوحنا. كلا، فقد عاد إلى الجليل. لقد أعطى يوحنا المهلة لكي يتمم ما دعاه الله لعمله. لقد تجنب يسوع أي مقارنة بين عمله وعمل يوحنا المعمدان. لقد انسحب ببساطة من الموقف. لقد تم حل المشكلة بصمته وإنكار ذاته. بهذا السلوك منع الشرير من استغلال الموقف.

في (يو٨) نقرأ عن المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل. وفي عددي ٥و٦ نقرأ:
" وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟ قَالُوا هذَا لِيُجَرِّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ." كان رد يسوع على السؤال الغادر هو الصمت. إن أي إجابة كان يمكن أن تكون "خاطئة". ولكن، في اللحظة المناسبة تكلم. في أحيان كثيرة، يستحسن ألا نجيب، بل أن ننتظر. ففي هذه الفترة من الصمت والانتظار، يغير الله الموقف غالباً ويعطينا الكلمات التي كنا بحاجة أن نقولها.

دعنا نتعلم من ذلك أن نظل صامتين في المواقف المماثلة بل وأن ننسحب حتى لا نتسبب في إيلام الآخرين ونمنع الشيطان من استغلال الموقف وخلق المتاعب. نحن لسنا هنا لكي ننشد تسابيحنا، ونحمى أو ندافع عن عملنا. إن الآب سوف يرفعنا ويكرمنا عندما يريد أن يفعل ذلك. ليتنا لا نفعل ذلك بأنفسنا. إذا اخترنا طريق الصليب، وطريق الموت عن الذات وإنكار الذات، وتقدير الآخرين بأكثر مما نقدر ذواتنا فإننا لن نجلب العار على اسم الرب. إن العمل الذي مصدره الله سوف يظل راسخاً، ونحن لسنا بحاجة للدفاع عنه أو محاولة تبريره. إن الله سوف يتكفل به.

لقد ظل يسوع صامتاً بشأن تجليه على الجبل. نحن نقرأ في (مر٩:٩) " وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ، أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُحَدِّثُوا أَحَدًا بِمَا أَبْصَرُوا، إِلاَّ مَتَى قَامَ ابْنُ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْوَاتِ." لقد رأى التلاميذ على الجبل منظر يسوع في التجلي وأمر يسوع التلاميذ الثلاثة الذين كانوا على الجبل معه ألا يتحدثوا عن تجربة الجبل هذه.

فلتصمت حيال تجاربك الخاصة فوق الجبل. إن هذه الإعلانات الشخصية من الله لك ثمينة لديه، لقد حدثت بينك وبينه. لا تتحدث عنها، فهي يمكن أن تؤدي بسهولة لسوء الفهم، وقد يحمل الناس الانطباع بأنك مغرور، وأنك تستعرض أو أنك ترى ذاتك كشخص متميز لأن الله

أعلن ذاته لك. إن اجتياز تجلي يسوع في قمة الجبل يعلمنا ألا نتحدث عن أمور قبل أن يحين الوقت المناسب لنفعل ذلك.

في بعض الأحيان يرفع الرب الحجاب عن أشياء عويصة لا يعبر عنها. إن إيفان روبرتس Evan Roberts الذي يعتبره البعض قائداً لنهضة ويلز في سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٥، ظل يختبر أشياء فائقة عندما كان الله يختطفه إلى السماء في الليل طيلة عدة شهور ولبضع ساعات قليلة في المرة الواحدة، وهناك كان الله يتكلم معه. لم يشرك إيفان سوى القليل عن تفاصيل تلك الزيارات مع الناس. لقد كانت على المستوى الشخصي وكان القصد منها أن تقويه. إن اختبارات قمة الجبل الخاصة بنا يقصد منها أن تقوينا لتأدية العمل المنوط بنا، ولإعدادنا للمعركة ولتشجيعنا. فالهدف منها ليس تقوية الآخرين. يروي بولس في (٢كو١٢: ١-٦) كيف أنه قد اُختطف إلى الفردوس ورأى وسمع أشياء لا يمكن ولا يسوغ التعبير عنها.

كم مرة يصلي الناس لأجل الإعلانات ويتوقون إليها! كم مرة نريد أن يرسل الرب ملاكاً إلينا. إقرأ (٢كو١٢: ٦-٩) مرة أخرى. لقد أرسل الله لبولس ملاك الشيطان ليلطمه لئلا يرتفع بفرط الإعلانات التي نالها. أناس كثيرون قد سقطوا لأن الله أعلن نفسه لهم وبعد ذلك أصبحوا مغرورين لأنهم اعتقدوا أنهم على قدر كبير من الأهمية.

ظل يسوع صامتاً بشأن طريق الصليب. في (مر١٠: ٣٨-٣٩) قال يسوع ليعقوب ويوحنا " لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟." وكانت إجابتهما "نَسْتَطِيعُ." فلم يُعقب يسوع بشيء على ذلك. ظل يسوع صامتاً بشأن طريق الألم الذي ينتظرهما وعواقب إتباعه. كان يعلم أن التلميذين لم يفهما نتائج ما قالاه. كانت الكأس التي ذكرها يسوع إشارة إلى الصليب وموته. فقد كان يشير إلى الاضطهاد الذي كان عليهما أن يتحملاه، والظلم الذي كان ينتظرهما وكل ما يتضمنه طريق الصليب. في ذلك الوقت أخبرهما يسوع فقط أنه يتعين عليهما أن يشربا من نفس الكأس، ولكنه لم يفسر لهما ما كانت تعنيه حقاً. لماذا لم يفعل ذلك؟ لأنهما لم يكونا مستعدين بعد لفهم ذلك. كان عليهما أن ينكراه حتى يدركا الظلمة في قلبيهما ويتم الصفح عنهما. كان عليهما أن ينتظرا موعد انسكاب الروح القدس. ونحن يجب علينا أيضاً أن نصبر على المؤمنين الصغار. وعندما يكون الوقت ملائماً فإنهما سوف يتمكنان من تعلم المزيد عن طريق الصليب وتداعياته.

ظل يسوع صامتاً حيال يهوذا. في (يو١٣: ٢١-٢٢) تحدث يسوع إلى تلاميذه في العشاء الأخير: " لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ، وَشَهِدَ وَقَالَ:«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي!». فَكَانَ التَّلاَمِيذُ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَهُمْ مُحْتَارُونَ فِي مَنْ قَالَ عَنْهُ." عندما اختار يسوع الاثنى عشر تلميذاً كان يعلم مقدماً أن يهوذا الإسخريوطي سوف يسلمه

فيما بعد. ومع ذلك كان يمشي مع تلاميذه مدة تزيد على ثلاث سنوات. كان هذا الرجل نهاراً وليلاً في الدائرة المقربة، مجموعة الاثنى عشر. ومع ذلك، فإن يسوع لم يفض بسر ما كان يعرفه. لقد كانت إرادة الآب أن يكون هذا التلميذ الخائن واحداً من الاثنى عشر. لم يشر يسوع مرة واحدة، بكلمة ما، أو بملاحظة قاطعة، أو بنظرة تحمل أي تلميح بأن يهوذا سوف يسلمه.

دعنا نتعلم من يسوع أن نظل صامتين في الظروف المماثلة. دعنا نحذر من أن نأتي بالانقسام في صفوف أولئك الذين يشاركوننا السير في الطريق الروحي عندما يأخذنا الله نحو الجلجثة الخاصة بنا، ولذلك فقد وضع في وسطنا أداة بشرية كيهوذا لتحقيق مآربه. وبحسب استطاعتنا، علينا أن نتجنب الحديث عن الأدوات البشرية التي يستخدمها الله في طريق الصليب الذي نسلكه، ولا يجب علينا أيضاً أن نتهرب من غسل قدميه. وكيسوع، علينا أن نحب ونبارك أولئك الذين يسيئون إلينا ويطردوننا (مت٥:٤٤).

ظل يسوع صامتاً بشأن أعماق الله. نحن نقرأ في (مر٤: ٣٣-٣٤): " وَبِأَمْثَال كَثِيرَةٍ مِثْلِ هذِهِ كَانَ يُكَلِّمُهُمْ حَسْبَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا، وَبِدُونِ مَثَل لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ. وَأَمَّا عَلَى انْفِرَادٍ فَكَانَ يُفَسِّرُ لِتَلاَمِيذِهِ كُلَّ شَيْءٍ." تحدث يسوع إلى تلاميذه والجموع بطريقة يمكنهم فهمها وأتي بالكلمة إليهم في مستواهم. إنه لم يعطهم أكثر مما يستطيعون استيعابه. فقد علمهم ــ حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا". ونقرأ في (يو١٦:٤ و١٢-١٣) "وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ الْبِدَايَةِ... إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ." كان يسوع يعرف أشياء كثيرة لم يقلها للناس، واستخدم أمثلة بسيطة ولم يحاول أن يؤثر على أي واحد بمعرفته عن السماء، والخليقة والكون.

إن الناس المختلفين هم كذلك أيضاً في مستويات روحية مختلفة. يأمرنا يسوع بأن نبقى صامتين فيما يتعلق بالأمور العويصة وأن نلتقي مع الآخرين وفقاً لمستواهم وطبقاً لحاجتهم. عندما يقودنا روح الحق، سوف نعرف متى وكيف يجب أن نتكلم. وكبولس يجب أن نقدم اللبن لأولئك الذين بحاجة إلى اللبن والطعام للمؤمنين الناضجين (١كو٣: ١-٢). في كثير من الأحيان نرغب في تعليم الآخرين عن الأشياء الأكثر عمقاً بينما نحن نحاول في حقيقة الأمر أن نعلن عن سمونا الروحي ــ وليس في ذلك بركة لأحد.

ظل يسوع صامتاً على الرغم من الاتهامات الزائفة والظلم. في (مر١٥: ٣-٥) مكتوب: " وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ كَثِيرًا. فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ أَيْضًا قَائِلاً:«أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ انْظُرْ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ!» فَلَمْ يُجِبْ يَسُوعُ أَيْضًا بِشَيْءٍ حَتَّى تَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ." ويكتب الرسول بطرس أيضاً عن صمت يسوع: "الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ

كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل." (١بط٢:٢٣) كان صمته نابعاً من الله. يقول يسوع في (يو٨:٢٨) " لَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي" ولهذا السبب ظل صامتاً.

نحن نميل أن نسأل الرب أسئلة كثيرة، فنحن نريد أن نعرف كيف تسير الأمور. وعندئذ فهو لا يجيب علينا مباشرة، هذا إذا لم يجب بالمرة. ونحن لدينا الكثير جداً من الأسئلة! "لماذا؟ لأي سبب؟ متى؟ كيف؟" نحن نريد شرح الأشياء لنا حتى نستطيع أن نفهم على قدر مستوانا. ليس ذلك بالضرورة خطأ. ولكن، في أغلب الأحيان نحن لسنا على استعداد أن نتعامل مع الإجابات ولهذا السبب فإن الله لا يجيبنا. في بعض الأحيان عندما كان تلاميذه يسألوه عن أشياء، لم يكن يتكلم. في (يو١٤:٢٢) فإن يهوذا (يهوذا ليس الإسخريوطي) سأل يسوع "يا سيد ماذا حدث حتى إنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟"، فلم يعطيه يسوع إجابة مباشرة. في (يو١٦:٢٣) نعرف أنه سيأتي وقت سوف لا نسأله شيئاً. هناك درس يمكن تعلمه من ذلك من قبل جميع الذين عليهم أن يعلموا الآخرين عن الله وعن طرق الله: لا تحاول دائماً الإجابة على كل الأسئلة. في أغلب الأحيان لا يكون الشخص مستعداً للإجابة.

وفي أحيان أخرى لا يكون الوقت وقت الله. لقد تعلمنا أن "المعرفة قوة"، ولكن في بعض الأوقات فإن تلك المعرفة يمكن أن تحطم البشر. لو كنت عرفت مقدماً عن لحظات الهوان الشديد، والتجربة الكبرى من قِبل الشرير والمقاومة التي سوف أضطر لتحملها من قِبل الناس، فمن المرجح أني كنت رجعت إلى الوراء. ولكن لأن الله يتقدم بنا خطوة خطوة، لأنه يخبرنا فقط ما هو ضروري ويجعلنا نتقدم في الطريق يوماً بيوم، وهو يشجعنا في سيرنا، فإن ذلك يمكننا من السير في الطريق. قال يسوع "الروح القدس سوف يعلمكم". عندما يحين الوقت المناسب فإن روح الله سوف يخبرنا ما نفعله. عندما نضطر لمواجهة منصة القضاء لأجل اسمه، فإن الروح سوف يخبرنا ما نحتاج أن نعرفه، وليس قبل ذلك.

في الغالب يأتي الناس لنا بكل أنواع الأسئلة. وفي بعض الأحيان لا يكونون جادين ويفعلون ذلك لإغاظتنا. يعلمنا يسوع ألا نجيب عليهم: "لا تلقوا بدرركم قدام الخنازير" هذا يعني: إلزم الصمت.

تعلم أولاً أن تظل صامتاً. الزم الصمت عندما يتبارك الآخرون بحياتك وخدمتك، بشأن الاختبارات التي حصلت عليها من فوق، عندما يعلن الروح لك طرق الله الأكثر عمقاً.

اصمت في المواقف الصعبة والحساسة عندما لا تعرف في البداية ما تقوله بالضبط. إذا لم تكن لديك كلمة من الله عندما يسألك الناس كل أنواع الأسئلة، فلتبق صامتاً حتى يحين الوقت ليتكلم الله.

اصمت عندما تكون في وادي ظل الموت ويجعلك الله تمشي في طريق الصليب، عندما يكون هناك يهوذا وسط الجماعة، وعندما يطلب منك الله أن تقدم الخدمة لشخص ما قد خانك أو أساء إليك، وعندما تواجه بالظلم والاتهامات الكاذبة.

اصمت عندما لا تعرف ما تفعله، وعندما يقول الله شيئاً لا يلائمك، ولا تسعد به، وعندما لا تتحقق وعود الله لك، وعندما يفعل الله أشياء لا تفهمها. كُن صبوراً، ولا تشكو ولا تتحدث عنها دون أن تكون هناك ضرورة لذلك، وانتظر الرب.

فلتظل صامتاً عندما يتحدث إليك جاهل (أم٢٣:٩). لا تجادل جاهلاً أو شخصاً عابثاً. لا تجاوب شخصاً أحمق بحسب حماقته.

فلتظل صامتاً عندما تُمتدح، وعندما تُهمل، وعندما تشعر بالحاجة للدفاع عن نفسك. ابق صامتاً عندما يحتاج الآخرون أن يفضوا لك بمكنونات قلوبهم. لقد جلس أصحاب أيوب معه في صمت لمدة سبعة أيام قبل أن يبدأوا في التحدث.

متى يجب أن أتكلم؟ في (أم٢٥:١١) نقرأ هذا القول: " تُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ فِضَّةٍ، كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ فِي مَحَلِّهَا." يجب أن تتكلم عندما يرشدك الله لتقول شيئاً، بروحه، وعندئذ ستعرف إنه شيء يستحق القول. يجب أن تتكلم عندما يكون الناس ضعفاء وعاجزين، وعندما يكونون معوزين، أو مضطهدين أو مظلومين، وعندما يكون هناك ظلام في العالم. يجب أن تتكلم عندما تضطر للدفاع عن الإيمان في وجود غير المؤمنين، وعندما يتحتم إبراز الحق في مقابل الكذب، وعندما يصمت الآخرون لأنهم يكونون خائفين مما سيقوله الناس.

كيف يجب أن أتكلم؟ عندما تتكلم، يجب أن تقول كلمات الله، الكلمات التي تهذب، وتعلم، وتحذر، وتفند وتعزي. يجب أن تكون كلماتك بانية، وشافية، وتأتي بالمصالحة وتقدم الإرشاد. في بعض الأوقات يجب أن يوبخ حديثك الشرير، ويهدم الحصون، ويظهر أعمال إبليس، ويعلن دينونة الله، أو يشير إلى طريق الكتاب المقدس بكل وضوح.

يجب أن تتكلم مع ضبط النفس، وبسلطان. قل الحق في محبة، وتحدث دون اكتراث بالأشخاص، بحكمة، وصبر، واتضاع وفي انكسار.

هذه هي الطريقة التي كان يسوع يتكلم بها.

هل يمكننا أن نقول مثل يسوع إننا نتحدث فقط عن الأشياء التي نسمع الآب يقولها لنا؟ ألا نواجه في كثير من الأحيان مشكلة أننا نقول أشياء نريد أن نقولها لأننا غاضبون أو نشعر بالإهانة والإذلال؟ هل الأشياء التي نقولها حينئذ، صادرة من الله؟ هل سمعناها من الآب؟

لقد انتظر يسوع ١٣ سنة قبل أن يبدأ في التكلم. ثم كانت له خدمة جهرية لمدة ثلاث سنوات ونصف فقط. لقد انتظر آلاف السنين. فقط عندما حان وقت الله، تكلم. وحتى وقتئذ قال ما كان ضرورياً وما سمعه من الآب فقط. نحن نرى شيئاً ما من حياة صمت يسوع على الصليب

عندما كان يتحمل الحزن الشديد والألم. لم يكسر حاجز الصمت سوى سبع مرات فقط، بعبارات قصيرة تحوي كلمات قوية ذات مدلولات فائقة المغزى.

يوضح (مر٩:٩) أن يسوع أمر تلاميذه أن ينتظروا إلى ما بعد قيامته حتى يتحدثوا عنها. سوف يأتي الوقت الذي نتكلم فيه، ولكن الله يجب أن يشير إلى هذا الوقت. عندئذ فقط يكون كلامنا ذا بركة للآخرين ولأنفسنا.

تحدث يسوع عن الصليب، ولكنه ظل صامتاً بشأن أودية الحزن العميق، والألم، والرفض. إنه لم يقدم وصفاً تفصيلياً عن معنى الشرب من كأس المرارة ولم يخبر تلاميذه عن وادي ظل الموت.

لنكن حذرين بشأن مع مَن نتكلم ومتى وكيف نتكلم عن طريق الصليب. علينا أن نكون حذرين بنوع خاص حتى لا نخيف ونربك المؤمنين الصغار. إذا لم يكن توقيتنا مناسباً عندما نتكلم إلى المؤمنين الصغار عن "طريق الصليب"، وطريق الألم والمعاناة في حياة كل مسيحي، يمكننا أن ندمر إيمانهم بالله ويمكنهم أن يكفوا عن إتباع يسوع. سوف يأتي الوقت المناسب للحديث إلى الآخرين عن جوانب معينة في المسيحية. وما نقوله ومقدار ما نقوله سوف يختلف من شخص إلى آخر. لنكن عاملين مع الله بعدم الحديث عن الصليب في حياة المؤمن دون ما ضرورة، وقبل الأوان، وبعدم تقديم الكثير من التفاصيل. سوف يأتي الوقت الذي سوف نتحدث فيه عن ذلك باستفاضة، ولكننا بحاجة للتأكد من أنه الوقت المناسب.

إن الشخص الذي يبدأ التعلم في أن يظل صامتاً ويعرف متى يتكلم، قد بدأ السير في الطريق الآخر.

الفصل السابع والثلاثون
كل ما أريد

" لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ." (في ٣: ١٠ – ١١)

يتكلم بولس هنا عن رغباته العميقة ثم يذكر أربعة أشياء تحيا في قلبه. أولاً، يقول: أريد أن أعرف يسوع. يمكن للكثيرين منا أن يتماثلوا مع هذه الرغبة. فنحن نشتاق أن نعرف يسوع. أليس من الرائع أن يصبح يسوع هو الصديق الشخصي وأن نعرفه وجهاً لوجه! لكن دوافعنا ليست دائماً نقية. فكثيراً ما نريد أن نصبح أصدقاء يسوع فقط من أجل ما يمكنه أن يقوم به لأجلنا عندما نكون مرضى وعندما لا يكون لدينا المال أو عندما نحتاج إلى صديق أكبر وأقوى ليحمينا من شقاوة هذا العالم.

في (١يو٢: ١٢–١٤) يكتب الرسول يوحنا قائلاً: "أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ لأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمُ الْخَطَايَا ..." يجد المسيحيون حديثي الإيمان الفرح عندما يكتشفون كل ما يمكنهم الحصول عليه بعد أن يؤمنوا: غفران الخطايا، الروح القدس، المواهب الروحية، السماء، الحياة الأبدية، أن يصبحوا جزءاً من عائلة الله، كل وعود الله وبركاته. ويكون التركيز على ما يمكن أن أحصل عليه منه.

وبمرور الوقت ينمو إيماننا ويكتب يوحنا في نفس الجزء، "كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ." وبنمو إيماننا نبدأ في فهم بعض الأمور عن الحرب الروحية وعن تحديات الحياة. بقوة وحماسة الشباب نأخذ أمور كثيرة ونريد أن نغير العالم. نكرز في الشوارع ونذهب في رحلات كرازية وندخل في الأماكن المظلمة مسلحين بالإنجيل، ونبدأ في إطعام الفقراء، ومحاربة الخلاعة والإجهاض، ونعمل حتى منتصف الليل ونبدأ في عمل مشروعات عظيمة من أجل ملكوت الله. ويكون التركيز على كل ما أقوم به من أجل الرب.

وتدريجياً، نتحرك باتجاه النضج الروحي. في نفس الجزء يقول يوحنا. " أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي مِنَ الْبَدْءِ." تأتي هذه المرحلة في حياتنا عندما نفهم أن الأمر لا يتعلق بما أخذناه من يسوع أو ما سنأخذه منه. ولا يتعلق بما يقوم به الله من أجلنا. فعندما نصبح "آباء" روحياً، يصبح الأمر كله متعلقاً بيسوع نفسه وبمعرفته، ولا شيء آخر. أدرك يوحنا أن الغرض والمعنى الأعمق لوجودنا هو معرفة يسوع.

رغبة بولس الثانية، وفقاً لفيلبي (في٣:١٠)؛ تتدرج من الأولى: أن يختبر قوة قيامة يسوع في حياته. نعم، إنه يريد أن يعرف يسوع، وأيضاً يسوع المصلوب. لكنه يريد أيضاً أن يختبر

قوة قيامته التي يجب أن تكون مرئية في حياة وأنشطة المؤمنين. هذه هي رغبة بولس. تذكر بولس ما قاله يسوع لتلاميذه: " لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ." (أع١:٨) إنها هي القوة التي يطلبها بولس للعمل الذي أعطاه له الآب ليقوم به. وبدون هذه القوة لا يمكننا أن نعيش ونعمل من أجل الله. وبدون هذه القوة لن نظل واقفين وثابتين في الحرب الروحية. وهذا ما يعلمنا إياه (٢تي١:٨ب): "بَلِ اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ." القوة التي يتكلم عنها بولس هنا هي قوة قيامة الله والتي هي متاحة لجميعنا. تقول كلمة الله، هذه هي القوة التي تعمل فينا، القوة العظيمة جداً التي لا يمكن مقارنتها بأي شيء آخر على الأرض: "... وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ..." (أف١: ١٩-٢٠).

كثير منا يصلي بسهولة مع بولس أول رغبتين: نريد أن نعرف يسوع ونختبر قوة قيامة يسوع. لكننا نتردد عندما يتعلق الأمر بفيلبي (في٣:١٠) ... أن نتألم معه، ونشارك في موته. قد تتساءل: كيف يمكن لشخص أن يرغب في أمر مثل هذا؟ (رو٨:١٧) يعلمنا أننا ورثة مع المسيح في آلامه. جزء من ميراثنا في المسيح يسوع هو الألم. جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى يضطهدون وسيكون عليهم أن يحتملوا الآلام. إقرأ كلمات بولس الجديرة بالملاحظة الموجودة في (كو١: ٢٤-٢٥): " الَّذِي الآنَ افْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ: الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ، الَّتِي صِرْتُ أَنَا خَادِماً لَهَا، حَسَبَ تَدْبِيرِ اللهِ الْمُعْطَى لِي لأَجْلِكُمْ، لِتَتْمِيمِ كَلِمَةِ اللهِ."

لم تنتهِ بعد إضطهادات وآلام المسيح، فكل واحد فينا يجب عليه أن يتحمل شركتنا في آلامه. صلى بولس من أجل أن يشارك في آلام المسيح. من الممكن احتمال هذه الآلام إذا كنا نعرف يسوع ونعرف قوة قيامته.

كانت لدى بولس أيضاً رغبة أخيرة: متشبهاً بموته (أن أصبح مثله في موته) (في٣:١٠). هذا يعني أن بولس يصلي أنه كما أن يسوع مات جسدياً، يجب أن يموت بولس عن ذاته القديمة. وهذا يتطلب الصلب لذاته على كل المستويات: الإرادة والمشاعر والفكر وكذلك الجسد بكل رغباته.

الأربعة أشياء هذه تأتي معاً ككل. لا يمكننا أن نأخذ واحدة دون الأخرى. فلا يمكننا أن نعرف المسيح بدون أن نشارك في آلامه. ولا يمكننا أن نختبر قوة قيامته دون أن نصبح مثله في موته ودون أن نرفض الطبيعة القديمة. هذا مستحيل.

إنه لأمر صحيح أن ثمن التلمذة مرتفع، لكن في نفس الوقت لابد أن نُذكِّر بعضنا البعض أن ثمن عدم التلمذة أكثر بكثير. إذا قمنا بحساب النفقة لهذه الحياة فقط، سنجد أن ثمن عدم

التلمذة ببساطة مرتفع جداً. فهؤلاء الذين هم ليسوا تلاميذ يفقدون الحضور اليومي للآب وسكنى الله الروح القدس داخلهم. فغياب الآب والروح القدس يتولد عنه الكبرياء والجفاف والبرودة والقلب الخالي من المحبة. مثل هذه الحياة تفتقد إلى امتياز رؤية وجهة نظر الله في كل شئون الحياة وتفقد رؤيتها للأبدية. وتخسر امتياز القدرة على الصلاة، وعلى طلب المساعدة ونوال المساعدة. هؤلاء الذين ليسوا تلاميذ لا يعرفون فكرة الرجاء من منظور كتابي. وهم يفتقدون القوة والقدرة على مقاومة الشرير الذي يريد أن يدمر حياتهم. لكن فوق كل هذا، إذا لم أكن تلميذاً فسأخسر الحياة الوافرة، والتي هي متاحة في يسوع.

التلمذة هي طريق الحرية، إذا لم أكن تلميذاً فسأظل في العبودية للشرير وللذات وللخطية. أن أرفض التلمذة هو أن آخذ قراراً بأن أحيا حياة أرضية ضحلة وغير مشبعة. هي أن تحتقر الصليب وأن تعبر بنبع المياه الحية دون أن تشرب منه وتظل تشرب من المياة التي لا تروي عطشك. ألا تصبح تلميذ هي محاولة أن تتشبث بحياتك لكن بسبب هذا تفقد حياتك. ولهذا السبب تصبح تكلفة ألا تكون تلميذ مرتفعة جداً لكل شخص.

من يرغب مثل بولس أن يعرف يسوع وأن يختبر قوة قيامته وأن يشارك في آلامه وأن يصبح مثله في موته، يسير في الطريق الآخر.

الفصل الثامن والثلاثون
مَن أنا في المسيح

قام أحدهم في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية تجربة على البراغيث. وُضعت البراغيث في عبوة زجاجية، عمقها ٢٠ سنتيمتر. استطاعت البراغيث أن تقفز بسهولة خارج هذه العبوة. ثم وضعت البراغيث مرة أخرى ثم وضع غطاء فوق هذه العبوة. ثم تم ربط كرة بينج بونج مع الغطاء بخيط حتى تتدلى على بعد ١٠ سنتيمتر تقريباً من قاع العبوة. على الرغم من أن هذه البراغيث كان لديها القدرة على القفز أعلى من ١٠ سنتيمتر، إلا إنها لم تقفز أعلى من ٨ سنتيمتر – حتى تتجنب الارتطام بالكرة. وبعد فترة أُنتزع الغطاء، لكن ظلت البراغيث لا تقفز أعلى من ٨ سنتيمتر. لماذا؟ على الرغم من أنهم كانوا قادرين على القفز لارتفاع أكبر، إلا إنهم أصبحوا متكيفين مع فكرة أنهم إذا قفزوا أعلى من ٨ سنتيمتر فسيرتطمون بالكرة!

أليس هذا الأمر صحيحاً لمعظم المسيحيين أيضاً؟

كثير من المؤمنين أصبحوا متكيفين مع مقاييس العالم، ومع الخطية، ومع السقوط والقيام في الحياة، ومع مقاومة العدو، حتى أنهم أصبحوا غير مدركين على القيام بأمور أكثر. نحن لدينا دعوى أكبر. نستطيع أن نعيش منتصرين. لا يجب أن نكون خائفين من الشرير.

نحن نعرف القليل جداً عن ميراثنا في المسيح! كيف يمكن للعدو أن يعمي عيوننا عن ملء الحياة والغنى في المسيح. فكر في ما تكلفه المسيح ليضمن لنا الحياة! ورغم ذلك، لدينا فهم قليل للإكليل الذي حصل عليه بالصليب من أجلنا. الصليب جعل الحياة الأفضل ممكنة.

محتويات هذا الفصل هي معرفة روحية ضرورية لكل تلميذ للمسيح، وحقائق يجب أن نعتمد عليها. هذه الحقائق هي ترسنا عندما نخرج لنحارب أو عندما نتعرض للهجوم. خذ وقتاً في التأمل في هذه الحقائق، وصلِ بها وآمن بها. الحق في المسيح يحررنا. ويمكننا أن نحيا الحياة بملئها كمنتصرين.

جزء من محتوى هذا الفصل اقتبسته من كتاب Victory over the Darkness للكاتب ***Neil T Anderson***. استخدم الكاتب تعبير "الاعتراف الإيجابي" – أفضل استخدام "الاعتراف بالحق". لأن الحق هو الذي يحررنا، وليس الاعتراف الإيجابي. عندما نتمسك بالحق بأننا نعيش حياة روحية متزنة. التركيز على جانب دون الآخر يجعلنا نخرج خارج دائرة الاتزان وسنصبح معرضين للخداع.

وحتى يمكنني أن أشرح لكم وضعنا في المسيح، اقتبست في البداية عدداً من الحقائق الكتابية الإيجابية.

مَن أنا في المسيح يسوع ؟

- لذلك، لا شيء من الدينونة الآن عليّ، لأني أؤمن بيسوع المسيح، وخطاياي قد غسلت وأنا الآن أحيا في الروح القدس و به. (رو٨: ١)
- أنا ملح الأرض. (مت٥: ١٣)
- أنا نور العالم. (مت٥: ١٤)
- أنا ابن الله. (يو١: ١٢)
- أنا غصن في الكرمة الحقيقية. وأنا القناة التي عن طريقها حياة المسيح تتدفق وتمكنني من أن أثمر بثمر كثير. (يو١٥: ١، ٥)
- أنا صديق للمسيح. (يو١٥: ١٥)
- أنا مختـــار ومعين من قبل المسيح أن أذهب وآتي بثمـــر ــ ثمر يدوم. (يو١٥: ١٦)
- لقد تحررت من الخطية وأصبحت عبداً للبر. (رو٦:١٨)
- لي حياة أبدية في المسيح يسوع. (رو٦: ٢٣)
- أنا ابن لله والله أبويا. (رو٨: ١٤)
- أنا وارث لله ووارث مع المسيح، ولقد شاركت في ملء ميراثه. (رو٨: ١٧)
- أنا هيكل الله وروح الله يسكن فيَّ. (١كو٣: ١٦،١٩)
- أنا متحد مع الرب وواحد معه بالروح. (١كو٦: ١٧)
- أنا جزء من جسد المسيح. (١كو١٢: ٢٧)
- أنا خليقة جديدة، العتيق قد مضى، والجديد قد أتى. (٢كو٥:١٧)
- أنا متصالح مع الله عن طريق المسيح وعامل معه في خدمة المصالحة. (٢كو٥: ١٨-١٩)
- لأنني أنتمي إلى المسيح، أنا نسل إبراهيم، ووارث بناءاً على الوعد الذي أعطي له. (غل٣: ٢٩)
- أنا قديس. (أف١: ١)
- أنا خليقة الله، مخلوق في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي أسلك فيها. (أف٢: ١٠)
- أنا مواطن في ملكوت الله ومن أهل بيت الله. (أف٢:١٩)
- أنا سجين ليسوع المسيح. (أف٣: ١)

- أنا إنسان جديد مخلوق لأكون مثل الله في البر والقداسة. (أف٤: ٢٤)
- أنا مواطن سماوي وجالساً مع المسيح في السماويات. (أف٢: ٦، في٣: ٢٠)

- سيرتي (جنسيتي) هي في السماء وأنا جالس عن يمين المسيح في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وفوق كل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. (أف١: ٢٠-٢١، أف٢: ٦)
- حياتي الآن مستترة مع المسيح في الله. (كو٣: ٣)
- المسيح هو حياتي ولا أحد يمكنه أن يأخذ حياتي مني، لأنها محفوظة في السماء كميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل. (كو٣: ٤)
- أنا جزء من شعب الله المختار مقدس ومحبوب جداً. (كو٣: ١٢، ١تس١: ٤)
- أنا ابن نور وابن ونهار. ولا أنتمي إلى الليل أو إلى الظلمة. (١تس٥: ٥)
- أنـــا منفصل بالله عن العالـــم ومشترك في الدعـــوة السماويـــة. (عب٣: ١)
- أنا حجر حي، مبني في بيت روحي لأكون جزءاً من الكهنوت المقدس، لأقدم ذبائح روحية مقبولة لله في المسيح يسوع. (١بط٢: ٥)
- أنا جزء من شعب مختار، كهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب ينتمي لله، لنخبر بتسابيح المسيح الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب. (١بط٢: ٩)
- أنا الآن جزء من شعب الله ولقد نلت رحمة من الله. (١بط٢:١٠)
- أنا غريب ونزيل في الأرض. (١بط٢: ١١)
- أنا خصم وعدو للشيطان. (١بط٥: ٨)
- أنا ابن لله وأعرف أنه عندما سيأتي المسيح مرة أخرى سأكون مثله لأنني سأراه كما هو. (١بط٣: ١-٢)
- أنا مولود من الله والله يحفظني سالماً والشرير لا يمسني بسوء. (١يو٥: ١٨)
- الذي فيَّ أعظم من الذي في العالم. (يو٤: ٤)
- أنا ابن لله وأستطيع أن أغلب العالم. (١يو٥: ٤)
- أنا لست "أنا هو" العظيم لكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة. (١كو١٥: ١٠)

لأنني في المسيح أستطيع، بنعمة الله، أن أقول عن نفسي

- أنا مبرر بالإيمان ولي سلام مع الله بربنا يسوع المسيح. (رو٥: ١)
- لقد دفنت مع المسيح بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا أسلك في حياة جديدة، إنساني العتيق قد صلب معه، وأنا لست مستعبد للخطية. (رو٦: ١-٦)

- لا شيء من الدينونة الآن عليّ لأني في المسيح يسوع. (رو٨: ١)
- لقد نلت الروح القدس الذي يعلمني كل ما أخذته من الله. (١كو٢: ١٢، ١٦)
- لقد اشتريت بثمن وأنا لست لنفسي فيما بعد، لكني أنتمي لله ويجب أن أكرمه بجسدي. (١كو٦: ١٩-٢٠)
- الله هو الذي يجعلني أقف بثبات في المسيح. (٢كو١:٢١)
- أنا مختون بروح الموعد، الذي هو عربون ميراثي الذي وعدني به الله. (أف١: ١٣)
- أنا في المسيح وقدرته الفائقة تعمل فيّ. وهذه القوة هي مثل عمل شدة قدرته، الذي عمله في المسيح عندما أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات. (أف١: ١٩-٢٠)
- مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد، إنما أحياه في الإيمان بابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه من أجلي. (غل٢: ٢٠)
- إله أبينا والرب يسوع المسيح، قد باركني في السماويات بكل بركة روحية. (أف١: ٣)
- اختارني المسيح قبل تأسيس العالم لأكون قديس وبلا لوم أمامه. (أف١: ٤)
- في المسيح لي الفداء بدم المسيح، وغفران للخطايا، حسب غنى نعمة الله. (أف١: ٧)
- عن طريق المسيح أصبح لي الدخول للآب بالروح القدس. (أف٢: ١٨)
- في المسيح وعن طريق الإيمان به يمكنني الاقتراب بحرية وثقة. (أف٣: ١٢)
- المسيح أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. (كو١: ١٣)
- المسيح يحيا فيّ، رجاء المجد. (كو١: ٢٧)
- أنا أيضاً صلبت وخلعت إنسان الخطية، ليس بختان مصنوع بأيدي بشر لكن بختان مصنوع بالروح. (كو٢:١١)
- في المسيح حل كل ملء اللاهوت جسدياً، وأعطيت الملء في المسيح. (كو٢: ١٠)
- الله لم يعطني روح الجبن أو الخوف، بل روح القوة والمحبة والنصح (تهذيب النفس). (٢تي١: ٧)
- لقد تقدست بالمسيح يسوع والمقدسين أصبحوا أعضاء في نفس العائلة. فلهذا السبب لا يستحي يسوع بأن يدعونا إخوة. (عب٢: ١١)
- يمكنني الاقتراب إلى عرش النعمة بثقة، حتى ما أنال رحمة وأجد نعمة وعوناً في وقت الاحتياج. (عب٤:١٦)
- لقد أعطاني المواعيد العظمى والثمينة، حتى أكون شريك في الطبيعة الإلهية، ولأهرب من الفساد الذي في العالم الذي تسببت فيه الشهوة. (٢بط١: ٤)

- في هذه جميعها يعظم انتصاري بالذي أحبني. (رو٨:٣٧)
- إن كان الله معي، فمن عليّ؟ (رو٨: ٣١)
- الله لم يشفق على ابنه، لكن بذله من أجلي ــ كيف لا يهبني أيضاً معه كل شيء بغنى؟ (رو٨: ٣٢)
- إني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا شياطين، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا قوات، ولا علو ولا عمق ولا أي شيء آخر في الخليقة، تستطيع أن تفصلني عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربي. (رو٨: ٣٨-٣٩)
- الروح نفسه يشهد مع روحي أنني ابن لله. (رو٨: ١٦)
- لقد غسلت وتقدست وتبررت في اسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا. (١كو٦: ١١)
- أعلم أن تعبي ليس باطلاً في الرب. (١كو١٥: ٥٨)
- أشكر الله الذي يقودني دائماً في موكب نصرته في المسيح. (٢كو٢: ١٤)
- نعمة الله تكفيني، لأن قوته في ضعفي تكمل. (٢كو١٢:٩)
- لأنني في المسيح فإنني أحيا بقوة الله. (٢كو١٢: ٤)
- أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني. (في٤: ١٣)

هذا ما يقوله الله عني وبخصوصي ولذلك أستطيع أن أقوله وأؤمن به. وعندما يأتي الشيطان بهجماته أستطيع أن أختفي خلف هذا الحق وأقف بقوة في الله. وهذا محبط للشيطان، لأن هذا هو الحق. الشيطان سيحاول باستمرار أن يجذبني بعيداً عن هذا الحق وسيحاول أن يجعلنا نؤمن أننا في وضع الخاسر.

الجانب الآخر من الحق عني كمسيحي

الأجزاء السابقة ليست هي كل ما تقوله كلمة الله عن كوني مسيحي. قال مارتن لوثر مرة: "قدوس أكثر شرير أكثر." وهذا يعني أنه كلما اقتربنا من الله وكلما عشنا في قداسة أكثر، كلما أصبحنا أكثر إدراكاً لخطايانا وانكسارنا ومقدار اعتمادنا على الله. منذ القرن السادس عشر حيث حدثت حركة الإصلاح وأصبح لدينا التعبير: *simul justus et peccator* والذي يعني: قديسين وخطاة في وقت واحد. فهناك خطرين على حياة المسيحي. فقد نكون مدركين جداً لمكانتنا في المسيح، وأننا مقدسين ومنتصرين، للدرجة التي ننسى فيها أننا خطاة وكائنات بشرية منكسرة. أو على النقيض يمكننا أن نكون مدركين جداً لخطايانا وطبيعتنا الشريرة للدرجة التي لا ندرك فيها نصرتنا في المسيح ونعيش وفقاً لذلك.

هذا تناقض روحي. ما هو التناقض؟ التناقض هو تعارض ظاهري. يكون منافي للعقل ظاهرياً، غير منطقي، عبارة متناقضة، عبارة تظهر في البداية أنها غير قابلة للشرح بطريقة

منطقية. يمكنها أيضاً أن يكون لها معنى العبارة، التي تناقض الرأي المقبول. عبارة مارتن لوثر هي عبارة متناقضة. فتعبير *simul justus et peccator* (أنا قديس/ مبرر وخاطئ في وقت واحد) هي عبارة متناقضة.

للأسف بعض الأوجه/ الحقائق للحياة الروحية لا يمكن التعبير عنها إلا عن طريق التناقض.

الآتي هي بعض الأجزاء الكتابية التي تتعامل مع الجانب الآخر من الحق عني كمسيحي

- لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. (رو٧: ١٩)
- وَلَكِنْ لَنَا هَذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لاَ مِنَّا. (٢كو٤: ٧)
- وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. (يجب أن أختار يومياً من أجل المسيح ضد طبيعتي القديمة.) (رو٧: ٢٣)
- فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ. (رو٨:١٧)
- الَّذِي الآنَ افْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ: الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ. (كو١:٢٤)
- إذا كنت أريد أن أعيش بالتقوى في المسيح يسوع فسوف أضطهد. (٢تي٣: ١٢)
- أنا دائماً باستمرار معرض لهجمات الشيطان. (يع٤: ٧، ١بط٥: ٨)
- كمسيحي أنا مازلت معرضاً للتجربة. (١كو١٠: ١٣، يع١: ١٢-١٥)
- المسيحي يمكنه أن يخدع. (٢بط٣: ١٧، ٢تس٢: ١١)
- يجب أن الموت يعمل فيّ حتى ما تعمل الحياة في آخرين. (٢كو٤: ١٢)
- كوني مسيحي لا يعني أن لديّ مناعة ضد الموت والألم. (رو٨: ٨، ٨: ٣٥،٣٧ ، ٢كو١: ٥-٧)
- كمسيحي لست معفياً من الحزن والألم والوحدة والخزي. (مر١٠: ٣٠)
- أنا عبد ليسوع المسيح. (رو١: ١)
- يجب أن أجعل نفسي لا شيء وآخذ طبيعة العبد. (في٢: ٥-١١)
- ينبغي أن يسوع يزيد وأني أنا أنقص. (يو٣: ٣٠)
- أنا أصغر جميع شعب الله. (أف٣: ٨)
- أنا أسوأ الخطاة. (١تي١: ١٥)
- يجب أن أسهر وأصلي كل يوم حتى لا أسقط في تجربة. (مت٢٦: ٤١)

- كمسيحي ما زال لديّ ضعفات، لكن قوة الله تكمُل في ضعفي. (٢كو١٢: ٩)
- ليس لي كاهن غير قادر على أن يرثي لضعفي. فضعفي لم يؤخذ بعيداً. (عب٤: ١٥)
- كمسيحي أعثر في طرق كثيرة. ليس الضعفاء فقط هم من يعثروا، فالجميع يتعثرون. (يع٣: ٢)

(رو٨: ٢٨) تعلمنا أنه في جميع الأشياء يعمل الله لخير الذين يحبونه. يستخدم الله الأمور التي تبدو سلبية وضعيفة من أجل مصلحته ومصلحتنا.

لأفهم من أنا خلال الولادة الثانية في المسيح يسوع، أحتاج أن أسير في طريق جديد، الطريق الآخر.

الفصل التاسع والثلاثون

التدريب على الصمت

(جا٣: ١؛ ٧) " لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ ... لِلسُّكُوتِ وَقْتٌ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتٌ."

في هذا العالم المتحضر ومع ضوضائه المستمرة، يجب على تلاميذ الرب يسوع أن يعيدوا اكتشاف تدريب الصمت. لكن الحل ليس أن نذهب ونعيش في الصحراء مثل النُسَّاك وأن لا نتكلم لمدة أربعين سنة. لكن بالأحرى، جميع تلاميذ الرب يجب أن يدربوا أنفسهم على أخذ أوقات من الصمت. فجميعنا نحتاج لبعض الوقت من الصمت. وعلى الرغم من أن هذا الأمر سيكون مختلف من شخص لآخر، إلا أنه بالتأكيد: بدون أن يكون هناك وقت منتظم وممتد من الصمت حيث ننتظر فيه أمام الرب ونسمح للصمت أن يعمل فينا، لن نستطيع الوقوف أمام سيل الكلمات التي تغمرنا كل يوم، وآراء الناس، وقوة العالم، وهجمات الشرير. بدون الصمت لن نستطيع الوصول لأبعاد أعمق في الحياة الروحية وسيُعاق نمونا الروحي في اتجاه علاقة حميمة وعميقة مع الله.

الصمت مهم لأجل إخراس كل الأصوات الأخرى حتى ما نستطيع أن نسمع صوت الله: أصوات الجرائد والمجلات والتليفزيون والراديو واللافتات والملصقات الإعلانية والبريد الإلكتروني والإنترنت. وهناك أصوات أخرى لآراء الناس وذوو السلطة والوعاظ والكتب التي نقرأها وتطلعاتنا وأحلامنا الشخصية وصوت رغباتنا وأهوائنا. هناك أصوات من الماضي: صوت أبي يدوي في أذني عندما كنت أريد أن أفعل شيء خطأ، صوت مدرس يؤنبني. وهناك صوت الحضارة والتقاليد والمجتمع الذي نعيش فيه والذي يريد أن يأمرنا ويقرر لنا كيف نعيش.

ومثل احتياجنا إلى الخبز اليومي، نحتاج إلى الصمت – حيث لا نسمع أصواتنا وتوقعاتنا أو أصوات وتوقعات الآخرين. نحتاج إلى الصمت حيث ندخل إلى راحة الله وحيث يمكننا أن نتحرر من أنفسنا ومن كل توقعات الآخرين. الصمت مهم عندما تكون حياتنا لا تنسجم (لا تتوافق) مع ما نقوم به، وما قمنا به، وما يجب أن نقوم به، أو ما سنقوم به.

يمكن أن يكون الصمت أمر مخيف. ففي الصمت أدرك فجأة أن الله وأنا فقط معاً. في الصمت أتواجه مع فراغي، وعدم أهميتي ومحدوديتي... ومع الله. في الصمت قد يختار الله أن يتكلم إليّ أو لا يتكلم.

في الصمت نصبح واحداً مع الله. هو المكان الذي نتقابل فيه مع الله الغير منظور. " بِالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ." (إش٣٠:١٥) هناك في محضر الله نستطيع أن نهدأ " كُفُّوا

وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ." (مز٤٦: ١٠) يمكن لهذا العدد أن يترجم بطريقة أخرى: " أتركوا الأمر كما هو، وكونوا صامتين، واعلموا أني أنا الله."

في الصمت نتعلم أن السكون أمام الله كافٍ. ونتعلم أنه ليس من الضروري دائماً أن يتكلم الله إلينا، وأنه ليس من الضروري أن يعلن عن نفسه، وأنه ليس من الضروري أن يظهر في الأحلام والرؤى، وأن يجري آيات وعجائب وأن يستجيب لصلواتنا، حتى ما أؤمن به.

نقرأ عن آباء الصحراء المصريون في القرن الثالث والرابع والذين لم يتوقعوا أبداً من الله أن يعلن نفسه لهم. لكنهم ببساطة كرسوا أنفسهم لله فقط في الصحراء وجاهدوا ليحيوا حياة القداسة أمام الله. لم يحسبوا أنفسهم أهلاً لأن يعلن لهم الله عن نفسه، لأنهم كانوا بسطاء، رهبان خطاة خلصوا بالنعمة. وعلى الرغم من ذلك فلقد "رأوا" الله وقوته، لكنهم لم يسألوا أو يطلبوا ذلك منه. في إحدى المرات جاء الشيطان في شبه ملاك نور لأحد الرهبان وقال له: "الله أرسلني إليك." أجابه الراهب: "لابد أن هناك خطأ ما. أنت بالتأكيد قد قصدت الشخص الخطأ. فأنا لم أفعل شيء يستحق أن يرسل الله من أجله ملاكاً لي." فاستسلم الشيطان وترك الراهب.

نحتاج إلى الصمت أو الهدوء حتى ما نصل إلى مرحلة حيث تمحى رغباتنا الشخصية وحتى لا تتبقى لنا أية إرادة في داخلنا. عن طريق الصمت نصل للنقطة التي نكون فيها قادرين على اختيار إرادة الله بإرادتنا الشخصية. نحتاج إلى الصمت حيث نوقف كل أنشطتنا وأعمالنا، وحيث لا يوجد خطط، ولا تطلعات، ولا أحلام ولا توقعات. حيث كل شيء فينا لا يصبح متمركزاً علينا وحتى يصبح كل شيء متمركز حول الله ومتمحور حول يسوع المسيح.

الصمت يدمر الكبرياء، لأن الصمت لا يتأثر بكل كلماتنا وإنجازاتنا وأعمالنا ومعرفتنا وألقابنا ومواعيدنا. الصمت يجعل أعمالنا العظيمة تصبح صغيرة جداً. ما الذي يحدث لشخص يجري إلى بيته ليخبر أبويه بشيء "كبير" حدث له وبعد أن يخبرهم يجد أن كلماته تُقابَل بالصمت؟ ما الذي يحدث لهذا الشيء "الكبير"؟ يصبح صغير جداً. فالصمت يجعل حجم وأهمية أعمالنا أقل مما تبدو عليه. الصمت يقلل أعمالنا العظيمة ويجعلها صغيرة في الحجم، حتى ما تظهر عظمتها الحقيقية وأهميتها الحقيقية بصورة أو بأخرى في مكانها الصحيح.

الصمت يواجهنا ويأخذنا إلى المرحلة التي لا نشعر فيها بالراحة. يتركنا عراة وغير محصنيين أمام الله. وعلى الرغم من ذلك، لابد أن نظل في الصمت حتى ما يزول الشعور بعدم الراحة الذي يسببه الصمت ويصبح الصمت صمتاً مقدساً، ويكون ممتلئاً بالله نفسه. عادة لا نرتاح في الصمت لأن لدينا رغبة غير عادية أن نصبح منجزين، ونريد أن نبهر الآخرين، ونصل إلى توقعات الآخرين منا. الصمت يعلن ويكشف عدم الأمان الشخصي في داخلنا، ويكشف عجزنا، ويجبرنا أن نكون أمناء مع أنفسنا. الصمت يساعدنا أن نعرف ما هي الدوافع

الحقيقية خلف كل ما نقوم به. الصمت يساعدنا أن نرى الفوضى والضوضاء التي تملأ حياتنا. يساعدنا أن نرى الأماكن التي نحتاج فيها إلى أماكن أكبر في حياتنا، وأين نحتاج إلى هوامش في حياتنا.

واحدة من الأمور التي في اللاوعي والتي تحفز الكثيرين اليوم هي: "أكثر، أفضل، أعلى، أسرع، أحدث." هذا يجعلنا نجري في الحياة. ويدفعنا للإنجاز، وللعمل، ويحدد *ما الذي نقوم به، وكيف نقوم به وكيف سنقوم به، ومَن نحن.* في الصمت تبتعد كل "أعمالنا" ونستطيع أن نبدأ مرة أخرى في فهم أنفسنا وهويتنا الحقيقية. توجد مقولة تقول: "الله قد صنعنا بشر وليس أدوات للعمل."

الصمت يساعدنا أن نفهم أن هناك اختلافاً بين أعمالنا وبين هويتنا. يعطينا وقت أن نتأمل في معنى كلماتنا وأعمالنا وأن نقوم بعمل تنظيم وتسوية لمستقبلنا، حتى ما تصبح أفعالنا وكلماتنا متفقة مع هويتنا.

الأشخاص الذين يمرون بعلاقة حب، لا يشعرون بالتهديد في الصمت. لكنهم يرحبون بالصمت. لأنه يأتي باقتراب وحميمية أكثر في العلاقة ويجعلها أكثر عمقاً أكثر من الكلمات. وبنفس الطريقة، الصمت يأتي بعلاقة حميمة مع الله وله تأثير أعمق من التسبيح والعبادة الشفهية، فالصمت يكمل التسبيح والعبادة. التسبيح والعبادة يطورا بُعداً واحداً في علاقتنا مع الله، والصمت يطور بعداً آخر. الصمت يأخذنا لعمق أكثر مع الله – وهذا المكان لا يمكن أن تصل إليه الكلمات. لا نستطيع اختيار واحد من الإثنين، الصمت أو التسبيح والعبادة. لأن كلاهما مهمين لعلاقة أقرب من الله. في الصمت يأتي وعي لمحبة الله الأكيدة والتي لا تزول إلى الأبد ووعي بنعمته وحضوره الدائم واهتمامه الذي لا يمكن وصفه بالكلمات.

نحتاج أن نصبح صامتين للدرجة التي يصبح فيها كل شيء فينا مليء بالشبع بالله وحده، وحتى ما نصل للنقطة التي نكون فيها مثل الأولاد الصغار في سلام بين ذراعي والديهم، هادئين، وسعداء، وبدون هم في العالم، وبدون خطط أو أعمال أو أي رغبات أخرى. قانعين وسعداء تماماً. إذا خططنا لنصل لهذا المستوى من الصمت ونجحنا في أن نُهدئ ونُسكِّن قلوبنا، فسيمكن لله أن يتكلم إلينا، ويعلن نفسه لنا ويظهر لنا ما نحتاج القيام به – إذا أراد ذلك. عادة ما يظل الله صامتاً لأن الذات تكون كبيرة داخلنا وأصوات أخرى كثيرة تتكلم إلينا ونستمع نحن إليها. عندما يتكلم أكثر من شخص يصبح من الصعب الإصغاء والاستماع وفهم ما يقال. في الصمت نتعلم أن نعرف ونميز صوت الراعي. يسوع يقول: خرافي تسمع (تعرف) صوتي. كم شخص فينا يعرف ويميز صوته؟ هل يمكننا أن نميز بين صوته وبين الأصوات الأخرى في العالم؟

الصمت يشفي، لأن الصمت brings perspective. في الصمت الإنجازات ليست

ضرورية، ولا أحتاج أن أشرح نفسي، أو أقارن، أو أبرر موقفي، أو أتظاهر. هناك في وقت الصمت أمام الله، أستطيع أن أكون على حقيقتي وبالطريقة التي خلقني بها. في أوقات الصمت، يريد الله أن يعلمنا، ويعلن نفسه لنا وأيضاً أن يُظهر لنا حقيقة أنفسنا. أحياناً الصمت أمام الله يعلن الخطية، وعدم الطاعة، والضعف. وفي أوقات أخرى يأتي بعلاقة أعمق مع الله. أي شخص يريد أن يعرف الله لابد أن يتعلم الانتظار أمام الله في صمت. الفترات الممتدة من الصمت والانعزال هي بصورة كبيرة الإجابة لهؤلاء الذين يعانون من إنتهاء قوتهم ومن الضغوطات ذات المستوى المرتفع.

الصمت هو شرط مطلوب إذا أردنا أن نتعلم الإصغاء. والصمت مهم أيضاً للتفكير والتأمل. فالله يتكلم عن طريق كلمته وعن طريق الصمت. حتى ونحن نحمل كتبنا المقدسة في أيدينا، يمكن للصمت أمام الله أن يصبح مثل الرعد في آذاننا. فالكتاب المقدس عندما يكون في أيدينا لا يمكنه أن يضمن لنا حضور الله. ففي الصمت يمكن "لمقابلات كثيرة مع الله" أن تحدث.

الصمت يحفز الإبداع. ففي الصمت تظهر أفكار وخطط جديدة وناضرة. الصمت والراحة يكسران الطرق القديمة والعادات القديمة والأفكار والمبادئ القديمة.

فنحن لا نستطيع أن نتواصل بطريقة مفيدة مع الآخرين إذا لم يكن لدينا وقت من الصمت حيث نستطيع المراجعة والتقييم والحكم وطرح الأسئلة. فهذا يأتي بالتجديد والقوة الجديدة والمعرفة الجديدة والرجاء الجديد والتبكيتات الجديدة.

الصمت لا يعني أننا بمفردنا. فالله موجود في الصمت. والله دائماً موجود. نعم، قد نختار أن نتجاهل الله في الصمت. وإذا فعلنا ذلك، ستكون النتيجة النهائية للصمت هي دائماً الوحدة والتشويش وخيبة الأمل. فالصمت بدون معرفة أن الله موجود، وبدون اللقاء مع الله، يصنع منا أيتام روحياً. لكن عندما نعرف أن الله موجود في كل مكان وعندما نكون مفتوحين على الله في الصمت، يصبح لدينا وقتاً للملء، ولقاء مقدس مع الله، ويصبح وقت للرجاء والشبع حيث نمتلئ من الله.

الصمت يعني التوقف عن الكلام. يوجد صمت نحتفظ فيه بأفكارنا وآلامنا وأحلامنا ومشاعرنا لأنفسنا. لكن التوقف عن الكلام لا يجب أن يستخدم ضد الآخرين. فالتوقف عن الكلام قد تكون طريقة لتجاهل الآخرين، وللحكم والإدانة. وهذا خطأ.

استخدم يسوع الصمت أحياناً ليكشف للناس حماقتهم. عندما أراد القادة الروحيين رجم المرأة الزانية في يوحنا ٨، أخذ يسوع يكتب على الأرض بأصبعه ولم يتفوه بكلمة واحدة. وفي هذا الصمت أعلن الله نفسه لضمائر هؤلاء القادة.

قلما يكون الصمت ممكناً بدون العزلة. أحياناً يكون من الضروري أن تبتعد وتكون مع الله

وحدك؟ أحياناً يكون ضرورياً أن نذهب حرفياً لمكان لا يوجد فيه أي شخص معك. الكثير منا يخافون العزلة لأننا نعرف بالغريزة، أنه هناك سنكون بمفردنا، وسنتواجه مع أنفسنا وسنكون بمفردنا مع الله. ففي العزلة نعرف مَن هو الله ونعرف حقيقة أنفسنا ولهذا السبب نتجنب أن نصبح بمفردنا. لكن من الضروري أن نبدأ مرة أخرى الآن، وأكثر من ذي قبل، أن نمارس *تدريب العزلة.*

هناك اختلاف بين الوحدة والإنفراد. يتمنى يسوع دائماً أن يقودنا من الوحدة إلى الإنفراد. وفي نهاية طريق الانعزال، في الصمت، ينتظرنا الرب يسوع. وهناك يعلن لنا عن نفسه كالرب، والمسيح، والسيد، والملك المتحكم في حياتنا، وهناك أيضاً يعلن عن نفسه كالفادي، الشخص الذي يحبنا، الأب الأبدي، المشير العجيب.

قليلة هي الأشياء التي يمكنها أن تواجه الموضوعات العميقة وأبعاد النفس، وعدم تقواها وتفككها، كما يفعل الصمت والعزلة. "النفس" في جهلها، وتفككها، وإمكانية تعرضها للهجوم وظهورها على حقيقتها، وشكلها العاري، تكون مثيرة للاشمئزاز ومرتعبة. ولذلك عادة ما نغطي "النفس" بالملابس الجميلة والفلسفات والبيوت العصرية والسيارات الجميلة وآداب السلوك (الإتيكيت) والأصوات المرتفعة والحفلات والمؤتمرات واللقاءات العديدة. في الصمت، حيث نصبح هادئين أمام الله، نبدأ مرة أخرى في رؤية أنفسنا بعمق ودوافعنا بعمق.

الصمت يعلمنا قيمة الكلام. تكلم وينستون تشيرشل Winston Churchill لإحدى المدارس في إحدى المناسبات، وكانت خطبته مكونة من ٣ جمل فقط. وقف على المنصة وقال: " *لا تستسلم أبداً. لا تستسلم أبداً. لا تستسلم أبداً.*" وكانت واحدة من أكثر الخُطَب قوة في التاريخ. فلو كان قد تكلم لمدة ساعة ثم وضع هذه العبارات الثلاثة في منتصف حديثه لما كان قد تذكرها أحد. فكلمات قليلة وصحيحة ومستخدمة بالطريقة الصحيحة، لها قوة عظيمة.

الانسحاب الداخلي والصمت يحررنا من الوحدة والخوف. آباء الصحراء في القرن الثالث والرابع علمونا: الصمت يمدنا بإجابات لكل الأسئلة. ويقول إشعياء، في الصمت والهدوء نجد قوة الله " ...بِالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ..." (إش٣٠:١٥) الطريق لعلاقة أكثر حميمية مع الله وللتحرر من الذات ولفكرة أكثر إتساعاً عن المعنى الحقيقي للحياة، الطريق للسلام والاكتفاء هو طريق الانعزال والهدوء.

هذا هو الطريق الآخر.

الفصل الأربعون
نسور النسر

النسر لا يصطاد ذباب.

يوجد أكثر من ٢٥ شاهد كتابي خاص بالنسور. فلقد أبهرت النسور كُتَّاب الكتاب المقدس. وبوحي من الروح القدس أخذوا مفاهيم ومبادئ من حياة النسر ليعلموا عن طريقها مبادئ روحية. وأحياناً قورن الله بالنسر: "كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ هَكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ أَجْنَبِيٌّ." (تث٣٢: ١١-١٢) كتب داود في (مز١٠٣:٥) " الَّذِي يُشْبِعُ بِالْخَيْرِ عُمْرَكِ فَيَتَجَدَّدُ مِثْلَ النَّسْرِ شَبَابُكِ."

يوجد أوجه متعددة لحياة النسر يمكننا أن نطبقها في الحياة المسيحية. يوجد خطأ أساسي قام به الناس عبر التاريخ، وهو محاولتهم إيجاد تفسير خاص روحي لكل جزء في المثل. لكن يسوع لم يقم بهذا أبداً. فالمسيحيون ليسوا نسوراً، لكن هناك أوجه مختلفة في حياة النسر يمكن أن تعلمنا الكثير عن حياتنا الروحية والصراعات اليومية في حياتنا. الكلمة نفسها تركز على عدد من الأوجه والصفات التي لدى النسر لتعلمنا بعض المبادئ الروحية المحددة.

يوجد نقاط قوة مع الله. فالله لا يتعب. والانتظار أمام الله يعطنا طاقة جديدة وقوة جديدة. فالله لا يفشل ولا ييأس مع عمل يديه – ونحن عمل يديه. كتب النبي إشعياء قائلاً:
"لِمَاذَا تَقُولُ يَا يَعْقُوبُ وَتَتَكَلَّمُ يَا إِسْرَائِيلُ: «قَدِ اخْتَفَتْ طَرِيقِي عَنِ الرَّبِّ وَفَاتَ حَقِّي إِلَهِي»؟ أَمَا عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ؟ إِلَهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا. لَيْسَ عَنْ فَهْمِهِ فَحْصٌ. يُعْطِي الْمُعْيِيَ قُدْرَةً وَلِعَدِيمِ الْقُوَّةِ يُكَثِّرُ شِدَّةً. اَلْغِلْمَانُ يُعْيُونَ وَيَتْعَبُونَ وَالْفِتْيَانُ يَتَعَثَّرُونَ تَعَثُّراً. وَأَمَّا مُنْتَظِرُو الرَّبِّ فَيُجَدِّدُونَ قُوَّةً. يَرْفَعُونَ أَجْنِحَةً كَالنُّسُورِ. يَرْكُضُونَ وَلاَ يَتْعَبُونَ يَمْشُونَ وَلاَ يُعْيُونَ." (إش٤٠: ٢٧-٣١).

الكلمة "*يجددون قوة*" تعني حرفياً أن نمتلئ بالطاقة. القوة الجديدة تأتي لهؤلاء الذين ينتظرون أمام الرب. كم من المرات نطلب القوة في الدورات التدريبية الجديدة وفي التكنولوجيا الجديدة وفي مهارات المعونة الذاتية الجديدة ونحاول أن نكتشف طاقة وقوة من بعض المصادر الداخلية الموجودة فينا. ولكننا لا نجد شيئاً هناك، والقليل الموجود في هذه الوسائل لا يقابل التحديات التي نواجهها في الحياة. فالله هو الذي يمدنا بالقوة. وهو الذي يوفر القوة لهؤلاء الذين ينتظرونه. يجعلهم أقوياء مثل أجنحة النسور القوية للنسر الذي يمكنه أن يُحلِّق على مسافة أعلى من أكبر العواصف قوة.

يعرف المؤمنين جيداً وبالتأكيد: "وَاثِقاً بِهَذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (في١:٦). الرب يكمل العمل الذي بدأه فيك. فالرب لا يتعب أو يعيا.

فقوته لا تنضب. ولهؤلاء الملتمسين قوة من الرب سيكون لهم ما يكفي لجعلهم يجروا مرة أخرى.

لا ينتهي الله من عمله فيّ عندما أتعب وعندما تمتلئ حياتي بالمشاكل، أو عندما لا أعرف أين يجب عليّ الذهاب من هنا. كتب داود في (مز١٣٨:٨) " الرَّبُّ يُحَامِي عَنِّي. يَارَبُّ رَحْمَتُكَ إِلَى الأَبَدِ. عَنْ أَعْمَالِ يَدَيْكَ لاَ تَتَخَلَّ."

تختلف النسور عن باقي الطيور في عدة نواحي. فالنسور لها صفات نادرة ولا تشاركها فيها باقي الطيور. لكن، هناك صفات تشترك فيها النسور مع الطيور الأخرى. فالنسور تشبه باقي الطيور في الشكل، لكن بالفحص القريب سنجد أن هناك اختلافات واضحة ومميزة.

كذلك المؤمن بعد أن ينال الولادة الجديدة يصبح مختلفاً عن العالم. نعم، المسيحيون كائنات بشرية، لكن الولادة الجديدة والإيمان تجعل المسيحيين مختلفين عن باقي الناس. المؤمنين يحصلون على طبيعة إلهية بسبب الروح القدس الحي فيهم. هذه الطبيعة الجديدة تؤثر فيهم للدرجة التي تجعلهم يفكرون ويسلكون بطريقة مختلفة عن العالم. كمسيحي يجب أن تعرف هذا، يجب أن تعرف بعمق في روحك وتحيا من هذه المعرفة: أن الله خلقني من جديد، وأنني لن أكون كما كنت فيما بعد، فأنا مختلف، ولست مثل هذا العالم: " إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً!" (٢كو٥: ١٧).

النسور مثل العواصف. ويستخدمون العواصف لتساعدهم على الطيران على مسافات أعلى. يطيروا جسدياً أعلى من باقي الطيور، وخاصة في العواصف فهم يستخدمون تيارات الهواء لتساعدهم على الطيران ولتأخذهم لمكان مرتفع جداً. لكن الطيور الآخرين يبحثون عن ملجأ من العواصف، لكن النسور تطلب مرتفعات أعظم. يمكن للنسور الطيران حتى إرتفاع ثلاثة إلى خمسة كيلومترات فوق سطح الأرض. وجسمها مغطى بطبقات سميكة من الريش الذي يجعلها تستطيع البقاء في المرتفعات العالية حيث درجات الحرارة المرتفعة. توجد أنواع من النسور يحتوي كل جناح من أجنحتها على أكثر من ١٢٥٠ ريشة. وهذا يمكنها من الطيران لارتفاعات أعلى.

وكذلك تكون حياة المؤمن. فالمؤمن يحيا في المرتفعات مع الله. موسى وإيليا كانا يتقابلان مع الله فوق قمة الجبل. وفوق قمة الجبل تغيرت هيئة يسوع وحيث التقى مع موسى وإيليا، وحيث تكلم إليه الآب السماوي. وكمسيحيون نحن جالسون معه في السماويات في المسيح يسوع (أف٢:٦). هناك من مكاننا المرتفع نملك مع المسيح. فنحن لدينا أجنحة روحية تُمكننا من التحليق إلى أعلى القمم.

المؤمنون لا يخافون من العواصف. فالمؤمنون يفعلون مثلما يفعل النسر: يستخدمون قوة

العواصف وتيارات الهواء التي تأتي معها لتطير لأعلى وتُحلق فوق العواصف. النسور لا تخاف من العواصف، بل يستمتعون بها. فلقد خلقوا من أجل العواصف وتم تأهيلهم للحياة فيها. وكذلك المؤمنون: مجهزون بقوة الله ومملوؤن بملء الله وبالروح القدس الذي يحيا فيهم. وهكذا يؤهل الله المؤمنين للعواصف التي كثيراً ما تعصف فوقنا. عندما تحل الأزمات، لا تهرب وتختبئ بل طِر عالياً واقترب إلى الله نفسه.

لا تضرب النسور بأجنحتها لتحلق لأعلى. فهي تستخدم قوة تيارات الهواء لتجعلها تحلق على مسافات مرتفعة. وإذا حاولت أن تضرب بأجنحتها فذلك حتى ما ترتفع لمسافات أعلى، فبسبب قوة العاصفة، تصبح في خطر. وهذا درس للمؤمنين أن يحيوا ويسيروا بالروح. أن يذهبوا حيث يقودهم روح الله. نحتاج أن ندخل إلى تيارات هواء قوة الله ونتعلم أن نرتاح فيه ونتحرك برفقته. الحياة في الله ليست تخبط وتعثر، إنها حياة للراحة في الرب.

يطير النسر بمفرده. وكلما طار لأعلى كلما صغر حجم باقي الطيور. وهذه النسور عادة ما تظل بمفردها في المرتفعات. من الطبيعي أن نجد كثير من الطيور تطير في جماعات وأيضاً الدجاج والديك الرومي عادة ما نراهم في جماعات. المؤمنين المكرسين عادة ما يقفوا بمفردهم.

المسيحيون الذين في القمم مع الله، يجدوا أنفسهم دائماً بمفردهم. وسنصبح بمفردنا في صراعاتنا ضد الخطية والظلم والفقر...إلخ. وسنصبح بمفردنا في أشواقنا لله وللحياة المقدسة.

المرتفعات تعطينا رؤية مستقيمة. وكلما استطعنا أن نرتفع، كلما أصبحت رؤيتنا ونظرتنا العامة وبصيرتنا أكبر وأفضل. المرتفعات هي عنصر مهم في الحرب. فالشخص الذي يحتل المناطق المرتفعة، يحصل على مميزات استراتيجية في المعركة. وكذلك المؤمنين الذين يسيرون في المرتفعات مع الله، لديهم مميزات استراتيجية في الحرب الروحية اليومية.

تتمتع النسور بالرؤية الحادة أكثر من باقي الطيور. وعادة ما تطير النسور على مسافة ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ متر فوق سطح الأرض. على سبيل المثال، يمكنها أن ترى أرنب وحشي أو أية فريسة أخرى من هذا الارتفاع الشاهق. لأن النسور تطير على ارتفاع عالٍ جداً، تحتاج إلى نظر حاد وتركيز أكثر من باقي الطيور. وفي طريقه للانقضاض على فريسته يمكن أن تصل سرعة النسر إلى ٣٠٠ كم في الساعة. وعلى هذا الارتفاع يستطيع النسر أن يرى بشكل واسع ويمكنه أن يرى على مسافات بعيدة، ويمكنه أن يتعرف ويجهز لخطر أكبر.

رغم أن النسر يمكنه أن يرى بشكل غير عادي خلال اليوم، إلا أن رؤيته الليلة ضعيفة جداً، أقل حتى من الرؤية البشرية. دعونا نتعلم من هذا أن المؤمنين هم أبناء النهار، وهم

مخلوقين للحياة في النهار – في نور الله – ولذلك يجب أن نبتعد عن الظلمة والأماكن المظلمة. قد نحمل نور الله في الظلام، لكن في بعض الأحيان يصبح الأمر مختلفاً تماماً أن نحاول ونجد استرخاء وحياة في المناطق المظلمة.

يأكل النسر غذاءاً طازجاً. فالنسور طيور مفترسة، لكنها لا يمكن أن تأكل جيفة، إلا أن هناك أنواع قليلة من النسور تفعل ذلك. تطير النسور يومياً بحثاً عن الطعام الطازج مثل الحيوانات الحية.

يوجد درس في هذا لنا كمؤمنين. فالله يوفر المن اليومي لشعبه كل صباح، وهو يكفي لهذا اليوم بالأخص. فهو نفسه المن اليومي، وهو يعطينا مناً خفياً لنأكل (رؤ٢:١٧). كمؤمنين نحتاج أن نراقب نظام غذائنا. ولا نأكل "أي شيء" يأتي في طريقنا. تأكد أنك تتغذى على المن الإلهي. إقرأ كتابك المقدس أكثر مما تقرأ الجرائد واقرأ كتابك المقدس قبل أن تقرأ الجرائد اليومية.

يحدد النسر تخومه. فالنسور تحدد مساحات جغرافية خاصة بها، عادة ما تكون حوالي ٣٥ متر مربع. وتحرس تخومها ضد المتطفلين. وهذه هي التخوم والحدود التي تعيش فيها وتملك عليها من الهواء.

يعطي الله المؤمنين مساحات يحيوا فيها، تخوم روحية: الزواج، المنزل، بيئة العمل، مكان في الكنيسة والمجتمع، مكاتب عمل روحية. ويجعلنا الله مسئولين عن هذه التخوم والحدود. وتكون مسئوليتنا أن ندافع عنها، ونملك عليها. ويكون هو الميدان الذي نكسب فيه ونحصل على الخبز اليومي. لن يقوم شخصاً آخر بفعل هذا لأجلنا. يوجد الكثير من المؤمنين الذين لا يأخذون مسئولية على الحدود الروحية التي إئتمنهم الله عليها. فالله لا يعطي لأي شخص مساحات غير محدودة ليدافع عنها أو يحتلها. فلكل شخص فينا حدد الله نصيباً خاصاً به.

لا تكن طمَّاعاً وتحتل ما ينتمي للآخرين. فإنك لن تستطيع السيطرة عليه وسيتحول هذا لغير مصلحتك. الله لا يعطيك أي حق لفعل هذا ولن يعطيك القدرة على تدبير الأمر.

تقضي النسور أوقاتاً طويلة في تسوية وتنظيف ريش الجناحين تأخذ أوقاتاً طويلة في الحفاظ على الأجنحة نظيفة وفي هندمة نفسها وتنعيم وتصفيف الريش. لأن أي اتساخ أو طبقة أتربة على الريش تصنع اختلافاً كبيراً في المرتفعات العالية. وكذلك المؤمنون يجب أن يقضوا أوقاتاً طويلة في التأكد من أن علاقتهم مع الله طاهرة ونقية. فلا يجب أن يكون هناك أي خطية في الضمير غير معترف بها. يجب أن نعطي وقت لجعل حياتنا متفقة مع مشيئة الله. الوقت الذي يقضيه النسر على الأرض يحضره للتحليق بأمان فوق المرتفعات عندما يأتي الوقت. ويحدث المثل مع المؤمنين.

يمكن للنسور أن تطير مباشرة نحو الشمس. فللنسر جفن ثانٍ، وهذا غير موجود عند باقي الطيور. وهذا الجفن يحمي عينيه عند صراعه مع الفريسة ومن مخالبها. ولكن يمكنها أن تعمل مثل "نظارات الشمس". وعندما يريد أن يهرب النسر من الحيوانات المفترسة، يمكنه أن يطير مباشرة في الشمس. والجفن الثاني الذي يمده النسر فوق عينيه يُمكِّنه من النظر مباشرة باتجاه الشمس دون أن يصيبه العمى بنورها. وعندما تحاول مجموعة من الطيور المفترسة الهجوم عليه يطير مباشرة باتجاه الشمس لأن أعداءه ستصيبهم أشعة الشمس بالعمى، ولن يتمكنوا من رؤية مكانه. فالنسور لا تحارب بل تطير باتجاه الشمس.

يا له من درس للمؤمنين! عندما نهاجم لابد أن نطير باتجاه الشمس. لابد أن نجعل تركيزنا على المسيح، ونهرب إليه، ونجد حمايتنا فيه. وهناك في محضره نصبح آمنين، ويوجد حماية، وهناك لا يستطيع العدو الوصول إلينا. المؤمنين لا يحاربون بل يطيرون باتجاه الشمس، ويذهبون مباشرة لله. فهو الملجأ والحصن والبرج والصخرة القوية.

الطيور ذات الريش تعيش في أسراب. لا تختلط النسور مع الطيور الأخرى. وتختار رفقائها بحرص شديد. لدى النسور نظام شيق جداً للزواج. تأخذ الأنثى غصن وتطير في الهواء، وتترك الغصن يسقط. ويصبح على الذكر أن ينقض ويسرع في التقاط الغصن. وهذه هي بداية العملية التي تستمر فيها الأنثى في التقاط غصن بعد غصن وتلقي بهم من أعلى لكن في كل مرة تلتقط غصن أعلى من السابق، وتلقي به من مسافة أقل من السابقة، وعلى الذكر أن يلتقطها قبل أن تصل للأرض. وإذا لم ينجح النسر في الالتقاط تفقد إعجابها به. وفي النهاية ستلتقط غصن وتطير على مسافة قليلة وتلقي به. وإذا استطاع الذكر أن يجتاز الامتحان، تعطيه مصداقيتها. ثم يبدأان في الطيران في السماء، وفي معانقة مخالب أحدهما الآخر، وبمخالبهما يمسكان ببعضهما البعض وينزلان معاً في حركات بهلوانية في الهواء. وهذا المنظر يكون منظراً مذهلاً. وبعد هذه المراسم لا يفترقان أبداً. بل يظلا معاً حتى يفرقهما الموت.

ألسنا نستطيع نحن كمسيحيون أن نأخذ ورقة من كتابهم عن أساسيات الزواج؟ أيتها الفتيات لا تذهبن لأول رجل يطلب خطبتكن. ابحثن بأنفسكن عن شريك الحياة، الشخص الذي ستقضين باقي حياتكن معه، شخصاً يمكنه أن يكون أباً حقيقياً لأولادكما وزوجاً يمكنه أن يوفر لكن ما تحتجن إليه ويسمح لكن أن تصبحن سيدات بكل ما تحمله الكلمة من معاني، سيدات لهن حقوق خاصة. الزواج المسيحي مقصود به امرأة واحدة ورجل واحد حتى يفصل الموت بينهما.

للنسور طريقة فريدة في تعليم صغارها الطيران. فالنسور تبني أعشاشها على قمة المنحدرات الشاهقة، وعلى الصخور شديدة الانحدار فوق الجبال العالية. فهي تفضل المنحدرات المرتفعة والتي لا يمكن لأعدائها أن تهددها وتهدد صغارها. نقرأ في (أي٣٩:٢٧) " أَوْ بِأَمْرِكَ يُحَلِّقُ النَّسْرُ وَيُعَلِّي وَكْرَهُ؟" يمكن للنسور أن تحمل أطناناً من الخشب والأغصان لبناء عششها. أولاً أغصان، ثم أغصان شائكة ثم تحشو أعشاشها بأوراق الشجر والريش ومواد أخرى ناعمة. عندما يفقس البيض وتخرج الفراخ الصغيرة يصبح لديها عشاً ناعماً. لكن بعد فترة عندما تكبر بصورة كافية للدرجة التي تستطيع معها الطيران تنزع النسور الكبيرة المواد الناعمة من العش حتى يتبقى فقط الأغصان الشائكة.

وتبدأ الأشواك تزعج الصغار وتجبرهم على مغادرة العش. ثم يبدأ النسر الذكر في دفع الصغار من على الصخرة وبينما تسقط تبدأ تخفق بأجنحتها. ثم يغوص النسر الذكر تحت الفراخ ويفرد جناحيه ليحملها ويأخذها مرة أخرى على الصخر.

وتتكرر العملية حتى تبدأ الفراخ في الطيران. وتبدأ النسور الناضجة في القيام بكل أنواع الحركات البهلوانية المثيرة في الهواء لتبين فرحها ببداية طيران صغارها.

بينما ننمو كمؤمنين روحياً، يعلمنا الرب ويأخذنا خلال مراحل روحية مختلفة. يجد البعض صعوبة في فهم هذا كما أن هذا الأمر صعب على فراخ النسور لتفهم لماذا يدفعها أبيها من على الجرف. لكن لا يمكن للنسور الصغيرة أن تنزل بسرعة أكبر من أبيها الذي ينزل ويلتقطها ويحملها مرة أخرى على جناحيه. نفس الأمر حقيقي بالنسبة لأبينا السماوي. إقرأ (تث٣٢: ١٠-١٢): " وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ وَفِي خَلاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ هَكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ أَجْنَبِيٌّ."

يجب أن نثق في الله في الأوقات التي لا نفهم فيها ما يقوم به ولماذا يقوم به. فالله دائماً أعظم من الظروف ويعلمنا أثناء مسيرتنا معه ويؤهلنا ويقوينا للعمل الذي ينتظرنا في الطريق.

لا يهتم كثيراً النسر الذكر بصرخات الفراخ وهي تسقط من على الجرف. وكذلك لا يهتم الله كثيراً بصرخاتنا وشفقتنا على أنفسنا عندما يعمل في حياتنا. فالله يعرف ما يقوم به ولماذا يقوم به. ويمكننا الثقة فيه.

النسور لديها حياة ثانية. يمكن للنسور أن تصل أعمارها إلى ١٢٠ عاماً. عندما تصل النسور لسن السبعين عاماً تقريباً، يصبح ريشها سميكاً وثقيلاً، ومخالبها ومنقارها تصبح طويلة وتصبح غير قادرة على الطيران لمسافات مرتفعة، وتجد أيضاً صعوبة في إمساك الفريسة. وعند هذه المرحلة، يذهب النسر بقرب إحدى جداول المياه في مكان منعزل ومرتفع فوق

الجبال. ويبدأ في نتف ريشه حتى لا يتبقى منها شيء. ويخلع كل مخالبه ويضرب منقاره بصورة عنيفة حتى ينكسر على الصخر. ويجلس النسر في هذا المكان لعدة أيام.

قد يمر عليه نسور أخرى من وقت لآخر ويلقوا له ببعض قطع الطعام ليأكلها. لكن يظل النسر جالساً فوق المياه. وبينما هو يجلس فوق المياه يأخذ في النظر للشمس لفترة طويلة بلا انقطاع، حتى تسقط دموع من عينيه وتبدأ الغدد الزيتية الموجودة في عينيه في إنتاج زيوت مرة أخرى. وببطء يبدأ الريش الجديد في النمو وتبدأ المخالب الجديدة والمنقار الجديد في الظهور والنمو مرة أخرى. وفي خلال شهر إلى أربعين يوماً يصبح النسر مرة أخرى جاهزاً للطيران. ويبدأ في القفز بقوة من صخرة إلى صخرة بقوته الجديدة وريشه الجديد ومخالبه الجديدة ويبدأ في التحليق في مرتفعات عالية مرة أخرى. وهذه هي عملية تجديد القوة.

توجد أوقات نتعب فيها ونجد أن الحياة فينا قد انتهت، وأنه لم تعد لنا قوة باقية ولا نعرف كيف ندير حياتنا ونتوجه للأمام في الطريق. وهذا عندما يجب أن نقف جانباً ونجلس مع أنفسنا، ونوقف برامجنا، ونتوقف عن كل شيء قد انتهى وتم وننظر "للشمس". وهذا عندما يجب أن نذهب ونجلس أمام الله أبونا وننتظر. نرتاح وننتظر ونستمع. حتى يأتي ويتقابل معنا ويملأنا بقوة جديدة، حتى يجعل حياتنا جديدة مرة أخرى مثلما يحدث مع النسر (مز١٠٣: ٥).

ليتنا نتعلم من حياة النسر كيف نحيا في القمم مع الله. وهذا هو الطريق الآخر.

يمكنك أن تتبع الطريق الآخر

سيكون أمراً مفيداً لك أن تستخدم هذه اليوميات أثناء قراءتك للكتاب. وقد تكون مفيدة لك في كتابة أفكارك الشخصية بعد الانتهاء من قراءة كل فصل.

ربما تثبط همتك أثناء قراءتك لبعض فصول الكتاب. ربما تشعر برغبة في وضع الكتاب جانباً لأنك تشعر أنه مستحيل عليك أن تستطيع السير في هذا الطريق. هل الأمر ممكن كلياً أن نسير في *الطريق الآخر* كما وُصِف هنا؟ كيف يمكن لشخص أن يسير في هذا الطريق؟

نعم، ممكن. أحب أن أعطيك بعض الإرشادات التي ستمكنك من السير عبر الطريق الآخر.

أولاً، إنه *طريق ايمان*. هذا يعني أنك يجب أن تؤمن بالله. إنه اختيار روحي يجب أن تفعله. يجب ألا تنظر لنفسك، يجب ألا تبحث عن مشاعر أو اختبار، يجب ببساطة أن تختار أن تؤمن بالله. كيف تعرف أن الله حي؟ بالإيمان. كيف تعرف أن الله يحيا فيك؟ بالإيمان. كيف تعرف أنك ممتلئ بالروح القدس؟ بالإيمان. المشاعر ليس لها دور في هذا الأمر. كلمة الله تعلمنا أن البار والمؤمن لا يحيا بما يراه، بل بالإيمان. قال يسوع لتوما، طوبى للذين آمنوا ولم يروا. الإيمان هو اختيار تقوم به لتأخذ الله في كلمته وأن تحيا بالحق الذي في الكلمة. بالإيمان تعرف أن الله يحيا فيك وأنه سيعمل فيك ومن خلالك حتى ما تسير في الطريق الآخر بانتصار.

ثانياً، إنه طريق من *التسليم الكامل* لله. هذا يعني أنك تعطي نفسك لله بدون الاحتفاظ بأي شيء لنفسك. هذا يعني أنك تعطي كل جزء من حياتك لله. وتعطيه الحق أن يفعل ما يسره معك ومع كل ما تملكه. فأنت تأتمنه على حياتك بأكملها وترفض أن تسأله عن أي شيء يقوم به. هذا هو الاختيار الثاني الذي تقوم به.

ثالثاً، أنصحك أن تدرس بضع *التدريبات الروحية* وأن تطبقها بأمانة في حياتك. هذه هي تدريبات طبقها المؤمنين عبر العصور المختلفة. هذه التدريبات ساعدتهم على النمو في الإيمان، وعلى إنكار أنفسهم وعلى تأسيس علاقة أكثر حميمية مع الله الآب ومع يسوع. وعن طريق تطبيق هذه التدريبات في حياتنا، نتعلم أن نسير مع يسوع – وأن نسير الطريق الآخر.

- *التدريب على الانعزال*. خذ فترات أكبر *تنعزل* فيها وتكون فيها بمفردك مع الله. اذهب إلى مكان هادئ. في أثناء أسبوع عادي، يمكنك أن تختار أن تكون بمفردك مع الله في الصباح، أو بعد الظهر، أو في المساء. ويمكنك أيضاً أن تخصص يوماً أو عطلة نهاية أسبوع كل ٣ شهور، للبعض سيكون من الممكن الانفراد لمدة ثلاثة أيام أو أكثر. هذه أوقات تقضيها بمفردك مع الله.
- *التدريب على الصمت*. هذا يعني أن تبقى صامتاً وتجلس في محضر الله. هذا التدريب

يسير جنباً إلى جنب مع تدريب الانعزال. وهذا لا يعني ألا تتكلم، بل أن توجه كيانك الداخلي كله باتجاه الله. خذ فترات أطول للصمت أمام الله، بدون أن تسأل أسئلة، بدون أن تصلي أو تسبح. فقط اجلس في محضره حتى ما تصمت كل الأصوات الأخرى ويبقى الله وحده.

- *التدريب على كلمة الله.* واحدة من أكبر المشاكل التي لدى معظم المؤمنين، أنهم يقرأون كتب روحية ومجلات ولا يقرأون الكلمة بصورة كافية. لا يوجد شيء خاطئ في قراءة الكتب الروحية، لكن لا يجب أن نفعل ذلك على حساب قراءة الكتاب المقدس. فيجب أن يكون لدينا وقت هادئ يومياً لعمل دراسة الكتاب، لكن والأهم من ذلك هو أن نتدرب على قراءة أجزاء هامة من الكلمة. أثناء قراءتنا للكلمة، تملأ الكلمة أذهاننا وأفكارنا وتوجهنا الكلمة في اتجاه الله. على سبيل المثال، اقرأ ٢٠ مزمور يومياً لمدة شهر. وهذا كأن الكلمة تغسلك. تجد إيمان وثقة جديدة في الرب.
- *التدريب على الاحتفاظ بيوميات روحية.* معظم الناس يجدوا أن اليوميات الروحية لها أهمية كبيرة. لماذا لا تجربها؟ يمكنها أن تكون مفيدة عندما تكتب فيها أفكارك. واحدة من أكبر الفوائد لليوميات هو أنه يمكنك أن تكتب صلواتك وأفكارك، وتكتب عن رحلتك الروحية مع الرب، وتكتب أسئلتك في صورة حديث مع الله، ويمكنك من خلال اليوميات أن ترى التقدم الروحي وكيف يجيب الله على صلواتك، وأن ترى كيف يعمل الله في حياتك وفي حياة الآخرين. وتساعدك على صياغة وتقييم ما تعلمته. كل هذه أمور هامة في رحلتك الروحية وفي نموك الروحي. اليوميات تساعدك على التعبير عن أفكارك ومشاعرك وعلى فهم ما يحدث داخلك.
- *التدريب على الصلاة.* خُذ وقتاً للصلاة لكن ليس من الضروري أن تصلي بكلمات كثيرة ابدأ بصلوات بسيطة صلوات مكونة من جملة واحدة هنا بعض الأمثلة:

يا يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني.

إلهي، كل ما لي.

يارب يسوع، أنت كل أهدافي.

ربي وإلهي.

يارب، قدسني.

أبي السماوي، باركني حتى ما أكون بركة.

يارب يسوع، أنت كفايتي.

أبي السماوي، ليأتِ ملكوتك.

أبي السماوي، لتكن مشيئتك في حياتي.

أبي السماوي، نجني من الشرير.

يا أبا الآب.

يارب يسوع، أنت رغبتي الوحيدة.

أبي السماوي، أنتظرك.

يارب يسوع، عمدني بالروح القدس والنار.

أبي السماوي، أطلب نعمة فوق نعمة.

أبي السماوي، أختار أن أطيعك.

خذ جزء كتابي، آية واحدة من المزامير أو أي جزء آخر من الكتاب المقدس، وصِغ منه صلاة شخصية مبنية عليه. صلِ هذه الصلاة بإيمان. كرر هذه الصلاة. خذ وقتاً. صلِ هذه الصلاة بقلبك وبإرادتك وبذهنك، حتى ما تستطيع أن تصليها بكل كيانك وبإيمان. الهدف الأول لصلاتك سيكون هو دخول محضر الله روحياً. ركز على المحبة. ومن المحبة سِر نحو الاعتراف بالخطية والتواضع والشكر والتسبيح والعبادة والتشفع والطلبات. الصلاة تستغرق وقتاً. خذ وقتاً كافياً. صلِ حتى ما يمتلئ قلبك بالله.

السير في الطريق الآخر مع الله هو اختبار مميز جداً. في هذا الكتاب ذكرت وناقشت عدد من أصعب مظاهر هذا الطريق. هناك أوقات في هذا الطريق لا نفهم ما الذي يحدث لنا. وهدفي من هذا الكتاب هو أن أساعدك أن تستمر وتكمل المسيرة مع الله، أن تسير معه بفهم عظيم وبثقة كاملة. بالطبع سيكون هناك أوقات من النصرة والفرح والثمار الكثيرة والقوة العظيمة والإيمان الكبير. لكن لا نحتاج إلى كتاب يساعدنا على الحياة في هذه الأوقات. إنه في أوقات تسلق المرتفعات وفي الأودية المظلمة نجد أنفسنا عند نقطة التوقف، وأننا لا نرى طريقنا بوضوح حتى نستطيع أن نكمل وعندئذ نسأل أسئلة عديدة. إنه من الممكن أن نسير في الطريق الآخر، لأن يسوع نفسه هو الطريق. يمكننا ذلك، لأنه هو – هو الطريق والحق والحياة، وهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.